رواية
" شياطين من طين "
تأليف : محمود الشهابي

الحلقة الأولي : *Shehabiat*

كنت أجلس في زنزانتي الانفرادية بسجن الاستئناف ..
ألمح ظلال المساجين تتوالى و تنصرف مسرعة وكأنما تنظر إلي شبح لا يلقون إليه سلام أو كلام .. فتمددت بالزاوية أتفقد كم مر علي من ساعات العذاب حتى وصلت إلي سجن الاستئناف بداية من الاحتفالية الرسمية من مخبري السجن وأنا استعطف قلوبهم صارخاً أنني صحفي تحت التمرين إلى أن تعاطف معى عقلى عندما توقف عن إدراك الواقع وبقى في ذاكرتي بعض معالم من وجوه مخلوقات كوكب الإستئناف التي تتسم باللاشئ .. كنت في اولى خطواتي عبر مدخل السجن مكبلاً بالكلابشات يشاركني بها أحد المتهمين لم أكن قد نظرت إلى وجهه أثناء تواجدنا بعربة الترحيلات حيث كنت اراجع مهمتي في إجراء تحقيق صحفي وعندها أفقت على صوت الخيزران يشق الهواء من خلفي فيمزق بعض الخلايا الحسية التي لم يمسها الارتطام بعد لكنها تمزقت بمجرد أن استشعرت أنها قيد الإنتظار.. ترددت بين الهرولة إلى الداخل والالتفات إلى الخلف ولم يطل ترددي حيث كان وقع الخيزرانة على ظهري حاراً مؤلماً .. لكن كان لابد أن ألتفت إلى الخلف ليس لأرى مايحدث وإنما لأرى نوعية الثقل الذي يرتبط بيدي ويمنعني من الإبتعاد عن الخيزران المتتالي من مخلوقات هذا الكوكب العجيب الذين لا يتحدثون العربية بل يكادون لا يتحدثون على الإطلاق .. وكان ما رأيته كافياً لإيضاح سبب شل قدرتي على الحركة .. فقد كان زميل الكلابشات مستلقي على الأرض وبجواره بعض البطاطين في منتصف بركة من الماء وكانت كلتا يداي مشغولة إحداهما بحقيبتي والأخرى تكبلها الكلابشات في يده .. وعندما حاولت مساعدته على النهوض انهالت عليَ أعداد لاحصر لها من الأحذية الملطخة بالطين وصراخ يشبه لغة كوكبنا يقول .. إمشي .. قوم .. كان هناك سيلاً من الضرب ولسعات الخيرزان لم يمنح لساني فاصل كى يوضح لأحد أن الكلابشات مرتبطة بالشخص الساقط أرضاً ولكن أحد هذه المخلوقات كان أذكي قليلاً من زملائه فلم يستهلك الوقت في إجباري على الوقوف بل كان الانبطاح أسهل له في جذبنا مع التزحلق على الماء .. كنت واهماً أنني أصرخ لوقف تلك المهزلة ولكن بالحقيقة لم يكن صوتى يغادر رئتاي إلى أن بزغ الأمل عندما رأيت من الوضع معكوساً شخصاً واقفاً مكتوف اليدين ورأسي بين قدميه كانت هيئته تشبه الآدميين إلى حد بعيد سمعته يهمهم تهمتهم إيه دول فأجاب أحد الكائنات الغريبة قائلاً ..
" ده الجدع بتاع العزاء " ثم أردف قائلاً تقريبا جاي يكمل العملية السرية بتاعة شهاب ياباشا صمت لساني وقد التصق بسقف حلقى عند سماعي مصطلح العملية السرية وكأنما قد سمعت الحكم بالإعدام فاستجمعت قواي بكاملها قائلاً ً أنا صحفي تحت التمرين وكنت في عزاء خالي وطلعت أشرب سيجارة ياباشا وما أعرفش حاجة عن شهاب ده .. تنهد ذو القدمين وتابع قائلاً .. " طب قوم يا باشا" هات لي كرسي ياغانم ..
يظهر الليلة هتحلو يا غانم .. وضع غانم الكرسي قائلاً .. الكرسي يا باشا .
أيقنت في اللحظة الأخيرة بعدما هممت بالجلوس أن الكرسي لم يكن من أجلي .. جلس الباشا ذو القدمين قائلاً ً " فك لي الزفت ده .. تمتمت بداخلي بأنه بالتأكيد يقصد الشخص الآخر المكبل بيدى ورفعت عيني مختلساً نظرة إلى وجه الباشا فوجدت إحدى عينيه تنظر إلي والأخرى تنظر إلي زميل الكلابشات تعجبت قليلاً من صفات كائنات هذا الكوكب فمثل هذا في كوكب الأرض يطلق عليه أحول العين لكن في سجن الاستئناف يبدو أنها تعد قدرات خاصة .. قاطع الباشا أفكاري

بسؤاله قائلاً .. قولي بقي إيه العملية السرية اللي جاي تعملها هنا .. كان يشعل سيجارته وينظر إليها حينما ومضت في ذاكرتي تعليمات الجريدة بعدم البوح بتفاصيل المهمة الصحفية التي كلفت بها .. وكنت قد غصت في حوارى الداخلي عندما صاح في وجهي " إيه مش عايز تقول " كان وجهه هذه المرة قريباً من وجهى ويقع عليه ضوء شديد من عمود إنارة يأتى من خلف ظهري فرأيت عينه اليسرى تقع على كتفي الأيمن وعينيه اليمني تنظر إلى الضوء مباشرة فظننت أنه لايتحدث إليّ نهائياً فلم أجيبه بحرف فخبط يديه كفاً بكف غاضباً وصاح قائلاً .. يا ناصر خده على الزنزانة الأبدية .

كانت صفعة ناصرعلي مؤخرة الرقبة بمثابة إصابة مباشرة لمركز الذاكرة وكان آخر ما بلغ مسامعي حينها أحدهما يسأل " هو إسمه إيه ياباشا "

فأجاب الباشا قائلاً .. "عادل الشريف" ثم انقطعت عني مؤثرات الحياة داخل مستشفي السجن عدة أيام .. وأفقت لأجد نفسي ملقى بتلك الزنزانة بين قضبانها وحوائطها التي لا يزينها إلا آية قرآنية ملصقة على أحد الجدران الثلاثة التي يغطيها طلاء الظلام وكانت الأصوات بالخارج تدل على وجود الآف من كائنات كوكب الإستئناف مما أشعرني بالسعادة حقاً لوجود هذا الباب الحديدي بيني وبينهم ..

ترددت لحظات في إختبار قدرتي على الحركة مع إستمرار بعض الأشخاص ذوي الملابس الزرقاء في المرور والنظر إلي من الخارج إلى أن توقف أحدهم عن السير ممسكاً بالقضبان مرتكزاً على إحدى قدميه والأخرى يحيطها لفاف من الجبس .. فأخذت أبحث في مخيلتى عن بعض الكلمات التي يمكنني استخدامها للتفاهم .. وانتهى بي المطاف إلى جملة " لو سمحت " ظل الشخص واقفاً رأسه إلى أسفل وعينيه إلى أعلى ناظرا تجاهي وهو يجيب قائلاً .. عاوز حاجه يازميلي. نهضت فرحاً وتوجهت إليه وتابعت قائلاً .. هما بيفتحوا الباب ده امتي أقصد من أمتي لإمتي؟

نظر إلي متعاطفاً وهو يمرجح رأسه ويضغط على لسانه بكلمات تخرج بصعوبة قائلاً .. معلش يا زميلى بقي ربنا يهون عليك إنت في" الأبدية " قاطعته بسرعة قائلاً .. مش فاهم يعني إيه الأبدية ؟

فأوضح قائلاً يعني دي ما بتفتحش .. ثم استرسل قائلاً تعرف إن شهاب قعد في الزنزانة دي خمس شهور حته واحده قبل ما يرحلوه .. كنت أتمني أن يستمر في حديثه إلا أن نداء الطبيعة أجبرنى على مقاطعته مرة اخرى قائلاً .. طيب بالنسبه للحمام؟

عندك يا زميلي في الحوض ده أصل الزنازين دي كانت معمولة للخيل بتوع البشوات بتوع زمان .. سألته متعجلاً .. والميه ؟

فأجاب جيت علي الجرح ياصاحبي طول الليل أنادي علي أي حد عشان بق ميه لواحد في الزنزانة مع أنا عنده السكر ولا في رحمة في قلوبهم .. يا عم ده إحنا وقعنا .

همهمت بسذاجة قائلاً .. أيوه مظبوط احنا وقعنا إمبارح بالليل و جرجرونا أنا واللى في الكلابشات معايا .. وتابعت هو إنت رجلك إتكسرت لما وقعتوا .. ظلت نظرته حائرة حتى سألني قائلاً .. إنت تهمتك إيه ياأخو ؟

قطبت جبيني متعجباً من مصطلح "أخو" وحاولت أن أعظم من شأني وأجبت ناظراً إلي مركز عينيه قائلاً .. أنا سلطة رابعة .. فتهلل وجهه مستبشراُ وتساءل قائلاً .. يبقى أكيد تعرف شهاب .

فأردفت قائلاً ياعم احلف لكم بايه اني ولا اعرفه ولا عمري شفته ده أنا كنت في العزاء بتاع خالي وخرجت من الشادر أرد على التليفون واتمشيت لآخر الشارع والموبيل علي ودني سمعت صوت بيقول هاتولي اللي بيصور بالموبايل ده حطوه في العربيه وهاتولي الموبيل لقيت ناس

بتكتفني وتضربني ولا لحقت أقول كلمة واحدة .
كان الأعرج يشعل سيجارة غير عابئاً بما أقول فتابعت إسمي عادل الشريف صحفي تحت التمرين وإنت .. نفث دخان سيجارته قائلاً ً أخوك كريم من كلوت بيه .. كنت على وشك أن أصطنع لغة إبن البلد وأثنى عليه بأجدع ناس إلا أن كريم تابع قائلاً ً .. بس أنا عايش مع واحد صاحبي نواحي القاهرة الجديدة كده علشان أكل العيش أصلنا بنثبت أى حد نازل من ميكروباص علي الطريق الدائري عند السلم بتاع الكوبري .. قاطعته متسائلا عن سبب الإصابة في قدمه فتابع ما أنا جايلك في الكلام يا زميلي بعد ما ثبتنا الميكروباس وأخدنا الفلوس نطيت من فوق الكوبري فنزلت مدغدغ وزميلي اتقفش وأكلنا علقة موت .
كان وجه كريم مرتفعاً وعندها لاحظت عدة قطوع في وجهه ورأسه فالتفت إلي مبتسما وكأنه ينتظر تعليقاً فقلت طيب مش كنت الأول تقدر إرتفاع الكوبري قبل ماتنط .. زادت إبتسامته قائلاً ً .. كنت مبرشم بقي.
فتشجعت قائلاً ً.. ومين اللي عورك كده .الناس بتوع الميكروباص ؟
رد متحسساً رأسه قائلاً ً .. لا ده أنا .
فتسائلت وليه فابتسم قائلاً ً .. كنت مبرشم. تبسمت عندها وتشجعت أكثر لما صار بيني وبين كريم من لغة تفاهم ومازحته قائلاً ً .. وياتري دلوقتي مبرشم برضه فتح كريم فمه ضاحكاً ومد يده مصافحاً متناسياً القضبان الحديدية التي تفصلنا وهو يقهقه قائلاً ً طب وغلاوتك مبرشم دلوقتي شوف بقي مبرشم في سجن الاستئناف ..لاحظت كم الأسنان المفقودة من فم كريم فسألته سريعاً قائلاً ً وايه اللي كسر سنانك ؟
فأجاب بجديه قائلاً ً .. مش بقولك أكلنا علقة موت ياجدع.
لاحقته قبل أن يفيق من قهقهته وتساءلت قائلاً ً .. طيب وبتجيب البرشام منين هنا ؟

الحلقة الثانية : *Shehabiat*
كنت أضع يدي علي قلبي عندما أطلقت سؤالى لكن كريم أجاب دون تكلف عمك عبده بتاع شارع كلوت بيه بس ايده طايله وله ناسه اللى بيبعت معاهم كل حاجه وهما اللى بيدخلوها لي لحد عندى بس مش عشان سواد عيوني لا عشان ابيعهم والزيارة اللى بعدها يبعت حد ياخد الفلوس .. بس تلاقي عندي بقى مالذ وطاب .. حشيش وبرشام وموبايلات اللي إنت عاوزه تلاقيه عندي بس كله بحسابه طبعاً .. بيني وبينك أرحم من الرفع والبلع ويجي مخبر يفتشك ويخليك ترجع اللي في بطنك من فوق ومن تحت وبرضه يوصل للي هو عايزه طب على إيه يا عم اللي تعرف ديته اقتله و هين قرشك ولا تهين نفسك .. ولا إ يه ؟
كنت سارحاً في مصطلح الرفع والبلع وأيهما يقصد به من تحت ومن فوق حينما كان مفترض أن أجيب كريم بأن كلامه صحيح فحاولت أن أدير الحوار لشئ مختلف فسألته طيب وإيه حكاية شهاب ده إنت تعرفه ؟ مصمص كريم شفتيه وكأنما عاد إلي ذكريات الطفولة السعيدة قائلاً ً.. اعرفه الا اعرفه يا عم .. ده كان صحفي بيعمل تحقيق عن تهريب الآثار وكنت بأساعده باللى أعرفه بس ولاد الحرام اللى في الجريده بتاعته فضلوا يرحلوه من سجن لسجن لحد ما اختفي خالص و محدش عارف له طريق .. بس شهادة حق لما كان هنا كان بيساعد أي حد وكانت الرجاله بتجيلوا مشرحين بعض ومتخّصمين يخليهم سمنه على عسل ويرجعوا اخوات وحبايب .. آه والمخبرين كمان .. ياخبر كان يقدر مخبر يمد إيده علي مسجون قدامه طب عليا الطلاق كنا بنهددهم بيه عارف بتاع المباحث اللي عامل فيها ده كان بيقعد معاه هنا في الزنزانة اللي تشهد علينا دي ..
توقف كريم فجأة كأنما تذكر شيئاً فتلفت حوله ثم إقترب من القضبان قائلاً ً على فكره هو كان بيكتب رواية وكلنا شاكين إنه سايبها هنا في الزنزانة لأنهم رحلوه في نص الليل فجأة من غير ما

يبلغوه ومن غير ماحد فينا يعرف صحينا الصبح لقيناه مش هنا .. قلتلهم اربع كراتين سجاير وينقلوني الزنزانة هنا عشان أدور على المذكرات بتاعته مفيش فايده توقف كريم متسائلاً إنت قلتلى إسمك إيه ؟
فتبسمت قائلاً ً عادل .
فتابع قائلاً ً إسمع يا عادل دور في الزنزانة كويس ولما تلاقي الورق تدهولي على طول وأنا هشوفك واراضيك ..
بص هو أكيد مخبى المذكرات في مكان ميخطرش علي بال حد .. تعرف كان مجنن الطرقة دي .. شايف الباب ده كان بيخرج منه بالليل بعد ما يسلموا المفاتيح تحت .. وكان في واحد عيان قوي كان بيطلع له بالليل يدخله ميه وأكل ودواء وكُتب ياراجل ده كان .
قاطعت كريم متسائلاً طيب ماكنش بيخرج بره السجن خالص ليه لما هو كان بيعرف يخرج من الحديد .. بدا على وجه كريم الغضب فأشاح بيده منصرفاً ياعم أنا بقولك إيه وإنت بتقول لى إيه بقولك الراجل بيخرج يعمل خير ويساعد الناس ..هو أنا بقولك كان حاوى بيطلع من الحيطان .. ده كان بيحط جنيه فضه جوه الفتحة بتاعة لسان الباب ده ولما يقفلوا يفضل اللسان قافل على الفاضى ولما يسلموا مفاتيح السجن كان يفتح ويخرج .. إنت باين عليك حا تتعبنا ياعم .. بقولك إيه .. مسي لي علي نفسك.. انصرف كريم بعد أن طلب مني أن أمسي علي نفسي وكنت في طريقي لإلقاء نظرة على حوض الخيل الذي سيلعب دور الحمام في الزنزانة .
فقلت بصوت مرتفع لنفسي أحلي مسا عليك يامعلم عادل .. كانت أصوات المساجين تبدو مألوفة على أذني بعد حوار كريم العظيم فتابعت التقييم للزنزانة مرة أخرى على نغمات أصوات الأماسي بين الزنازين .. ياهاني ياعويس .. أيوه يا ياسين .. احلي مسا عليك .. أحلى مسا يا سردينة مسي لي علي نفسك وعلي كل راجل جدع عندك .. كلهم بيمسوا عليك يا سردينة مسى لى على نفسك حته حته .. قاطعت مسامعي متفقداً الحوض مرة أخري وعقلى يهمس متعجباً إذا كان شهاب إتعمل معاه كده في تحقيق صحفي عن الآثار أومال أنا بتوع المخدرات هيعملوا فيا ايه لو عرفوا مهمتي ؟
كانت أقدام المارة تدق أمام الزنزانة وكنت قد قررت أن ألتزم الصمت طالما لم يلق أحدهم قولاً يستدعي مني إجابة إلي أن توقف شخص يرتدي بدلة الحبس البيضاء مستدير الوجه خفيف الشارب متوسط القامة أمسك بالقضبان من الخارج وألقي السلام ولم ينتظر إجابة واستطرد قائلاً ً .. إنت إيه يا أخ إنس ولا جن و جيت امتى ومين اللي دخلك هنا و تهمتك إيه من الآخر كده .. نهضت ناظراً إلى عينيه متحدياً قائلاً ً .. أنا شبح شهاب.
ثم في أقل من لحظة أسرعت نحو القضبان حينما رأيته يتلفت يميناً ويساراً من وقع كلماتي فلاحقته بقولى .. إيه يا عم أنا بهزر.
نظر تجاهى مشمئزاً وأمال رقبته نحوى قليلاً رافعاً جانباً من شفتيه لأعلى وهو يخرج من أنفه ما يشبه صوت فرخ صنفرة خشابى تكحت لوحاً من الخشب الحبيبى ثم سألنى بجدية قائلاً ً .. بتهزر؟
كدت أن أخرج من صدرى فرخ السنفره المماثل لرد اعتباري لكني تراجعت بينما أردف قائلاً ً .. امال تعرف إسمه منين ؟
حاولت تهدئة الأجواء قليلاً وأنا أجيبه قائلاً ً .. أعرفه من كتر ماسمعت إسمه هنا بيقولوا كان صحفي برضة .. خفض رأسه قليلاً وهو يتابع طب ادعي له بقي خلي الزنزانة فُلّه وخلاك قاعد في الروقان ولا حشرات ولا روايح فتابعت مستكملاً ولا نور ولا ميه فاستوقفني قائلاً ً إيه يا عم سلامة الشوف .. تعالى هنا إطلع على حرف الحوض ده ولف اللمبة اللي فوق دي هتنور الدنيا كلها والحوض ده كله مليان أكياس ميه تكفيك شهر قابل للتجديد وعندك جرايد هنا تقعد تقرأ فيها

سنة مع النفاذ ومسحوق غسيل في الركن هناك وأطباق بلاستيك وكبايات مالهاش سوابق وفي كل ركن قلم جاف واقف علي سيفه والورق عندك ورا الآية الملصوقة دي وهتلاقي فوق جنب اللمبه أكياس قهوة وأقراص سبرتوا للتسخين وكيس سكر ومعالق بلاستيك وفوق الشباك ده في مصليه وسبحه وسجائر إيه بقى عايز إيه تاني .. زنزانة ملكية يعني سبع نجوم بقولك إدعيله ياجدع .. ظل يتابع بينما كنت استكشف كل ما قال وكانت عيناي ويداي في سباق للوصول إلى كل ما يصف والغريب أن كل ماذكره لم يكن سهلاً في الوصول إليه أيضا بعد إضاءة الزنزانة فتمتمت في داخلي ده انسان "عجيب"
استفقت على صوت الشخص ذو الملابس البيضاء يحتد مرة اخرى قائلاً ً .. بقولك إدعي له ياجدع .
فاستدرت قائلاً ً .. ربنا يكرمك ويكرمه . واقتربت من الباب متمتماً .. كده ميه ميه ولا فراخ الجمعية .
ارتسمت علي وجهه علامات الاشمئزاز وهو يتابع متسائلاً بتعرف تقرأ وتكتب .. كدت أجيب بغرور ساخر بأني صحفي ولكن لوهلة ظننت أنه ربما لا يعرف القراءة والكتابة وأنه يحتاج لمساعدتي فاكتفيت بالإجابة الأسهل قائلاً ً .. يعني على قدي كده .
فتابع متسائلاً .. إسمك إيه ؟
فأجبت قائلاً ً .. إسمي عادل.
فتابع قائلاً ً .. عادل إيه ؟
فأجبت قائلاً ً .. عادل الشريف .
وتهكم قائلاً ً .. ياسلام ؟
كانت نظرته فاحصة لاحظت بعدها أنه جاد لايسخر فراجعت آخر ما ذكرت فكان إسمي "عادل الشريف" وصف للعدل والشرف فقلت مازحاً أيوه صحيح حاجه كده عامله زي "مخلص أمين" ..هنشوف ..هنشوف .. بتاعة عادل إمام .. رفع رأسه إلى أعلى متمتماً بصوت عالي قائلاً ً .. كمان مش عارف محمد صبحي من عادل إمام ! ده إحنا باين علينا "وقعنا" .
جاريته وأنا ألتقط كيس من الماء بقولى مضبوط وقعنا إمبارح فعلاً وإحنا داخلين من باب السجن علشان كانت الدنيا ضلمة .. فصاح بصوت جهورى يكاد يسمع الكون قائلاً ً .. بس ياعم إنت أبوس إيدك هتطير لي الدماغ .. تعالى قرب هنا .. قربنا .. هكذا قلت وأنا أقترب .. قرب كمان إنت خايف كده ليه ! ياعيني على شبابك يامصر!
أدخلت وجهي بين القضبان قائلاً ً .. كويس كده .. يارب مصر تكون مبسوطه
فابتسم وجهة وأصبح مريحاً ولطيفاً وأشار بأصابعه إلي الداخل قائلاً ً .. الزنزانة دي كان قاعد فيها شهاب . قاطعته مرغماً فلم تعد أعصابي تتحمل كل هذا الضغط وكأني تم القبض على لأواجه شبحاً يخرج كل دقيقة بصورة مختلفة فإستكملت قائلاً ً .. عارف عارف .. كان هنا وكان بيطلع بالليل .. وكان كاتب مذكراته جوه في مكان سري .. وكان بيعدي من الحيطان .. في حاجه تانيه ؟
زالت الابتسامة فجأة عن وجه تماماً واستدار منصرفاً .. في تلك اللحظة سبقنى فضولى للسؤال قائلاً ً .. إلا صحيح هو خد حكم إيه .. واختفي ازاى هما عدموه ولا إيه .. ارتد مسرعاً بكل الغضب مواجهاً لى فابتعدت في اللحظة المناسبة متفادياً تلك البصقة التي عبرت بين القضبان ثم إختفت لا أدري أين استقرت على الجدار ثم انصرف ذو اللون الأبيض مسرعاً دون أن يعتذر فأخذت أتفحص الزنزانة فوقعت عيناي على الآية القرآنية المرسومة بخط اليد "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم " إقتربت متحسساً بيداي لأستشعر ما يوجد خلفها فلم أشعر بوجود شيئاً فحاولت فك المادة اللاصقة.. لكن وقع خطوات تقترب استوقفني فأدرت ظهري للباب مصطنعاً

فرش البطانيه على الأرض ..كان صوتاً مختلفاً هذه المرة تسائل قائلاً ً .. شفت المجرم طلع بيهرب الآثار باليخت !
لم أستطع أن التفت إلا بعد أن أتم الجملة كاملة فلقد كانت تستحق الإنصات ثم استدرت نحوه فأشار لي بيده متعذراً وأخذ يتهته بكلمات سريعة قائلاً ً .. آسف ..أصل .. كنت فاكر ..معلش .. نظرت إليه متفحصاً متفادياً أن أكون مادة السخرية الوحيدة في هذا السجن الذي يستخدم أساليب تعذيب مختلفة فقررت أن أبادر بالهجوم قائلاً ً .. الكلام اللي إنت قلته ده خطير .. عندك دليل على الكلام ده ؟
ظل صامتاً باهتاً إلى أن بالغت في التقمص وسألته قائلاً ً .. أنت إيه علاقتك بشهاب ؟ فتهلل وجهه قائلاً ً .. ده حبيبي إنت تعرفه ؟ إقتربت مشيراً إليه بالاقتراب وقلت بصوت خافت تعرف المذكرات بتاعته مكانها فين ؟
إقترب الشخص أكثر فأكثر وقال بصوت لايكاد يسمع .. امال ليه امبارح قلت إنك متعرفوش ؟
كان وقع جملته على أذني يشبه طبول الهنود الحمر عند احاطتهم بفريستهم جاءني هاجس أن الحل الوحيد هو الاستعانة بشخصية عبد الفتاح القصري .. بمقولته الشهيرة .. كتاكيت .. في شبه حالة من الإغماء اللحظى أخذت أسترجع كل هذا الكم من المصائب التي توالت على رأسي .. فأخذت ألعن الجريدة والعزاء وألعن خالي والموبيل وعربة الترحيلات ولعنت السجن ولعنت نفسي .

الحلقة الثالثة : *Ghehabiat*
كنت استكمل لعناتي عندما استكمل غرس سيفه في عنقي قائلاً ً مافيش حد قالك إن لما محمد بك يكلمك تجاوب زى الناس .. زاغت عيناي وبدأ لساني تظهر عليه أعراض الشلل .
فتابع قائلاً ً .. ما تخافش .
شعرت بالدموع تتحسس قنواتها إلى عيني عندما ظهرعلى الجانب الأيسر بين القضبان ذلك الشخص ذو الزى الأبيض وبالطبع توقعت أن يكون هو أيضاً فلان الفلاني كما توقعت أن يكون ماحدث مسجل بالصوت والصورة ..
طال صمتي مستوقفاً الزمن حتى نطق لسانى قائلاً ً .. أحلف لك بإيه إني ما أعرفوش ولا عاوز أعرفه ده إيه اللي بيحصل ده .. أنا جيت هنا بالغلط .. أنا مظلوم .
ظهرت ابتسامه باهته على وجهيهما وكان صوتي يجلجل في الإستئناف بكامله فإرتدت إلينا أصوات من الخارج ..
وأنا كمان مظلوم .. عليا الطلاق مظلوم .. ياربنا يا بتاع الغلابة .. الرحمه ي أناس .. ولا انتوا خلاص فقدتوا الإحساس .
التفت كل منهما حولهما ثم انصرفا مسرعين و تسمرت قدماى بالباب وذهني شارد غير قادر على استيعاب ما يحدث وإذا بشخصاً بالملابس المدنية مصوباً نظره تجاهي .
كنت لا أشعر بوجودي وكانت قدماي تنسحب إلي داخل الزنزانة منتظراً أن أفيق من هذا الكابوس العجيب المتتالي بلا فواصل إعلانية ولم ألحظ أن عيناي لم تنتقل من النظر إلى المخبر حتى صاح قائلاً ً .. واقف كده ليه يا إبني فيه حاجه. فاشرت بإصبعي وهمست قائلاً ً .. لا شكرا.
إنتبه المخبر إلى عدم موضوعية كلمة شكراً مع الإستفسار فتابع قائلاً ً .. تعالي هنا .. إنت واكل إيه .
فانتبهت إلي أنني لم أتناول الطعام منذ يوم أمس فقلت بشجاعة أنا ماكلتش حاجة من يومين فابتسم قائلاً ً .. بطلت يعني .
فتابعت هو أنا كنت لقيت حاجه وماكلتش .. كنت استدر عطف هذا الكائن الذي يبدو رحيماً

واستطرد قائلاً .. إنت بتجيب من مين وأنا أجيبلك فأجبت أنا جديد هنا وما أعرفش فاقترب أكثر هامساً طيب اجيب لك إيه ؟ رددت متعجلاً .. أي حاجه كل اللي يجيبه ربنا كويس .
فابتسم قائلاً .. يعني تامول ماشي .
فتسائلت قائلاً .. إيه ده .. يعني إيه تامول؟ تحول مرة أخرى الوجه الباسم إلى حمرة الغضب وانصرف هاتفاً بصوت جهوري نام يا عم ربنا يهديك علينا .. هذه المرة استبقت خطواتي مقرراً الإختباء داخل الزنزانة متجنباً الحديث مع هذه الكائنات نهائياً .. فجاء صوت هادىء قائلاً .. مساء الخير .. فأسرعت بالرد قائلاً .. مساء النور.
ثم استبقت الحوار متسائلا .. مين حضرتك.
كان وجهه دسم اللحم والشحم ذو شارب خفيف .. وأجابني ببساطة "رفيق" .. ثم تابع متسائلا .. انت تعرف شهاب ؟
هذه المرة لم أرد نفياً ولا إيجاباً فقلت سمعت عنه هنا فاقترب متهللاً وغمز بإحدى عينيه قائلاً "راجل" .
شكرته قائلاً .. ربنا يخليك.
فاقترب أكثر هامساً .. مش عليك .. أقصد هو راجل له هدف عايز يحققه .
ثم إلتفت حوله وأضاف قائلاً .. وبيحب كل الناس .. عاد بقدمه خطوة ثم إلتفت مرتين حوله ونظر إلي أعلي الدور الثالث وعاد ليستطرد خافضاً صوته أكثر .. بيعامل الناس على إنهم بني آدميين .. بس إحنا بصراحة أي كلام .. بنخّون بعض .. صدقني الراجل ده كان يجبرك تخرج الإنسان الطيب اللي جواك .. ثم التفت جهة اليسار وأشار بأصابعه واستطرد قائلاً عارف الزنزانة اللى في الاخر دى ؟ فيها الجماعة بتوعنا .. وهو كان دايماً يروح يقعد معاهم ويتناقشوا رغم إننا صعب نتناقش مع حد في حاجة تخص الدين بس هو له إسلوب كده يخليك ترتاح في الكلام معاه .. إنت عارف إنه اختفي من هنا في نص الليل ؟
حاولت تبديل قدماي من الألم وأنا أقترب من القضبان مصطنعاً إهتمامى بما يقول وتساءلت "بجد " فأجاب .. صدقني ..
سرحت بخيالي وأنا أسترجع إسمه "رفيق" و"صدقنى" فانطلق لسانى قائلاً رغم أنى لم ألتقى بشهاب شخصياً ولا ادري هل هو شخصية حقيقية أم من صنع الخيال إلا أنني أظن أن إنتشار إسمه بين الناس هنا بسبب ضعف قدراتهم وليس نتيجة لقدراتة .. فليس هناك من يستطيع أن يغير من سمات شخصية متوارثة أو طبيعة بشرية أو إعاقة خلقية ولا أعتقد أن هناك أحداً يستطيع أن يجعل الناس تغير من أنفسها ولكن من المؤكد أنهم يرون أنفسهم فيه .. يرون فيه مايتمنون لأنفسهم ويسعدون بمن يشعرهم بنقائهم وأنهم يستحقون غد أفضل وهكذا يتعلقون به وبالأمل المتعلق به ..
في تلك اللحظات الفلسفية من جانبى كان رفيق يستكمل حديثة عن شهاب دون أن يستمع إلى حرفاً واحداً مما قلته أو ربما أنا الذي لم أقل شيئاً إلا في خاطرى لأننى وجدته يتابع قائلاً .. ده كان تقريبا وصل لزعيم العصابة بتاعة الآثار .
كنت على وشك المقاطعة لأسترجاع ما لم أسمعه ولكني ضقت ذرعاً باهتمامي اللا إرادى فقررت أن أقاطعه وأطلب منه إستكمال حديثاً لاحقاً لأنني متعب وأحتاج إلى الراحة .. كنت أدفع نفسي للخروج بعيداً عن التأثير النفسي الذي يأخذني إلى الرغبة في المتابعة .. فوجدته يستكمل قائلاً .. وكشف الرأس اللي بتساندهم و تمولهم .
استأذنته بالإشارة دون مقاطعة بأن أجلس على حوض الخيل فابتسم قائلاً تعرف كان مسمي الحوض ده إيه ؟
فأجبت بثقة قائلاً .. حوض الخيل .

إبتسم رفيق إبتسامة هادئة قائلاً ..
طب وأنا بأحكيلك ليه ما إنت عندك مذكراته .. سألت مصطنعاً الدهشة .. هنا ؟
فأجاب قائلاً .. أيوه .. ثم ظهرت عليه حيوية غريبة وكأنه سيعبر بين القضبان وأشار بأصابعه "هنا" شايف الآيه دي .. "فيها".
فتسائلت قائلاً .. دورت وراها مافيش حاجة .. فتعجب قائلاً .. دورت ! ليه ! كنت بتدور علي ايه ؟
توجست القلق مرة أخرى قبل الإجابة ولكنني قررت المواجهة وأكملت قائلاً .. واحد جالي هنا وقال لي علي الورق اللي ورا الآيه .. قاطعني متسائلاً .. جمال المحامي ؟
كنت قد بدأت أشعر بالنعاس وأجبت قائلاً .. معرفش اسمه ايه.
وهممت بالاستئذان وإذا به يستأذن فإستدرت متوجهاً للنوم ولكن أذني كانت تستعيد صدي استئذانه بقوله .. أستاذنك دقيقة واحدة ؟
لم تطل الدقيقة وفوجئت بالثلاثي يقتربون من الزنزانة .. كان الغضب مازال واضحاً على وجه محمد بك الذي تجنبت النظر إلى عينيه وتابعت الذي إقترب منهم من القضبان هامساً لي أنا جمال المحامى ومعلش مشيت لأن الشاويش كان بيمر في الطرقه .. ثم أردف جمال المحامى " إمسك " ثم أخرج من جيبه نظارة مطوية ودفعها من أسفل الباب فأخذتها وفتحتها ثم وضعتها على عيني فلم أرى شيئاً وسمعت صوت أحدهم نصحني بالتوجه إلي الآية فاقتربت منها غير مصدقاً عيناي .. كانت الآية القرآنية مكتوبة بكلمات في محتواها وكان التظليل والتحديد هو كتابة مصغرة تضيق وتتسع في شكل فقرات تمثل في مجملها حروف الآية ذاتها وبدأت عيناي تقرأ بعض كلماتها وصوتى يُسمع الثلاثى المنصتون أمام الزنزانة .

الحلقة الرابعة : *Ghehabiat*
كانت عيناي تجريان بين ما كُتب داخل الحرف الأول في الآية القرآنية بحثاً عن بداية وعندما انطلق لساني بأولى الكلمات كان صوت "جمال" هو الأعلى والأقوى قائلاً .. وطي صوتك .
فتابعت بصوت منخفض قائلاً .. في العاشرة من صباح يوم.
فصاح جمال مرة أخرى قائلاً .. بقولك وطى صوتك يا جدع إنت بدل ما تودينا في داهية .
رفعت عيناي ناظراً إليه بإنفعال موضحاً له أن صوتي لا يكاد يُسمع ثم عدت مرة اخرى ابحث عن السطر ذاته بين فقرات كثيرة فلم أصل إليه وتوقفت عينى على سطر غيره فقرأت كانت أصابعي تعمل بسرعة البرق على الصفحة المخصصة لنشر الرواية وفي منتهى السرعة نشرت حلقة بعنوان " عصابة كلوت بك "
صاح جمال مرة أخرى بقولك وطي صوتك .. يخرب بيتك .. شعرت بالغضب وامتلكني الفضول أن انفرد بنفسى وتلك اللوحة العجيبة فأشرت لهم بالانصراف وكأن عصا القيادة قد انتقلت إلي يداي .. فأكد جمال المحامى ألا تقع هذه اللوحة أو محتواها في يد أحد غيره وانصرفوا ..
فجلست مقرفصاً وغرزت عيناى بين السطور وصرت أشعر بشيء يسرى في دمى وكأننى غصت في عالم الأساطير عبر آلة الزمن وتهيأت لفك طلاسم اللوحة وأحضرت القلم والأوراق وبدأت أعيد كتابة محتوياتها في وريقات .. ربما لا أجد صاحبها وأنشرها في جريدتي فأصير كاتباً مشهوراً ثم أخذت أحصى حروف الآية بدون البسملة والتصديق فوجدتها ثلاثون حرفاً فنهضت منتشياً قائلاً تاهت ولقيناها أعملها مسلسل من مسلسلات رمضان أو أنشرها حلقات كل يوم حلقة فربما يدق الحظ بابى ويكتشفها أى دور نشر فتصبح ذات يوماً رواية أو فيلماً .. أو .. ربمـــا يتم ضبطى متلبساً بها فيقطعوا رقبتى .. توجست خيفة فيما قد أتعرض إليه جراء ما أنا مقبل عليه وارتعدت أناملي وأنا أفرغ محتويات حرف الألف الذي هو الحرف الأول من حروف الآية " إن

تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم" لذا قررت أن أذيل القصة بإقرار إبراء ذمة من كل ما تحتويه اللوحة وأنني مجرد راوي للقصة و لا أعرف من صاحب اللوحة وأننى براء من كل أحداثها وشخصياتها وكل ما يترتب على نقل ما بها أو نشرها من عواقب .. وأن العهدة ليست على الراوى وهذا إقرار مني بذلك - القاهرة - "الزنزانة الأبدية "

كنت متقوقعاً في زاوية زنزانتى عندما بدأت أكتب ما قرأته بين سطور اللوحة السرية المعلقة بالزنزانة الأبدية والتي كانت تصف مشهداً دقيقاً يقول .. كعادة اليوم بينما كنت متوجهاً إلى مكتبي في العاشرة صباحا و تلقيت مكالمة هاتفية من صديقي "راضى" يسألني عن مكاني فأخبرته أنني في طريقي إلي المكتب فاقترح على أن أترك سيارتي ليقلني في طريقة بسيارته لنتحدث خلال الطريق عن بعض الأشياء وما أن وافقت حتى كان "راضى" أمامى في أقل من دقائق معدودة ثم إنطلق إلي الطريق فأخبرته أنني لست في عجلة من أمرى ويمكن أن نناقش الأمر الذي يريدني فيه فهز رأسه أن لاضرورة لذلك ريثما نصل إلي المكتب .. إهتز هاتفي في جيبى وكان المتصل "سليمان" من مكتبى ويلقى إلىّ بالإستفسار عن مكاني الآن فأخبرته أنني في الطريق فقال أنه يوجد ضيوف بانتظاري بالمكتب فسألته عن أسمائهم فقال أنه لايعلم ولكن الملفت أن أحدهما سأل عنى بالإسم كاملاً ..تنبهت أنها زيارة رسمية جداً وبدا علي "راضي" بعض التوتر أثناء القيادة و بوصولنا إلى المكتب وجدت في الإستقبال شخصان لم أرهما سابقاً فاستقبلتهما بحفاوة وطلبت منهما التفضل إلي المكتب لتناول القهوة وجلسنا جميعاً ولمحت "راضى" يجلس بعيداً ويتصفح جريدة قديمة كانت ملقاة على المنضدة ويحاول تجنب التعارف والحديث طلبت لنفسي فنجان القهوة الصباحي و للضيوف ما طلبوه من مشروب الشاي وبدأ مشوار لم ينته حتى كتابتي له الآن بعد ثلاثة أشهر كاملة .. ثم تبادلنا عبارات الترحاب للمرة الثالثه ..أهلاً و سهلاً .. رد التحية الشخص الأصغر قائلاً .. أهلاً بحضرتك فسألته هل تعارفنا سابقاً .. فقال لا .. لكن أنا أعرف حضرتك كويس وقال موجهاً قوله إلى زميله إيه يا عم هو الحكاية صوت بس لكن ما تعرفوش بعض .. نقلت بصري إلي الشخص الآخر الذي بدا متديناً هادئاً تبسم بدوره قائلاً ً لقد تحدثنا تليفونياً من قبل عندما كنت تساعد أحد المقاولين بسيناء كي يستخرج تصريح عبور للنفق خاص بلودر أو شئ من هذا القبيل .. لقد كان يذكرني من باب الحرج كي أصل من تلقاء نفسي ليس إلي إسمه وإنما إلي جهة عمله فقلت منتبهاً يا أهلاً بالرجاله .. بدأ زميله يهندم من ملابسه فالتفت إليه وأنا أتابع وقع كلماتي على وجهه قائلاً .. وإنت أكيد سواق اللودر بتاع التصريح.

فأشار بأصابعه مصطنعاً إبتسامة باهتة قائلاً .. لا .

وانتقل بعينيه تجاه "راضى" الذي إبتسم مسقطاً الجريدة عن وجهه فقلت على فكرة ده الاستاذ "راضى" .. فأومأ برأسه قائلاً ً .. أهلاً وسهلاً .. تشرفنا .. فابتسمت قائلاً ً .. خير يا بكوات.

فبادر الذي يتوسم في نفسه القدرة على الكذب قائلاً ً كنا في مأمورية في هذه الأنحاء وتعطلت سيارتنا وقلنا أن مكتبك قريب وإن كان في إمكانك متفضلاً أن تقلنا بسيارتك إلى مكتبنا فقلت مختبراً قدرته على الاستمرار في الكذب طيب إيه رأيك إن في المكالمة بتاعة اللودر ماقلتش مكتبي فين .. فأجاب اللي يسأل مايتوهش .. فتابعت متسائلا فين تعطلت السيارة كي أرسل أحدا لإصلاحها ..فلاحقني قائلاً .. لا .. لا داع لذلك .. كنت على وشك أن أستمر في مداعبته وأنا أتناول القهوة وأنظر إليه من أسفل إلي أعلي فما لا يعلمه أنني أمقت الكذب والكاذبين .. قاطع زميله الحوار وبدا أنه قد توصل إلى مادفعتهم إليه أنه لابد من المواجهة ولا فائدة من الحيلة فقال حضرتك هتوصلنا ونشرب القهوة هناك ولا إيه .. فقلت طبعاً ولكن عذرا لأنني لم أصطحب سيارتي اليوم ولكن الاستاذ "راضى "متفضلاً سيقوم نيابة عني بتوصيلكم فالتفت "راضى" تجاهي وكأنه يخلصهم من تلك الورطة وأسرع بالتصرف موجهاً مفتاح سيارته سريعاً بإتجاهي قائلاً ً "العربية تحت أمرك" فقلت

"واحد ياستاذ راضى أنا وإنت واحد" وتابعت قائلاً .. وإذا كان على القهوة .. أكيد في أقرب وقت حأعدى عليكم أشرب القهوة معاكم ثم تابعت .. اتفضلوا فتسمرت قدم الكاذب الصغير وكأنه على وشك أن يبكي قائلاً ً يافندم أرجوك تعالي وصلنا مع الاستاذ "راضى" .. كان الباب مغلقاً ونحن جميعاً وقوف إلي تلك اللحظة حتى فتحه "عمار" بقوة متعجباً من سبب وقوفنا جميعاً هكذا فدارت ذاكرتي سريعاً فيما لو شعر "عمار" بما يضمره الرجلان ومن توقع حدوث مواجهه أو تطاول منه عليهما فاضطررت إلى إنهاء الموقف بيدى لا بيد "عمار" وأشرت لهما بإستباقى إلى السيارة بينما كنت اتمتم في صدرى حتى بعد نهاية الخدمة بيجيلى تكليف بمهام سرية ..
كنت أسترجع الحوار الذي لم يذكر فيه بأن الضيوف ينتميان إلى جهة بعينها بينما نزل "راضى" مسرعاً وأدار محرك سيارته وانتظر حتى إستقر الجميع داخلها ثم أخذ يقود دون أن يسأل سؤالاً واحداً إلى أن توقف بالسيارة أمام بوابة مكتبهم فنظرت إليه قائلاً .. انت عرفت منين ان ده مكتبهم ؟ أجاب "راضى" ببرود شديد " ياباشا طالما سبتونى من غير توجيه في الطريق يبقى أكيد أنا مشيت صح " .. توقف الحديث عند فتح البوابة ودخلت السيارة إلى حيث لن استقلها مرة اخرى .. بدا النشاط المرتبط بتواجد الشخص بمكانه وشعوره بالسلطة والقوة يظهر على وجه الكاذب الصغير حينما قال" اتفضل .. اتفضل فوق .. "كنت أسرع الصعود على الدرجات إلى أن فتح أحد المكاتب وأشار لنا بكف يده كما خدم القصور لنجلس في الإنتظار ثم أغلق الباب خلفه ..
جلست وأشعلت سيجارة وجلس "راضى "بالكرسي المجاور ونظر إلي قائلاً ً يمكن في سوء تفاهم فنظرت إليه بطرف عيني قائلاً ً يعني مش جايين نشرب القهوة فقال "الصراحه كده مش شكلها قهوة خالص" فابتسمت قائلاً ً في جميع الأحوال إنت هتخرج من هنا وأتمنى إنك تكمل جميلك و ترجع المكتب عندي تبلغهم إني اتقبض عليا .. كانت يدا "راضى" تعبث بالمنضدة المجاورة عندما فتح الباب مرة أخرى بصوت إتفضل يا شهاب بك فنظرت إلي "راضى" مودعاً .. كان يجلس على مقاعد الضيافة شخصاً بديناً بدا متوتراً ..أخذت عيناه تتفحص كل شيء وكأنه يجري تقديراً دقيقاً ... جلست .. فبادر المسئول قائلاً أستاذنك الموبايل فابتسمت قائلاً ً الرقم ولا الجهاز نفسه .. فأجاب الإثنين فنظرت إلي الشخص الآخر قائلاً ً "خير هو في إيه" فرفع ورقة باهتة قائلاً ً في أمر تكليف بمهمة سرية يرافقه أمر بالقبض عليك وزراعتك بأحد السجون لكشف رؤوس عصابة لتجارة الآثار .. فأجبت على الفور "وأنا جاهز " .. ثم وقفت دون إنتظار فتابع قائلاً .. التواصل مع القيادة هيكون عن طريق صفحة ثقافية على الانترنت .. بالتوفيق ..
تحركت فسابقت خطواتي نزولاً خطوات الشاب الذي إنتوي عدم الكلام طوال الرحلة .. فتوقفت بمحاذاة الدور الثاني كي يمر أمامى فوجدت يده تستعرض ظهري وكأنما يدفعني إلي الأسفل فنظرت إلى عينيه الزرعية اللون قائلاً كان معي الاستاذ "راضى" فأجاب "روّح" ثم أضاف لو سمحت "الموبايل" ناولته الجهاز وأنا أضغط بأحد أصابعى على زر الإغلاق ويدى الاخرى تتلمس هاتفي البديل بجيبي والذي وضعته مسبقاً على وضع العمل الصامت .. هاهي السيارة .. يالها من رحلة شاقة كنت قد استرحت من تلك الأنواع من السيارات بعد تقاعدي منذ عامين فأنا موقن بأنها ستقطع المسافة بسرعة السلحفاة وتشبعني بجميع أنواع الغازات المسيلة للدموع وتعزف في اذنى مقطوعات الإزعاج وتمنح جسدى جرعات العلاج الطبيعي الإجبارية بالمطبات أو بدون .. هاهي المصيبة الأكبر بالمقعد الخلفي حيث سأجلس في نصف مقعد فقط نظراً لوجود جثة عملاقة تجلس بالنصف الآخر تتقمص شخصية مخبر أصلع الرأس جاحظ العينين نزل بنشاط من السيارة كي يبرهن أنه لا يزال حياً يرزق وجاهز للقيام بالمأمورية بل ويتفهم مهامه تماماً حينما أقدم على تفتيشي ليتأكد أنني لا أحمل سلاحاً ثم أشار لي بالدخول للجلوس بالجانب الأيسر خلف مقعد السائق مما ذكرني بأن هناك سائق أيضاً يشاركنا رحلة العذاب
وما كدنا نصل إلى وجهتنا في إحدى مناطق القاهرة الراقية حتى ألقى السائق علبة عصير فارغة

من النافذة إلى الشارع فوجهت إليه العتاب متسائلا "تفتكر مين اللي هيشيل العلبة اللي رميتها دي" فالتفت السائق وكأنه لا يصدق أن المقبوض عليه يشغل فكره بنظافة الشارع فأجاب قائلاً "ما هو الشارع مليان زباله ماجتش على العلبة دي" فتابعت قائلاً ماهو لما الشارع يكون مليان زباله معني كده ان مافيش حد بيشيل الزباله منه يبقى ما ترميش فيه وتزوده .. فأردف السائق قائلاً .. أخيراً وصلنا .

الحلقة الخامسة : *Shehabiat*
كانت آخر كلماتى التي دونتها نقلاً عن اللوحة وأنا منهمكاً في زنزانتى هى أخيراً وصلنا .. ولكنها لم تكن آخر ما قرأته فلقد سبقت عيناى الأحداث بلهفة فقرأت بعضاً من ما كتب داخل الحرف الثالث في اللوحة لأعرف ماذا حدث بعد الوصول ولكن وقع أقدام كثيف أخذ يرج سجن الإستئناف كأن هناك هجوم تتارى .. أعداد غفيرة من المخبرين يحملون الأسلحة لمحت أحدهم ينظر إلى وانكمشت في ركن الزنزانة أدعو بكلمات لا أذكر منها الآن شيئاً .. مر الوقت طويلاً ثقيلاً فقررت أن أصطنع بعض الجرأة وتقدمت إلى القضبان الحديدية فرأيت مايقرب من خمسون سجيناً يجلسون خارج عنبر الحبس والمخبرون يقفون حولهم للحراسة ..صور لى خيالى الساذج أن هناك هجوماً يأتى من خارج أسوار السجن وأن الجنود يستخدمون نوافذ الزنازين المواجهة للشارع لتأمين الأسوار.. تسارعت الخطى صعوداً وهبوطاً ومر وقتاً طويلاً لم يطلق فيها الجانبين طلقة واحدة فتصورت أن الهجوم المنتظر لم يحدث بعد .. إنتهت زقزقة الطيور المتسرب صوتها من نافذة الزنزانة معلناً الثامنة صباحاً عندها مر من أمامي مخبر يبدو فلاحاً بسيطاً فانطلق صوتى فجأة "هو في إيه" نظر إلى ببراءة وهو يقول "تفتيش المصلحة" عندك ورق أبيض ؟ فأجبت متردداً " لا طبعاً .. ولا ورقه .. ؟ انصرف الجندى وتنفست الصعداء وأخذت الملم كل الأوراق البيضاء والزرقاء التي دونتها والتفت حولي باحثاً عن موضع لا تصل إليه عين ولا يد .. كانت نفسى تحدثنى بأننى قد تورطت في ما ليس لى قدرة عليه وبدأت أتخيل وصول التفتيش إلى زنزانتى وهم يذيقونى ما لذ وطاب من صنوف العذاب ..كانت الأوراق في يدى تزيد عن حجم الرزمة أو هكذا تخيلتها نتيجة خوفي وظلت عيني تنظر إلى اللوحة التي أخرجتهم من خلفها وكأنها لن تحتمل إحتوائهم مرة اخرى فلقد كانت مصفوفة بطريقة تحتاج إلى وقت لإعادتها إلى ما كانت عليه. . حتى وإن مزقتها فأين أخفيها ؟ كانت الأصوات تتزايد وتعلو وتقترب فاقتربت خافياً الأوراق في ملابسى خلف ظهرى وممسكاً بالقضبان كيفما تصور الأفلام سجيناً ينتظر الحكم وبداخلي رغبة ملحة في الصراخ والبكاء أوقف كلاهما عن الخروج مرور أحد الباشوات في زيه الرسمي أمام الزنزانة والتصقت عيناى على وجهه دون رغبة مني فكانت سبباً في توقفه موجهاً سؤاله " إنت إيه " ؟ لم أطل في البحث عن إجابة تناسب السؤال وأجبت سريعاً جداً "مسجون" .. فكان هو الآخر سريعاً في سؤاله التالى " لا ياراجل "؟ تنبهت فصححت قولى " أقصد مسجون ظلم ياباشا " .. استدار الباشا مخاطباً المخبرين .. إفتح لى هنا يابنى .
فجأة سرت الفرحة بوجدانى وتراقصت عيناى وصاح لسانى قائلاً .. ياما انت كريم يارب .. ربنا يخليك ياباشا .. إنت حضرتك ربنا بعتك ليا من السما .. نظر الباشا في عينى نظرة عميقة وهو يفتح الزنزانة قائلاً "إنت عبيط يابنى" ؟ في غمرة سعادتي بالحرية اندفعت قائلاً " لا ياباشا بس كنت شاكك إن يكون في حد لسه كويس زى حضرتك كده ينصر المظلوم .. و أنا معملتش حاجه أصلاً ده أنا كنت بتكلم في الموبايل ".. قاطعني الباشا وهو يجذبني بيده اليسرى من خلف رقبتى رافعاً صوته في اذنى قائلاً "وكمان عندك موبايل" طب إطلع لى بره كده .. إستوقَفتُ الباشا بإستدارتي موضحاً له أن لى حقيبة بالداخل سأدخل لأخذها قبل أن أغادر السجن .. إنفعل الباشا قائلاً .. طلعوا الغبي ده بره .. كانت سرعة المخبرين أسرع من الأمر نفسه قبل أن يكتمل

.. وكان سلوكهم أعنف من إحساس الحرية الذي كان يسرى في دمى ..منهم من كان يصدم ساقى بحذائه ومنهم من يطوى ذراعى خلف ظهرى بينما تسابق عدداً من المخبرين إلى الزنزانة متلاطمين مع جسدي فغصت في دوامة من تضارب الفهم أفقت منها على يداي مقيدتان أعلى رأسي وموثوقة في عمود كبير بظهري ونيران الألم تحرق أكتافي ويتسلل لهيبها إلى لسانى فيرتجف بصوت أنين لا يخفي عن السامعين .. كالدهراً مر الوقت أكابد تحمل الألم حتى خرج الباشا من الزنزانة موجهاً سؤالاً مباشراً إلى عيناى "فين الموبايل يا بني إنت ؟ تزامن السؤال مع صفعة كالجبل سقطت على وجهى فصارت الوجوه في عيناى أكبر حجماً وأصوات تأتي من كل مكان حولي وداخلي و الصفعات تتوالى .. شعرت حينها أن وجهي قد تمدد إلى أن بلغ صدرى ولم تكن رقبتى تفعل شيئاً ينم عن وجودها .. "مافيش حاجة يا باشا" كانت هذه الجملة سبباً في إنقطاع الصفعات .. لكنها تحولت إلى لكمات .. "الموبايل فين يابني " .. إنت مش قلت كنت بتتكلم في الموبيل ؟ تعلقت بحنجرتي كلمة واحدة أردت أن أصفه بها تعبيراً عن قدراتة العقلية المتدنية لكن الكلمة أبت أن تغادر حنجرتى كما أبت أن يرسمها سن قلمى وأنا أكتب الآن .
ثم رفع الباشا بعض الأوراق أمام عينى متسائلاً .. ورق إيه ده .. وإيه الجهات اللى انت كاتب لها الكلام ده .. إنت جاسوس ياله ؟ تعاظم السؤال في اذنى وأصاب لسانى شلل تام ثم نظر إلى الآلآت البشرية قائلاً ً الزنزانة دي مش بس تتفتش .. هاتوا لى الجدران دي على الأرض دوروا في كل شبر فيها .
كنت مازلت مقيداً بالقائم الحديدى وذهنى منبطح أرضاً يسترجع مرات ومرات كونى مجرد عابر سبيل تورط في مشكلات متتالية نتيجة مصادفة كلمات كتبت بيد شخصاً لا أعرفه فنالني كل هذه القسوة فما بال صاحب القصة الذي سطرها داخل آية قرآنية كل ما فعلته هو إعادة نسخها كتابة .. وحين تذكرتها رفعت عينى متلصصاً كى أرى ماحدث لها وكنت متمنياً أن لا تكون قد طالتها أيديهم .. فوجدت نصفها معلق بيد أحدهم يكاد يلقى به على الأرض ويقدم على نزع ما تبقى منها .. نازعت روحى قائلاً ً حرام عليكم ده قرآن .. مال الباشا نحوي برأسه واضعاً يده بجيبه قائلاً ً " في دى معاك حق " ثم تابع موجهاً حديثه إلى أحد الآلآت البشرية المدمرة " يا أخى ده كلام ربنا .. إحرقها بقى علشان حرام " .. لا.. صرخت بآخر ما تبقى في روحى من قوة وتابعت سيبها حأبقى ألصقها ..
فعاد الباشا مرة أخرى يسألنى "وشايل اللصق فين " ؟ وكان ما قاله كأنه شفرة يحرك بها آلآت الدمار فعادت الأقدام تمارس رياضتها على جسدي بينما عقلى يخيرنى بين الموت أو الإغماء ويبدو أننى تخيرت الأخير .. أفقت على زجاجة خضراء تملأ عيناي و فوهتها محشورة في فمى تصب مشروب غريب الطعم يشق جوفي وخلفها رأيت وجه مسئول السجن ذو القدمين صاحب العينان المتخاصمتين هادىء الوجه مبتسماً يقرأ ما كتبته من القصة ثم رفع رأسه نحوي قائلاً ً .. مقولتش ليه من الأول إنك تبع شهاب .. كدت أسبه بعيناي .. عندها سمعت صوت ينطق " حمار " نقول إيه بقى في حظنا الاسود .. وقعنا في إيد واحد حمار .. كانت هى نفس الكلمة التي دارت في رأسى فبحثت عن مصدر الصوت فوجدته "جمال" المحامى فتعجبت من جرأته في سب الباشا بهذا اللفظ .. وتعجبت أكثر من عدم إستياء الباشا بل أضاف "حمار برأس عجل " على رأى شهاب .. ثم تصافحت كفوفهما وعلت الضحكات وهما ينظران تجاهي
.. استجمعت بعض من قوتى قائلاً ً .. أنا زعلان منك يا جمال إنك ماحذرتنيش إن الورق الأبيض ممنوع ثم إلتفت مواجهاً للباشا قائلاً ً كمان حضرتك مقولتش إن الورق ممنوع وبالحظ عرفت لما المخبر سالنى عندك ورق في الزنزانة عشان في تفتيش من المصلحة .. إستوقفت كلماتى ضحكاتهم وبرز من خلفهم رجل أصلع الرأس يبدو في زى السجن كهيئة رجال الأعمال واضعاً يداه خلف ظهره تقدم بضع خطوات تجاهي ثم توقف أمامى متسائلاً .. انت صحفي انت ؟ فصححت

له قائلاً .. تحت التمرين ..لسه .
فتابع قائلاً ً .. تمرين إيه وزفت إيه ؟
ورق أبيض يبقى ممنوع ازاي يا راجل ؟ صحت بقوة "المشكلة مش في الورق .. المشكلة في اللى مكتوب في الورق" فتهلل وجهه مقترباً ومتسائلاً "أيوه إيه بقى اللى كان مكتوب في الورق ؟ فأجبت بشجاعة "ماهو الورق في إيدك .. قاطعني بهدوء شديد قائلاً ً .. لا مش ده أنا عاوز اللى كان في الآيه .. قبل ما تتحرق .. تحركت عينى بسرعة البرق بحثاً عن اللوحة فوجدت بقايا رماد أسود كئيب بين قدمى جمال الذي توجه بكلماته نحوي قائلاً .. يابنى فكري بك ده حبيبنا وما تقلقش وقول كل اللى قريته في اللوحة .. عاوز ورق نجيب لك .. وإنت تركز وتكتب كل كلمة قريتها .. قاطعته قائلاً ً .. أنا قريت اللوحه كلها .. لكن كنت بأنقلها بالنص .. دلوقت مش حاعرف أكتبها بالطريقة اللي كانت مكتوبة بيها .. إنفعل فكرى بك وهو يمد تجاه وجهي برزمة من الأوراق البيضاء مغلفة موجزاً
كلماته قائلاً .. إنت هتعمل لنا فيها أنيس منصور ..؟ اكتب زى ما تكتب .. المهم تكمل القصة .. عايزين نفهم ايه اللى حصل لشهاب .
شعرت من كلمات فكري بك كأن بيني وبينه ثأر بايت فحاولت ملاطفته قائلاً ً "طيب روّق يا باشا .. حاضر .. طالما تحت حمايتك خلاص أكتبها .. أضاف فكري بك قائلاً .. قدامك اسبوع .
فأجبته قائلاً .. مش كفاية يا باشا ده الكلام كتير جداً .. فقاطعني بعصبية قائلاً .. لا يا سيدى ولا كتير ولا حاجة .. إنت اللى بتغرز في التفاصيل بدون داعي .. ثم أضاف قائلاً .. تفرق إيه مع الشعب إذا كانت عينى واحدة بتبص على عامود النور والثانيه على كتفك ..الشعب ماله ومال عينى أصلاً ؟ بقى اللى زيي كده إسمه "أحَوّل" في كوكب الأرض مش كده ؟ كانت الضحكات المكبوته خلف ظهره تدل على أن الجميع يضحكون إلا هو وبالطبع أنا أيضاً فحاولت أن أجبر خاطره قائلاً ً وأنا أنظر إلى عينيه .. يعنى حضرتك تقصد أختصر في التفاصيل الدقيقة .. فأجاب "أيوة يا سيدى ..اختصر .. إكتب عن عين واحدة اللى تلاقيها باصه عليك.
لم أتمالك نفسي عندما سمعت ما قاله وأنا أنظر إلى عينيه وارتسمت على وجهى بسمة وقحة تمادت في الظهور إلى أن صارت ضحكة مسموعة صاحبها دمع بعيني والكلمات ثائرة بداخلى فاندفعت قائلاً .. ماهو ياباشا ولا واحدة فيهم بتبقى باصه عليا.
إنفجَرت ضاحكاً وتعالت ضحكات الجميع بما في ذلك فكرى بك نفسه إلى أن تماسك قائلاً ً .. عارف لو جبت سيرة عينى أو الكلام اللى حصل ده ؟ .. بقولك تانى .. إنت تكتب اللى قريته وبس من غير ما تحط التاتش بتاعك .

الحلقة السادسة : *Shehabiat*
كانت رأسى تشير لفكرى بك بالموافقة على كتابة القصة وقليل من الإبتسام يتوشح وجهي وما أن أتم فكرى بك تعليماته حتى بادرت بالسؤال قائلاً .. هو حضرتك عاوزنى أكتب القصة ليه .. هو حضرتك تعرف شهاب ؟
انفجرت الضحكات من حولى واقترب فكري بك وجلس بجانبي متربعاً ويديه أمام ساقيه قائلاً ً .. شكلك ناوي تبدأ بيا ".. طيب حأحكيلك بس بشرط تسيبك من عينى ورجلى وتركز في المضمون .. مش بتلاقى في الروايات كده حوار بين اتنين ؟ ممكن تكتب بنفس الطريقة .. فكرى و نقطتين فوق بعض ..عادل ونقطتين فوق بعض .. وتكتب ده قال ايه وده قال إيه ؟ من غير لا عيون ولا يحزنون ؟ نظرت إلى فكري بك وأنا اعتدل في جلستى متقمصاً شخصيته قائلاً ً " ياباشا كل أديب وله اسلوبه و دور الكاتب هو توصيل القارئ لتخيل الموقف ومعايشته في المكان والزمان وإن إستطاع أن يجعل القارىء يشتم الرائحة ليتعايش مع الأحداث لفعل .. قاطعني فكري بك قائلاً ً ..

يا سيدي اكتب زى ما تكتب إنت شايف القصة رايحة تأخذ جائزة البوكر" ؟ بدأت أستعد للرد حين تابع فكرى بك قائلاً .. ماكنتش أعرفه .. ثم تابع .. كانت دخلته السجن غريبه .. كنت في تفتيش في الحوش .. ولمحت وجه غريب داخل من البوابة وبيسأل عن المسئول اتحركت وقابلته قدم نفسه بإسم
"هانى " كان شكله وسيم جداً شعر أصفر وعين ملونه .
أشرت بأصبعي مقاطعاً فكري بك قائلاً .. شفت بقى مين اللى بيجيب سيرة العيون ؟ تبسم فكري بك ثم استكمل بجدية قائلاً .. فتح لى خطاب القرار فقرأت " الاقتراب من منطقة محظورة " وبحثت في جيبى عن قلمى لإمضاء إقرار الإستلام لكنه استوقفني قائلاً .. لازم نقعد عشان أفهمك شوية حاجات عنه .
فأشرت إلى المكتب ولاحظت أن عيناه تتابع ما يحدث للمساجين في حفل الإستقبال دون أن يصدر تعليقاً ويبدو أن ما يحدث لم يكن غريب عليه ..
كان يسير كالجليد حاداً شديد اللهجة عندما سألته عن ما يود من مشروب و دفعني للدخول في صلب الموضوع مباشرة .
فتسائلت " إيه حكاية الراجل ده " فأجاب كل إللي أقدر أقوله إن في تعليمات من أعلى مستوى بخصوص التعامل معه وتحذيرات من مناقشتة أو الحديث معه .. بمعنى أدق حظر إدارة حوار معه نهائياً من إدارة السجن .
الخلاصة هو جاى ينفذ مهمة سرية .. إستوقفت كلماته بقولى .. طيب ما تقولي محتاج ايه و أنا اساعدك ؟
فانتفض بنية الانصراف وتوقف عن الكلام قليلاً ثم تابع قائلاً .. ياريت توقف المهزلة اللى بتحصل بره دى وهو داخل اذا كنتم مش عايزين مشاكل بسبب تقاريره.
غادر هانى ودار عقلى عندما وقعت عينى على المساجين تحت أيدي المخبرين وهو على وشك الدخول وكنت أنتظر دخوله فأسرعت بإصدار أمر
بوقف التفتيش وتزامن ذلك مع لحظة دخوله فانتقلت كل الأعين إلى البوابة بحثاً عن سبب إيقاف التفتيش وكان المشهد أمام الجميع .. رجلاً طويل القامة في الأمام ورجلين من خلفه يحمل كل منهما حقيبة ويحيطون في المنتصف بشخص غير مقيد على الإطلاق .. يلتفت يميناً ويساراً وكأنه في زيارة تفقدية .. كان وسطاً مريح الوجه يرتدي اللون السماوى وموكبه يسير تجاهي بكل تأكيد ..
فقررت أن أستمر في أداء عملي وأن يكون صمتي هو أنسب لغة للحوار .. مد هانى طويل القامة يده بخطاب القرار
وأومأت له برأسي فاستدار للمغادرة وأمر رجاله بوضع الحقائب والانصراف ثم مد يده مصافحاً شهاب وتمتم بكلمات تبسم شهاب بعدها والتفت حولي فوجدت كل من بالفناء في صمت رهيب يتابعون مايحدث فقررت أن أقطع الحدث صارخاً بأعلى صوتى " ياغانم" إطلع فوق قول لناصر يجهز" الزنزانة الأبدية "
كنت أتظاهر بالشدة وأنا أصدر الأمر للمخبر غانم بالصعود إلى زميله ناصر المسئول عن الدور الثانى لتجهيز الزنزانة لإستقبال "شهاب" وكان رد غانم أشبه بصب ماء بارد فوق رأسي على مرأى ومسمع من الجميع قائلاً .. ناصر هنا جنب حضرتك ياباشا .. أشعرنى رد ناصر السريع "خدامك يا باشا" بقدر كبير من الارتياح وكنت قد تعمدت عدم النظر إلى وجه "شهاب" وليس فقط عدم الحديث معه وبالتزامن مع انصراف هانى ورجاله قررت أن أُلقى بغانم إلى التهلكة لما سببه لى من حرج وإنفعلت قائلاً .. مستنى إيه يا غانم ما تشوف شغلك مش في إيراد جديد وصل .

.. تعلقت عيناي بغانم وأنا أتابع تحركة نحو "شهاب" وتفتيشه ومصادرة أى مخالفات في حقائبه لا تسمح بها قواعد السجون وظل عقلى يتصور ما يمكن أن يحدث من حوار بينهما إلا أن "غانم" إتخذ خطواته تجاهي قائلاً .. الموبايلات ياباشا .
لفت غانم نظرى بأنها مهمتى الشخصية وكأنه يعيد الكرة إلى ملعبي مرة أخري فتابعت بصوت مرتفع قائلاً .. ما اظنش ان معاه موبايلات ياغانم إنت مش شايف جاى منين ؟
فتجرأ غانم موجهاً سؤاله إلى شهاب قائلاً .. معاك موبايلات ؟
فأجاب بصوت هادىء قائلاً .. معايا إثنين.
فتابع غانم قائلاً .. الموبايلات ممنوعه والفلوس ممنوعه .. توجهت لغانم بالأمر " شوف ياغانم معاه إيه و احفظهم في الأم أنات و أى ملابس غير اللون الأزرق وبعدين تطلع على الدور الثاني وأنا حأفّهم ناصر يعمل إيه .
كان شهاب قليل الكلام يتسم بالاحترام فشعرت أنه ليس هناك داع للقلق من الحديث معه وكذلك لا داع للقلق على غانم فانصرفت متخذاً ناصر بذراعى وأوضحت له بعضاً من النصائح التي ذكرها "هانى" وما ذكره من تعليمات .. ثم تابعت المرور للإشراف على المساجين وصعدت إلى الدور الثانى وأنا أبلغ رئيس المباحث هاتفياً بما رزق به سجن الإستئناف اليوم الذي بدوره قاطعني قائلاً " ترفض استلامه " فتابعت أرفض إيه ياباشا بأقول لمعاليك الجواب جاى من أعلى مستوى كان لازم أستلمه .. إرتفع صوته قائلاً " طيب بقولك إيه طالما إنت إللى استلمت تبقى مسئوليك .. أنا مرفوع علّى خمسة وأربعين قضية مش ناقص يعنى .. وفَهّم الناس عندك مافيش أى إحتكاك ولا مد إيد على حد في وجوده .. وخد بالك على نفسك يا أبو الأفكار عايزين نأكل عيش يا آبا و عاش الملك مات الملك .. انت بتقول سايبه في التفتيش .. زمانه عمل حوار مع المخبرين كلهم .. تفتيش إيه اللى بتعمله وهو جاى من أعلى مستوى؟
سمعت لأول مرة صوت القلق يهز الأحبال الصوتية لأكثر رجال المباحث قوة وشراسة وأشهرهم في فنون القتال ..
شعرت بالخوف ينتاب مثّلى الأعلى فحاولت تهدئته قائلاً .. أعلى مستوى ؟
ده جاي معه موبايلات وفلوس .. قاطعني بصوت صاخب قائلاً .. يانهار إسود . أخذ الصمت من كل أنا زمناً زاغت فيه عينى ترصد حركة السجن حتى سمعت صوت زوجته تحدثه قائلة مالك يا "محمد" في إيه ؟ وسمعت رده سريعاً يقول ده فكرى معايا على الخط بيقول جالنا مصيبه في السجن .
فتابعت زوجته قائلة .. تفتيش؟
فتابع قائلاً .. ياريت .
فاستأذنت في إنهاء المكالمة عندما وجدت نفسى فجأة داخل مكتبى ولا أذكر كيف قادتني قدماي إليه فإستدرت تجاه الباب وإذا بصدرى يرتطم بصدر غانم فصرخت في وجهه قائلاً .. أنت هنا ليه .. وفين الراجل؟ فأجاب غانم بهدوء قائلاً .. وإنت نازل يا فندم شاورت لى أنزل .
لم يكن ما سمعته أذني بالشىء اليسير .. فأنا لا أذكر أننى أشرت لغانم بشىء كما أن مصطلح "أفندم" ليس من أعرافنا .. فنظرت لغانم مدققاً بصرى وسألته قائلاً .. غانم .. هو إنت قلت يا فندم في وسط كلامك ؟ فأجاب غانم قائلاً .. لا يافندم .. خالص.
جلست وأشرت لغانم بالجلوس وأمرته بإغلاق الباب ثم وجهت له سؤال مباشر " قول لى يا غانم .. إيه رأيك في الراجل ده ؟ رد غانم وكأنه متلهفاً للحديث قائلاً .. بص ياباشا .. أنا راجل فلاح واللى في قلبى على لسانى وتقول لى تعرف فلان أقولك أيوة تقول لى عاشرته اقولك لا تقول لى يبقى ماتعرفوش .. لكن الراجل ده الحق يتقال ومن غير ما أعرفه أقولك إنه راجل محترم .. ومن الآخر كده "بيعرف" ومافيش حد ينفع يكذب عليه لأنه بيبص جواك " سمعت ناقوس الخطر يدق

في أذنى إلى أن أنهى غانم آخر كلماته " أنا عن نفسى لو في ايدى اى حاجه أعملها .. حأعملها هو احنا هنفضل ساكتين كلنا كده لحد ما نشيل الطين ؟
ظل ناقوس الخطر يدق متوافقاً مع هاتفي الذي إهتز بالرنين عندما ألقى غانم "بالطين" فوق رأسى ولمح بطرف عينه أن زوجتى هى المتصل فاستأذن بالانصراف ولاحقته بكلمات يائسة قائلاً .. بقولك إيه .. ملكش دعوة بالراجل ده ولا من قريب ولا من بعيد.
كنت قد ضغطت زر الإيجاب فلم أنتبه إلى رد غانم .. حاولت أن أكون ودوداً عندما سألتني زوجتي قائلة .. غريبة أوى .. ولا رنه من الصبح .. ولا حتى سألت إنتى فين ؟ فأجبت قائلاً .. كويس انك اتصلتى .. علشان شكلى كده حأتأخر شوية النهاردة .. وأغلقت مسرعا وهرولت إلى الدور الثاني وأنا أهمس في صدرى قائلاً .. ناصر.. يارب ألحق ناصر.. كان ناصر يجلس على مكتبه فانتفض واقفاً حينما إقتربت منه فجلست وأشعلت سيجارتى وأخرجت السؤال مع زفير دخانها قائلاً .. أكيد جاى تعبان ونام طبعاً .. قولى يا ناصر .. الراجل ده ايه نظامه .. بخبرتك كده خطر علينا يعنى ؟ رد ناصر رداً حازماً بقوله .. نظامه زي ما نظامه ياباشا ..أنا ما عنديش غير واحد زائد واحد يساوي اثنين .
فتابعت قائلاً .. هو بيشتغل إيه ي أناصر؟ فأجاب ناصر قائلاً .. وأنا إيش عرفني يا باشا أنا مالى .. ياكش يكون رئيس جمهورية .. أنا ماليش غير التمام على الجثة .
كانت سيجارتى على وشك الإنتهاء فأشرت له بيدى مؤكداً إعجابي .

الحلقة السابعة : *Shehabiat*
كانت كلمات المخبر "ناصر" مطمئنة .. لذا طلبت منه أن يذهب للإطمئنان على شهاب في زنزانته واستوقفت أحد المساجين الذين يمرون أمامي فكان "الحاج فاروق" مقاول من المشاهير وعنده جامعة خاصة وتاجر آثار لكن عمره ما اتكشف انما لما وقعت عمارة من عماراته اتحبس وهانت خارج بإنتهاء مدته قريب .. ولطالما كان يحلم "الحاج فاروق " بتجاذب أطراف الحديث معى حتى استوقفته قائلاً "إيه يا فاروق مش حا نشرب قهوة وإلا إيه ؟
فأجاب فاروق قائلاً .. حالاً ياباشا .. جنابك تؤمر .. ثم إختفي عشرة دقائق صارعت خلالها الأوهام قلقاً على ناصر .. وعاد فاروق يحمل فنج أناً من القهوة وأذنت له بالجلوس وتابعت " إيه الأخبار يا عم فاروق .. إيه رأيك في المعاملة دلوقت ؟ أشعل فاروق سيجارته وهو يجيب قائلاً .. ده احنا بقينا ولا طرة المزرعة ياباشا .. محامين ورجال أعمال .. وكملت بشهاب .
انزلقت القهوة من يدي و رفعت عيناي ناظراً إلى فاروق بتعجب فتابع قائلاً .. عيب يا باشا هو في حاجة تخفي على فاروق برضه فرمقته بعيني واستطرد قائلاً .. الإيراد ياباشا .. كل الناس بتتكلم عنه .. إلا صحيح يا باشا فعلاً وقفتوا التفتيش في الإستقبال ساعة ما وصل؟ تحول لفظ الإيراد في ذهنى إلى أرقام بسرعة فائقة واحصيت إيراد المساجين الذين وصلوا اليوم وعددهم يفوق الأربعين وتم توزيعهم على ثلاثة ادوار وبكل دور ما يزيد عن الألف سجين .. الكل سيتناقل ما حدث فيما بينهم .. ارتشفت من القهوة وأنا أبحث عن إجابة رداً على سؤال فاروق حينما تذكرت أننى فقدت ناصر وقتاً طويلاً فهممت بالوقوف متجهاً إلى الزنزانة وإذا بناصر يظهر أمامى مبتسماً واضعاً يده تحت ذراع شهاب ويسير في مودة بالغة وكأن بينهما صداقة طويلة .. واتجه ناصر نحوي ليضعني في مواجهة لا مفر منها .. تمتمت في نفسى قائلاً .. ربنا ياخدك يا ناصر.. أشرت بيدي بانصراف فاروق وبادرت ناصر قائلاً .. في حاجة يا ناصر؟
وقف شهاب بجوار ناصر متبسماً بعدما نزع يد ناصر من ذراعه وأجاب ناصر قائلاً .. جبته هو بنفسه علشان تتطمن عليه بنفسك ياباشا جنابك تؤمر" كان ناصر متهلل الوجه فرحاً على غير عادته عندما أضاف " ده طلع حد جميل اوى يا باشا ولا خطر ولا حاجة " ظل الحرج يأكل

أجزاء من وجهى فحاولت أن استوقف ناصر الذي قررت أن استبدله بمخبر آخر فأشرت لشهاب بالجلوس واشعلت سيجارة اخرى ثم وجهت كلماتي إلى ناصر قائلاً .. إبعتلي الأمين حسنى يا ناصر وأنزل انتظر في مكتبى .
ذهب ناصر بينما أخذت أرتب أفكارى قبل البدء في الحديث فلم أجد منها شيئاً .. فقررت تفادى الحديث وبدأت اتصيد المساجين أثناء مرورهم أمامى مغلظاً صوتى مع توجيه بعض الضربات لمن تبلغه يدي أو قدمي ثم جلست موجهاً حديثى نحو شهاب قائلاً .. طبعاً نظامنا هنا مش عاجبك خالص ياباشا .
لم يرد ولم يوجه النظر تجاهي فتابعت قائلاً .. القوة هى الأساس في السيطرة .. طول ما السجين حاسس إنك أقوى منه يفضل خايف منك .. عارف لو وصلهم إحساس إنك ضعيف ممكن يخربوا الدنيا .. دول ممكن يخطفوا المخبرين .. إحنا بنتعامل مع ناس الإجرام في دمهم ماينفعش معاهم غير العنف ..ده طبعاً غير المخبرين زى ما انت شايف كده طيبين .. زي ناصر كده أقول له يخلى باله من حد إذا إحتاج حاجة كأني باقوله خد بالك منه ده خطر مثلا .. منتهى الطيبه ..
قاطعني وصول الأمين حسنى وهو متسع العينين مستعداً لتنفيذ أى أوامر فحمدت الله أن حافظت على الاسترسال في الحديث دون فرصة للرد من جانب شهاب وأنهيت حديثي بالوقوف وأصدرت أوامري إلى حسنى قائلاً ..
وَصّل شهاب بك للزنزانة الأبدية .
كنت أترقب خطواتى مبتعداً افكر في تصرف ناصر الأحمق حين إستدعى شهاب لمقابلتى دون أمر مني وبغير داعٍ وبالرغم من نجاحى في التهرب من فتح باب المناقشة معه دون أن يشعر بذلك إلا أن عيناى ظَلت متعلقة بعودة الأمين حسنى الذي لم يخيب رجائى وعاد مسرعاً .. لفت إنتباهى شيئاً بيده فسألته ومددت يدى لتناول ما معه فوجدتها ورقه صغيرة .. أخذت أقرأ في خفاء بعض من كلماتها .. فوجدتها تقول .. يواجه الإنسان سلاح الشيطان الذي يتسرب به إلى النفس ألا وهو اليأس .
وسألت حسني قائلاً .. جبت الورقة دى منين ؟ فأجاب قائلاً .. شهاب قال لى خدها .
فتابعت قائلاً .. بلاش تاخد منه حاجه تانى.
خفض حسنى رأسه إلى الأرض وأجاب بالموافقة فتابعت قائلاً .. بلغ ناصر انه بكره يوم راحة ثم تأهبت للمغادرة متوجهاً إلى منزلى ودق هاتفي مكالمة من محمد بك رئيسي وتوقعت أن يسأل مباشرة عن أخبار الضيف الجديد لكنه بادرني قائلاً .. ده طلع قصة كبيرة وله صفحة على النت والناس بتتكلم عليه انه صحفي شاطر بيكشف العصابات .. شكلك كده جبت لنا مصيبة يا فكرى ده كده لازم يتأمن كويس لان ممكن حد من الأخصام يتعرض له .
قاطعت بشيء من اللطف قائلاً ً صفحة إيه طيب ما تبعتلى كده أقرأ وآخد فكرة .. فقاطعني قائلاً .. بس ما تكتبش أي تعليق عليها .. مش عاوزين نروح في داهية ..هبعتلك إسم الصفحة رسالة ..
سلام .. وما أن أنهى الإتصال حتى تسلمت رسالة برابط إلكتروني .. حاولت إيقاف ذهني عن التفكير وتوقفت لشراء باقة من الورد وتعطرت قبل وصولي إلى المنزل الذي كان كما توقعت .. في الصالون تجلس حماتى ولكنها كانت باسمة الوجه على غير العادة ممسكة بيديها مجموعة من الأوراق .. تبسمت لها وتوجهت إلى غرفة المكتب فسمعت بها صوت إهتزاز الطابعة وعملية نسخ متواصل وزوجتى على الهاتف تحدث إحدى صديقاتها قائلة .. لا مش ده انزلي تحت شوية .. أيوه هو ده .. أيوه هي الصفحة اللى فيها خمسة آلاف ومائة وأربعين متابع دي .. استوقفها والدها الذي يمسك بهاتفه المحمول قائلاً ً .. خمسة آلاف مائة واحد واربعين لو سمحتي أنا عملت له متابعه .. علمت حينها أنه لا داعي لتقديم الأعتذار عن التأخير كما أنه لا داعي لما أحمله من

ورود كذلك علمت أنه لن يكون هناك غذاء اليوم .. ثم إقتربت زوجتى مهرولة وألقت بنفسها في احضانى ثم طبعت قبلة كنت قد نسيت مذاقها على شفتي ثم إلتفت إلى والدها قائلة .. هات صورته يابابا .. بص كده ياحبيبى .. هو شهاب ده جه عندك النهارده فعلا ولا أى كلام ؟ فأجبتها دون النظر .. أيوة هو فعلا جه النهارده بس انتي عرفتي منين ؟
أدار والدها مقعده موجهاً حديثة لى متسائلاً .. انت اتكلمت معاه يا فكرى ؟ حاولت استدراك موقفي بمغامرة غير مدروسة موجهاً كلماتى إلى زوجتي قائلاً .. ايوه طبعا ده أنا حتى معايا ورقة بخط إيده .
لم أستكمل كلماتي حتى انهالت علّى الأسئلة .. ورقة إيه .. ورينا .. إستنى يا دينا خليكى معايا على الخط .. فكرى بيقول .. معاه ورقة منه .. إقرأ يافكري بصوت عالى .. وما أن أخرجت الورقتين من جيبى حتى انقض والدها ممسكاً بهما ثم انتشلت زوجتى إحداهما منه وجلست أنا بعيداً أتعجب مما يحدث وأترقب .. فصاحت زوجتى قائله .. تصدقوا طلعت فعلا الصفحة بتاعته هى اللى احنا وصلنا لها ثم تابعت قائلة .. بابا انت معاك ايه ؟
نهض والدها واقفاً وقلد صوت جمال عبد الناصر مستخدماً لكنته الشهيرة قائلاً ..
يواجه الإنسان الآن شياطين من طين تطلق سهام اليأس إلى النفس .. فيصيب الصادق ليكذب ويقضي على الحب فيكره .. ويتلف السماحة فينتقم ويفسد العدل فيظلم ويسخر من العلم فيجهل ويضيع الحق فيضيع معه المجتمع ..
فلا أحذركم من عدو أكثر من اليأس .
تعالت أصوات التصفيق في المنزل كما تعالت أصوات التصفيق في الزنزانة و الذي أفاق فكري بك عن تقمصه لدور والد زوجته .. مع وكزات في صدرى ت دفعني إلى التصفيق فتوقفت عن الكتابة بعد أن دونت كل ما رواه فكرى بك بالنص في وريقات صغيرة .

الحلقة الثامنة : *Shehabiat*
كانت أنفاسي تتسارع مع صوت نقرات عصا على قضبان زنزانتي وما لبثت أن وضعت جانبى لبضعة دقائق بعد أن دونت بعضاً مما أتذكر من اللوحة حتى أيقظني ثلاثى آخر يقف كالظلال أحدهم رياضي جداً والآخر طويل جداً وما بينهما ظل جمال المحامى .. لم أعد أميز بين الحلم والحقيقة فقررت ألا أتفاعل مع الأحداث وأن أتركها تسير بى كيفما تشاء فأخذت أنظر إليهم في بلاهة حتى نطق الرياضي بصوت أجش قائلاً .. أهو صحي أهو إفتح يا عم ناصر .. إدخل يا منصور.
فتح ناصر لهم ودخلوا ثم أغلق الزنزانة وانصرف .. جلس الرياضي على يسارى وتوجه الطويل مباشرة إلى قصاصات أنقاض اللوحة المحترقة ومد يده ممسكاً بها لأعلى كأنه يكشف على أوراق نقدية مزورة .. وضع الرياضي يده على عنقي قائلاً .. اسمع يابنى علشان لا تتعبنا ولا نتعبك .. أنا عمك دهب .. وإحمد ربنا إنه بعتني ليك في الوقت المناسب .. تسمع عن عيلة دهب ؟
كنت على وشك أن أجيب بأننى سمعت عن عم دهب في مجلة ميكى إلا أن ملامح الجدية والشراسة على وجهه أوقفت لسانى وطقطقت رقبتى نفياً .. فأضاف قائلاً .. إحنا أكبر عائلات الجيزة .. يعنى من الآخر كده كبارات الجيزة كلها .. المتر جمال بلغني إنك بتتدلع .. إيه الحكاية .. مش عاوز تكتب القصة مثلاً وإلا إيه ؟ .. كانت يد عم دهب تتثاقل أكثر متزامنة مع سؤاله ..
نظرت إلى المدعو منصور وأنا أهمس بصوت ضعيف قائلاً .. أنا تعبت ومش قادر أكمّل .. إذا كان الأستاذ منصور يتفضل مشكوراً يكتب يبقى كتر ألف خيره .. أجاب دهب وهو يميل رقبته بطريقة متموجة قائلاً .. لا ياحبيبى .. إنت إللى .. هتكتبها.

فتابعت طيب يساعدنى في الكتابة علشان فعلاً مش قادر.
تابع دهب قائلاً .. لا يا سيدى .. ده الأستاذ منصور .. عضو حركات معرفش اسمها ايه بس هى حاجات كتير كده .. يعنى لو كتب يتحبس .
قاطعت دهب بجرأة زائدة قائلاً .. يعنى اتحبس أنا ؟
ضغط دهب على رقبتى أكثر وهو يميل برقبته مرة أخرى تجاه وجهى قائلاً ً .. يابنى إنت صحفي .. تكتب تنشر ولا حد هيدور وراك .
إلتفت المدعو منصور رامقاً دهب بعين الحكمة ثم وجه حديثه تجاهي قائلاً ً .. يا سيدى الفاضل ..كل إنسان له رسالة منها رسالة خير ومنها رسالة شر .. وإنت والحمد لله بدأت رسالتك .. وبأمر ربنا تكملها وتوصل للبلد كلها .. عاوزين نعرف عيوبنا ونعالجها يا استاذ عادل .. من فضلك كمل القصة علشاني علشانك علشان توصل للناس كلها.
شعرت ببعض الإرتياح حتى قاطع عم دهب قائلاً ً .. يابنى أنا صابر عليك بالعافيه شهاب مختفي من شهر وانت مين عارف هتخلص مدتك إمتى وتلحق تكتب إمتى إرح مني أنا مش عاوز اتعصب عليك .
قاطعت عم دهب قائلاً ً " تعبت .. مش فاكر اللى قريته أعمل إيه يعنى ؟
تابع دهب قائلاً .. بسيطة .. روح يامنصور قول للشيخ كلم عم دهب عاوزك .
إنتفض منصور وذهب مسرعاً وإقترب عم دهب من اذنى قائلاً ً .. الإفتراء وحش يابنى .. وبياتك في وسط عيالك يسوى الدنيا .. لما تخالف أوامر البهوات وما تعملش اللى هما عاوزينه يبقى مصيرك هتترمي في السجن بجد .. وإلا إنت مش معايا ؟ قاطعت عم دهب بهمسة مكسورة دون أن أعي سبب ما قاله قائلاً .. معاك فتابع قائلاً ً .. حلو أوى .. عندك أنا مثلاً كنت مقضيها .. و فلوس ملهاش أول من آخر صحيح بالحق وعمرى ما ظلمت حد بس قلت كفاية بقى وأتوب وارجع لربنا .. الكبار قلبوا عليا الدنيا ولقيت نفسى متشال هيلا بيلا ومتلفق لى قضية وحكم وحبس .. صحيح برضه محبوس بقيمتى وصيتى وسمعتى بس محبوس .. توقف دهب عن الفضفضة عند وصول منصور ومعه رجل له لحية خفيفة باسم الوجه يمسك بيده شيئاً أشبه بسبحة طويلة جداً ..نظرت إلى دهب متسائلاً .. هو في إيه؟
فأجاب دهب بطريقة ريا وسكينة قائلاً .. ماتخافش ده الشيخ تامر .. ألقى الشيخ تامر السلام وتابع معلقاً على دهب قائلاً .. مش قلنا بلاش شيخ دى .. تبادل دهب وتامر المصافحة كفاً بكف وتبادلا الأماكن فجلس الشيخ تامر أمامى مباشرة وأخذ منصور مكانه مرة اخرى يتفحص ما كتبت من الأوراق .. لم يكن أمامى إلا وجه الشيخ تامر فوجدته صغير السن صحيح الأسنان حسن الصورة ..أغمض عينيه وهو يهم أن يضع يده فوق رأسي وتلى .. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا علّى وأتوني مسلمين .. بدأ وجه الشيخ يختفي من أمام عيناي وتظهر في مخيلتى سيارة بيضاء تعبر من بوابة حديدية ضخمة وتتحرك الصورة كأنها تجرى بالعرض السريع ..وقفت السيارة ونزل منها ثلاثة أشخاص .. وقفوا بجوار السيارة ثم تحركوا إلى داخل مبنى شاهق الإرتفاع و استدارت السيارة للمغادرة نحو البوابة .. وسمعت همس الشيخ تامر في اذني يقول .. إدخل .. سيبك من العربية وادخل مع شهاب . إزداد العرض سرعة فدخلت حيث يجلس شهاب وسمعت صوت الشيخ تامر مرة اخرى يهمس قائلاً .. حاول تسمع بيقولوا إيه .. كان صوت الشيخ تامر هذه المرة متوتراً ومرتفعاً عن المرة السابقة فنظرت إلى وجهه ومن خلفه جمال المحامى يصرخ قائلاً .. غلب إيه ده بس ياربى يابنى إحنا لحقنا سمعنا كلمتين .. إنت كل شوية حا تفوق وتقطع الجلسة .." حاول الشيخ تامر إستكمال محاولته بقراءة الآيات مرة اخرى إلا أن عقلى كان قد أفاق على واقع وجودى داخل جدران الزنزانة الأبدية .

كنت استند برأسى إلى الجدار وعيناي بارزتين من وجهى تنظران إلى جمال المحامى عندما إرتفع صوت الشيخ تامر قائلاً ً إذا كنت سامع نفذ الأمر .. كنت أسمعه ولكننى لم أسمع ما هو الأمر فأعاد مرة أخرى قائلاً .. إرجع مكان ما كنت.
وجدت رأسي تتثاقل وتسقط على صدر الشيخ تامر وخيالى يسبح حتى وجدت شهاب يمر من أمامي دون أن يرانى ..فاستبقت بما لي من القدرة على التحرك سريعاً فقطعت الممر الذي يتحركون فيه .. غرفة مجهزة بالكاميرات في كل الإتجاهات وعدد من الميكروفونات لا يحصى مكتب من الخشب يجلس عليه شخص بدين وبجواره آخران وكثيرا من الأوراق وحفنة أقلام و جهاز تسجيل صغير .. كانت هيئتهم تدل على أنهم يستعدون لحدث ما وكان أحدهم قد بدأ يسطر بالفعل عندما دخل شهاب وجلس على مقعد مواجه للمكتب مباشرة ..نهض البدين وأخذ يدور حول شهاب عدة مرات والآخرون يتبادلون القيام والجلوس والحركة في دوائر حوله حتى دخل شخص أصلع الرأس فسارع الجميع بالوقوف فأشار لهم بالصمت ثم مر أمام شهاب عاقداً ذراعية أمام صدره .. إرتفع صوت الشيخ تامر مرة أخرى يكرر "إسمع بيقولوا إيه " كنت أتوق شوقاً لسماع ما يقول .. إقتربت أكثر فأصبحت أقف أمام شهاب فنظرت إلى داخل عينيه فوجدتها تبرق ويحرك شفتيه قائلاً .. يعنى ايه المهمة اتلغت لكن الحبس لسه مستمر ؟
ثم نهض واقفاً فأشار الأصلع إلى رجاله باصطحابه إلى الخارج وأخذ حفنة من الأوراق ثم وقع عليها وألقاها مكانها ثم استدار نحو المدخل وانصرف .. صاح الشيخ تامر "أسرع " فأسرعت بنظرة خاطفة على الأوراق مكتوب فيها إنهاء مهمة خاصة بمتابعة تجار الآثار داخل السجن ثم عدت مسرعاً لمتابعة شهاب فوجدتهم في سرداب تحت الأرض فتحوا إحدى حجراته حالكة الظلام ثم أدخلوا شهاب بها ثم انصرفوا .. إرتفع صوت الشيخ تامر قائلاً ً " أسرع " كان الظلام كثيفاً لا يخترقه بصر وسكنت الحركة والأحداث فسمعت صوت الشيخ تامر يعلو " أسرع" وتفهمت أن الشيخ تامر يستخد مني لمعرفة ما حدث لشهاب بالماضي

الحلقة التاسعة : *Shehabiat*
كانت الساعات تمر كالدهر بينما ظل الشيخ تامر يكرر "أسرع "كان الظلام أمام عيناي لا ينتهي و يمتد بمقدار شهوراً طويلة وكلما اعتادت عيناي على الظلام لا أرى إلا بعضاً من الحركات القليلة حينما ينهض شهاب لأداء صلاة أو أداء بعض الحركات الرياضية ثم يعود للجلوس والتسبيح ولذا لم أجد ما أنقله إلى الشيخ تامر ومجموعة المستمعين المتشوقين لمعرفة ما حدث لشهاب فعدت لقراءة ملف شهاب بما يحتويه من تقارير مختلفة ..همس لى الشيخ تامر " أيوة هنا شوف ايه اللى مكتوب عنه بسرعة" صدرت له الأوامر بجمع المعلومات التي تفيد في القبض على رؤوس عصابات تجارة الآثار نظرا لما يتميز به في مجالات الرياضة والحاسب الآلى وعلم النفس والسلوكية وجمع المعلومات وقد حصل على عديد من الأوسمة والنياشين والميداليات على المستوى العربى والدولى بالإضافة لإجادته بعضاً من اللغات الأجنبية ويحظى بعلاقات واسعة في جميع المجالات وسبق له تنفيذ العديد من المهام .
كان الشخص الأصلع البدين مازال جالسا ويجلس بجواره شخص آخر يملى عليه و كان هذا البدين يقهقه قائلاً ً .. مفهوم ياباشا يعنى المهمة تنتهى لكن الحبس يستمر واللى يسألنا نقول مانعرفش عنه حاجه .. طبعاً ياباشا اللى تشوفوه يمشى المهم أسيادنا يكونوا راضيين علينا .
كنت أشعر بالدوار وعندما فتحت عيناي وجدت وجه الشيخ تامر الذي بدا عليه الضيق وهو يرفع صوته قائلاً ً .. إنت شغال بمزاجك مين قالك ارجع .
ثم تبعه صوت جمال المحامى ساخراً جايز مش عاجبه الزنزانة هناك قال يريح في الزنزانة هنا شوية عاد صوت الشيخ تامر مرة أخرى لقراءة الآيات ورأسي تقع على صدره مستسلماً للدوار إلى

أن سمعت صوتا ينادى قائلاً هتخرج وإلا أقفل عليك .
تكرر هذا الصوت ثم تبعه نغزات في كتفي أفقت على هزاتها فوقعت عيناي على رجل بالزى الرسمى لحراس السجن ظللت أنظر إليه نظرة باهته دفعته إلى أن يستكمل بقوله .. ماهو من كثر البلاوي اللى بتشربها لازم يجيلك هلاوس وكوابيس ..هتقوم تخرج الفسحة وإلا أقفل عليك ؟
تماسكت قليلا وأشرت له بأنني سأخرج بينما بحثت عيناي عن الآية القرآنية فلم أجدها فأرجعت ذلك إلى أن منصور قد يكون قد أخذها ليستكمل الكتابة بدلاً مني عندما فشل الشيخ تامر في الإستكمال وربما غلبني النوم من شدة الإرهاق .. كنت ألتفت يمينا ويساراً كأنما أبحث عن شيء لا أعرفه وكان السجان ينفخ أنفاسه غيظاً وصبره ينفد من الانتظار.. فنهضت بحركات متثاقلة وأنا أسأله " هو اسم الكريم ايه" فأجاب "إسمى عطيه زى امبارح " بدت علامات التعجب على وجهي فاستكمل عطيه " مش سألتنى إمبارح لما كنت بتدور على ورقة وقلم وإلا إنت شغال بنظام ذاكرة اليوم الواحد وإلا إيه ..ماتخرج ياعم الله يهديك خلينا نخلص من اليوم ده " انصرف عطيه بمجرد خروجى وتركني في حيرة لا أعرف إلى أين أذهب وبينما يتجول المساجين من حولى ذهابا وإياباً يلقى بعضهم على بعض تحيات الصباح لم يلتفت إلى أحدا منهم وكأنهم لا يروني .. فسرح عقلى بأنه ربما أكون مجرد شبح بينهم ولعل عطية أيضا كان شبحاً أو أنى مازلت تحت سيطرة الشيخ تامر الذي يحركني دون أن يرانى أحد ولكنه أتى بى إلى سجن الاستئناف بدلا من معتقل شهاب .. في جميع الأحوال أنا حر الحركة ويمكنني الذهاب إلى حيث شئت .. تحركت بين المساجين ولا أحد منهم يهتم .. فتأكدت أنني غير موجود ..
أسرعت خطواتى وارتفع صوتى وأنا أسأل نفسي قائلاً .. هو باب السجن فين ؟
وإذا بأحد المساجين يمسك بذراعي قائلاً " باب سجن إيه إنت اتجننت .. انت ضارب إيه ؟
ازدادت قبضة يده على ذراعى عندما إقترب شخصاً آخر هامساً إليه بهدوء "إيه يا لبيب في إيه" إستمر لبيب في التوبيخ قائلاً "مش مكفيه اللى إحنا فيه قال رايح يدور على باب السجن " تبادل الشخص الآخر وضع الإمساك بيدي وهو يهمس في اذنى " و المسيح الحى لو ما إتلميت لأكون مبلغ أبونا إن إنت ورومانى ماشيين في سكة المخدرات .
إقترب لبيب من اذنى متسائلاً "هو رومانى فين " نظرت نحو لبيب قائلاً " رومانى مين ؟
خبط لبيب بكفيه وهو يقترب من الشخص الآخر قائلاً " شايف يا سامى .. ده مش مع أنا في الدنيا .. ده في عالم تانى " همس سامى في أذن لبيب "رومانى" رجع من الترحيلة إمبارح وطبعا تلاقيهم ضربوا هباب من اللى بيشربوه أكيد .. نظرت إلى وجه سامى مستعطفاً وقلت " والنبي سيبونى في حالى أنا اللى فيا مكفينى " إنتفض سامى قائلاً " والنبى ؟" فهمست قائلاً .. عليه الصلاة والسلام " فابتسم سامى ساخراً وأضاف " طب زيد النبي صلاة " فهمست قائلاً .. عليه أفضل الصلاة والسلام " فتحول وجه سامى إلى الغضب ونظر إلى عيناى قائلاً " عارف .. إن شاء الله حتى لو أسلمت .. حا تكمل القصة يعنى حا تكمل القصة .. أسرعت خطوات سامى ولبيب وهما يمسكان بذراعى حتى صرت أمام شخص قصير سمين إبتسم لى قائلاً .. تلاقي الواد رومانى حطلك التامول في الشاى يا مغفل .
استدرت حولي لأرى أصحاب الضحكات التي جلجلت حولنا فإذا به يستكمل قائلاً .. بس انت خرفت تخريف .. تعالى بقى اقعد كمل لنا الحكاية .. ده إذا كنت لسه فاكرها .
إنطلقت الضحكات من حولنا عالية وأشار لى بالجلوس على الحصير أمام زنزانتهم بينما صاح لبيب قائلاً .. اعمل له شاى ياعونى بس من غير برشام يمكن يفوق .
كان عقلى شارداً فهزني سامى بكتفه قائلاً .. هووو .. رحت فين يا عم عادل ؟ عندها أقبل عونى وبيده كوب من الشاى قائلاً .. هو لسه ما خلصش القصة ؟

أشار لهم سامى بالصمت ثم مال نحوى برأسه قائلاً .. إنت كتبت لحد فين .
فملت ناحيته أكثر قائلاً .. مش عارف.
إرتفعت ضحكاتهم مرة أخرى بينما استكمل سامى قائلاً .. لا طلعت محافظ على السرية تمام .
ثم تابع قائلاً .. "طيب كتبت ان مهمة شهاب اتكشفت وانهم لغوها ورحلوه من هنا ؟
فأجبت قائلاً .. الحقيقة مش عارف إن كنت كتبته وإلا لسه لكن الأكيد إنه بيتكتب دلوقتى وإنت بتقوله .
تعالت الضحكات أكثر فأكثر بينما بدا على سامى الجدية وهو يسألنى " طيب فين اللى انت كتبته "
فملت عليه محاصرا فمى بيدى حول أذنه قائلاً في " الزنزانة الأبدية "

الحلقة العاشرة : *Shehabiat*
كانت الضحكات صاخبة ترج سجن الاستئناف وتتزايد بينما لم أجد سامى ينظر تجاهي فأفقت على أن الضحكات لم تكن ناتجة عن جملتي الأخيرة وإنما كانت لسبب آخر اتضح عندما وجه سامى حديثة إلى قائلاً .. اهو جالك رومانى حبيبك يا سيدى.
ثم استطرد موجهاً سؤاله الساخر إلى رومانى قائلاً .. ايه اللى رجعك من طره يا روماني رفضوا يستلموك ؟
"قام روماني بحركات سريعة خلع فيها ما يرتديه بقدميه وطوقهما حول بعضهما وجلس عليهما وهو يمد يده إلى كوب الشاى الخاص بى وأجاب قائلاً .. يا عم سامى كويس إنهم رفضوا كان زمانى مفحوت ده بيقولك هناك مطحنة .
اعتدل سامى في جلسته وهو يلتفت نحو "رومانى " وهمس بصوت خافت قائلاً .. قولى لى بصحيح شهاب كان معاك في الترحيلة من دمنهور؟
أزاح رومانى كوب الشاى من فمه وكأنما تذكر شيئاً قائلاً " يابويا .. أنا ماكنتش أعرفه .. إحنا كنا خارجين من سجن دمنهور نركب عربية الترحيلات كل إثنين في كلابش واحد و بصينا لقينا عربيات مدرعة وحرس وسلاح وهيصه كله اترعب ولسه بأركب قالوا لى أنا واللى معايا لا إنتوا مش هنا .. اطلعوا العربية اللى ورا خالص دى .. و أنا بأنزل تانى البطانية وقعت من إيدى وملفوف فيها حاجاتى ولسه بأحاول أجيبها لقيت اللى معايا في الكلابشات بيقولى سيبها هما حيجيبوها وفعلاً لقيت إثنين مخبرين بيلموا الحاجة قلت فرصه و رحت رامى الشنطة من كتفي .. تعالت ضحكات سامى ومجموعة الجلوس بينما نحن نستمع إلى رومانى الذي استكمل قائلاً .. ملت بكتفي على أحد المخبرين وسألته بهدوء " هو في إيه يا باشا " قال لى "حراسة مشددة لسجن طرة شديد الحراسة " قلبى وقع رحت مايل عليه وقايل له .. أنا رايح طره تحقيق ياصاحبي مالي أنا ومال شديد الحراسة ؟
راح رازعنى حته دين بصه وقال .. لهو إنت فاهم إن كل الحرس ده والمدرعات دى علشانك إنت يا تعبان في نافوخك ؟ ده علشان ترحيلة شهاب يافالح .. ملحقتش اكمل كلامى لقيتنى بقيت جوه المدرعة .. أنا وزميلى وبس .. بصيت في وشه لأول مره وأنا بأقول " عارف كل الهيصه دى ليه " حسيت إنه ماسمعنيش فكملت كلامى " سمعت إن في واحد مع أنا تقريباً مخطرينه وعامل لهم قلق يعنى إحتمال يحصل علينا ضرب نار في السكة " حسيت برضه إنه ماسمعنيش فقلت له " بس سيبك إنت أحلى حاجه إنهم حطونى أنا وإنت لوحدنا في العربية الأخيرة وأكيد لو في ضرب حايبدأ بالعربية اللى فيها الراجل الخطر ده قدام يعنى إحنا بعيد " همس زميلى بصوت خفيف " ماتعرفش إسمه إيه " قلت " إسمه شهاب " إبتسم وقال لى "طيب ياسيدى أنا شهاب " هو قال كده وأنا هاتك ياضحك وأبص على الكلابشات اللى في إيدى وإيده وأضحك وهو يقولى

"حايبدأوا بالعربية اللى فيها الراجل الخطر مش كده " وأنا أضحك وأبص على الكلابشات لحد ماعينى دمعت من الضحك وبأضرب بعينى لقيت حد طالع المدرعه طلع مسجون سمين أوى ومتكلبش في كرسى بلاستيك وطالع مبتسم وبيقول " أيوه كده العربية دى فاضية " أنا سمعته بيقول كده وماقدرتش أمسك نفسى من الضحك وشهاب يهمس لى أمسك نفسك وأنا أبداً رحت قايل للراجل والكلام خارج مني بالعافيه وعينى مليانه ضحك على دموع " أصل دى العربية اللى حايضربوها بالنار ياعم الحاج " لقيت الراجل أتفزع وقال لى " يا راجل حرام عليك .
وبعدين العربيات اتحركت وسراين الدنيا شغاله وفين وفين وصلنا ترحيله دمنهور .. نزلنا من المدرعة ودخل كل المساجين على زنزانتين وأنا وشهاب زنزانة كبيرة أوى وفاضية ولسه بأقوله " يبقى حايضربونا بالنار هنا " لقيت الباب بيتفتح وداخل الراجل السمين ده تانى وبيبص لى رحنا واقعين ضحك أنا وشهاب وراح الراجل هو كمان ضاحك على ضحكنا وقايل " حتى لو ضربونا بالنار .. أنا قلت لهم عاوز أروح مع شهاب .. وبدأ الراجل يحكي وقال .. أنا عملت كثير..
زورت ورق للعربيات اللى داخله من بره وطلعت رخص سواقة بالفلوس من غير إختبارات .. صحيح لما كنت في المرور كنت مدورها بس التهمة دى بالذات أنا برىء منها وتصدق إنها جت لى بعد ما توبت .. أكيد ده تكفير ذنوب بقى قبل الواحد ما يقابل رب كريم .. ولسه الراجل مكملش كلامه ولقيت المخبرين بينادوا قطر القاهرة وصل اللى مترحل استئناف يخرج من الزنازين على محطة القطر والمساجين اللى مش مترحلين بينادوا على شهاب بصوت عالى " ربنا معاك .. ربنا يقويك وينصرك " قعدنا في المحطة شوية ولقيت شهاب بيقولى " عارف المسلمين بيصلوا إزاي ؟
فقلت له آه بيفضلوا يقوموا ويقعدوا كده قام مبتسم وقال لى " لو جتلك فرصه إن ذراعك يدخل الجنة تسيبه ؟ بصيت باستغراب قام قايل لي .. أنا هقوم أصلى وإنت معايا لما أقوم تقوم ولما أقعد تقعد" .. ضحكت وقلت له هو يعنى إنت تروح الجنه وتهد حيلى أنا ما تصلى وانت قاعد زى الناس ما بتصلى وهي قاعدة إلا بقى إذا كانوا هياخدوا لنا لقطة تنزل في المجلات تحت شعار الوحدة الوطنية .. إبتسم شهاب وصلّى وهو قاعد وركبنا القطر وقعدنا في عربية المساجين على الأرض وخبطنا عيش وحلاوة ونمت لحد محطة رمسيس صحيت على عربية مدرعة داخلة جوه المحطة بظهرها أخذتنا أنا وشهاب على سجن
الإستئناف الساعة إثنين بالليل .. ولقيت الحوش بدأ الإستقبال والضرب شغال و المخبر اللى إسمه ناصر جه جرى فك الكلابشات وسابنى في الحوش مع الوحوش و أخذ شهاب على الزنزانة الأبدية .
كنت أستمع إلى رومانى وهو يسرد رحلتة مع شهاب وعقلي يسترجع ثغرة بين الأحداث لا أذكرها فكيف أصحو من غفلة لا أجد بعدها الشيخ تامر وجمال المحامى وكيف أترك شهاب في معتقلة المظلم و أفيق فأجد رومانى يحكى عن ترحيل شهاب من سجن دمنهور إلى سجن الاستئناف ثم إلى سجن طرة شديد الحراسة .. لمح سامى عقلى شارد اً بينما لم يتوقف رومانى عن الكلام وشرب الشاى فنكزنى سامى بيده قائلاً ً .. ركز مع أنا يا عم عادل بدل ما تفوتك حته متكتبهاش وتخلى القراء يتوهوا".. إقتربت من سامى هامساً " هو جمال المحامى فين " تعجب سامى من سؤالي لكنه أجاب "عنده جلسه وزمانه راجع "فتابعت "والشيخ تامر فين " أجاب سامي بهدوء أكبر " خرج امبارح عقبال املتك.
قررت أن أصارح سامى بما يدور في عقلى فأشرت إليه أن يقترب من فمى وهمست " أنا مش فاهم أى حاجة وحاسس ان في فرن بلدى فاتح في نافوخى والناس واقفة تشترى من غير طابور.
أشار سامى لرومانى أن يتوقف عن الكلام وانتهزت الفرصة فاسترقت كوب الشاى من أمام رومانى وتناولت آخر رشفة به ثم أرحت ظهري إلى الحائط وتنهدت كأنما أفرغ حملاً ثقيلاً عن

صدرى .. وأشار سامى لكل الجلوس بالإقتراب أكثر حوله ثم بدأ حديثة " يظهر إن عادل تعب من متابعة القصة لوحده علشان كده إحنا لازم كلنا نساعده ونسهل عليه مهمته علشان القصة دى مش قصة شهاب لوحده دى قصتنا كلنا قصة كل مع أناة بيشوفها المخلصين في بلدنا وكل ظلم وقهر بيتعرض له كل شريف و كل فساد عايش فينا وبيقضى علينا ومن حسن الحظ إن شهاب كتب عن كل ده وضرب المثل بكل شخصية قابلها وكتبها علشان يوصف بها حالة من حالات المجتمع علشان كلنا نعرف ضعفنا فين و قوتنا فين علشان يوم ما ييجي الحق يظهر يلاقى ناس تنصره مش يلاقينا كلنا أخدنا الباطل في سكته.

كان سامي يتابع وكأنه يلقى نصيحه في الكنيسة بينما يهز الجالسون رؤوسهم فهماً وتأييداً إلى أن إستوقفت سامى بسؤال ظل يلح على عقلى حتى خرج من فمي " إنتوا تعرفوا شهاب ده منين أصلاً " صمت الجميع وتحركت أنظارهم نحو رجل يجلس في ركن بعيد داخل الزنزانة المواجه لنا ثم قرر سامى أن ينقل المجلس إلى الداخل فأشار للجميع بالدخول وأمسك بيدى بينما إستعد رومانى للانصراف وهو يوجه كلماته نحوى " الإستقبال في سجن دمنهور "ملط" يا زميلى ولا تقولى عورة ولا إنسانية والخرز أنات في عز البرد ما اقولكش لكن عموماً إبقى خد بطاطين كثير معاك علشان الزنازين هناك ثلج يا زميلى ثلج" أومأت برأسى لرومانى وأنا أتحرك إلى داخل الزنزانة والجميع يضعون القبلات على يد الرجل الجالس ويجلسون بشكل نصف دائري حوله .. ضغط سامى على يدى كى أجلس ثم تقدم نحو الرجل الرقيق الجسد نحيف الوجه وانحنى مقبلا يده ثم عاد ليجلس بجواري .. نظر الرجل إلى قاع عينى نظرة عميقة ثم توجه إلى سامى بسؤاله " الكسوة وصلت والمعونة " فأجاب سامى بهدوء "وصلت يا أبونا ومنتظرين أوامرك " تابع الرجل " إبقى ادى كسوة كاملة لعادل ومعونة وابعت له فلوس في الكانتين بتاع سجن دمنهور لما يترحل.

أومأ سامى برأسه ثم تابع " بالنسبة لرومانى يا أبونا لسه غضبان عليه علشان حكاية الحبوب اللى بياخدها .. الولد مؤدب قام من نفسه ومشى قبل ماندخل عندك لكن هو غلبان محتاج رعاية .

قاطع الرجل سامى قبل أن يكمل جملته قائلاً "الكسوة دى حق يا سامي.. الناس باعتاها للكل .. ياخد طبعاً كسوته.

هز سامي راسه مبتسماً ثم نظر نحوي وكأنما يوجه الرجل لبدء الحديث معى أو أن دورى قد حان للكلام أو الإستفسار عن ما يدور بعقلى وما أن هممت بالنظر إلى الرجل حتى قال " تعرف إيه عن حق الإنسان في الحياة .. حق الإنسان في العبادة .. حق الإنسان في السعادة .

نظرت إلى وجه الرجل بتركيز شديد فاسترسل قائلاً " تعرف إيه عن رسالة الخير اللى انت بتعملها للناس .

نظرت نحو سامى وأنا أهمس " أنا" فاستكمل الرجل "أيوه يابنى إنت .. إنت مش شخص .. إنت رواية مكتوبة يمسكها الناس ويقرأوها .. حاول تكون مفهوم وبسيط .. تكون واضح وصريح لأن كل اللى حا يقرأ حايكون لوحده وهو بيقرأ .. إنت وهو وبس ..لازم يفهم من كلامك إن العيب مش من اللى في الزنازين .. العيب فينا كلنا .. العيب مالينا .. الرسالة لازم تخليه يواجه نفسه يعرف عيبه ويعالجه ويقوي علشان يقدر يحقق ذاته .. لازم يحس إن الشىء اللى بيقراه ويحزنه ده إحنا اللى سايبينه عايش فينا ويقوي علينا .. الكدب اللى بنشوفه إحنا اللي بنصدقه ونسكت عليه ..

الفساد اللى في حياتنا إحنا اللى بنقوية بضعفنا .

انتفضت معتدلاً في جلستى واقتربت برأسى من الرجل هامساً .. بس أنا أضعف من ده كل .. أنا نفسى بايظ يا أبونا .

ابتسم الرجل ابتسامة خفيفة قائلاً " يبقى إنت أول واحد لازم يقرأ الرواية أول ماتخلصها.
إبتسم الجالسون دون صوت وتمايل أحدهما على الآخر هامساً بينما تابع الرجل قائلاً .. كلنا كده يابنى مين فينا مبيغلطش .. حتى شهاب نفسه مش ملاك .. لكن المهم الرسالة توصل و نعرف عيوبنا ونواجهها علشان نقدر نعالجها .. مين ممكن يقولك عيوبك من غير ماتزعل منه غير نفسك ..
علشان كده لازم تكتب الرواية بطريقة تخلي كل واحد يقرأ وكأنه بيكلم نفسه يواجه حقيقته عشان يفُوق ويفّوَق غيره وبإرادته ينقلها لكل شخص بيحبه لحد ماتوصل لكل الناس ان احنا نفسنا شياطين بس "شياطين من طين" .
قاطع سامى قائلاً .. يلا يا جماعه كفايه كده خلوا أبونا يرتاح .
فأشار إليه الرجل أن ينتظر برهة قائلاً .. شهاب كان بطل وله نفوذ وشهرة لكن وافق ينفذ المهمة واتعرض للخطر علشان كان نفسه يشوف بلدنا في أحسن حال والمجتمع يكون أفضل لكن الشياطين قامت ضده وأنهوا مهمته واختفي والمطلوب منك انك تكشف ..
قاطعت الرجل عندما "أشفقت" على نفسى من تلك المهمة قائلاً .. طب وأنا مالي أنا .. أنا مجرد صحفي تحت التمرين .
إحمر وجه الرجل قائلاً .. أهى دى أكبر جريمة عملناها في حق نفسنا لما كل واحد فينا قال أنا مالى.
مد سامى يده ممسكاً بذراعي يستوقفني قائلاً .. يابنى ماتحاولش مافيش فايده ..
إنت اللى هتغنى يا منعم .
تبسم الرجل وضحك الجالسون بصوت خافت والكل يستعد للانصراف بقبلات سريعة على يد الرجل ثم نقلتني خطواتى المرتجفة عائداً إلى "الزنزانة الأبدية "

الحلقة الحادية عشر : *Shehabiat*
كانت الزنزانة مظلمة لا تخلو من ضى المغيب المتساقط من النافذة الصغيرة على جدرانها كاشفة عن كتابات متعددة لمساجين لا حصر لهم سبق أن إعتاشوا بها فإنقبض قلبى وإرتدت قدماى عن الدخول وإذا بيد ثقيلة تقع على كتفي وشخص يقترب من اذنى صارخاً " صل على النبى " التفت وأنا أصلي عليه بأفضل صلاة وسلام فإذا بوجه جمال المحامى مبتسماً يقول .. كئيبه أوى الزنزانة دي ..صح.. ولا تزعل نفسك ليها حل إوعى كده .. أزاحنى جمال بيديه ثم وقف على مدخل الزنزانة رافعا صوته قائلاً .. كئيبة صفا .. كئيبة إنتباه .. ثم استدار نحوي رافعا يده بمحاذاة أنفه وكأنما يؤدى التحية قائلاً ..
تمام يا فندم الكئيبة .
انزلقت بسمة رغما عنى فارتسمت على شفتاي وإذا بجمال المحامى يلقى بصدره على صدرى محتضناً بقوة ومرتباً على ظهري بقوله .. روق يا عم عادل بقى وما تقلقش بكره هتروق وتحلى وتبقى زى الفل .
إنذرف سيلاً من الدمع رغماً عني حينما تذكرت أن مر بى زمناً طويلاً دون أن أرتمي بين أحضان أحداً من أهلى وبينما يرفع جمال وجهي ليرى إبتسامتي إندهش من دمع يلطخ خدى فأسرع قائلاً .. ليه كده .. ده لا عاش ولا كان اللى يبكيك يا زميلى وأنا موجود .. تعالى هنا قولى و إحكي لي في إيه.
أخذ جمال بيدى إلى أن جلسنا داخل الزنزانة و يده مستنده على كتفي جاذباً رقبتى نحوه بشدة قائلاً .. عليا النعمة من نعمة ربى أعلّقه .. عارف يعنى إيه أعلّقه ..مين ده اللى زعل كاتبنا الكبير وأنا مش موجود .. بص .. شاور لى على أى حد في السجن كله .. إلا طبعاً فكرى بيه

علشان ده ممكن يعلقنى ويعلقك ويعلق اللي يتشدد لنا.
ظلت عيناي تمسح جدران الزنزانة بما عليها من حروف ورسوم وعبارات ثم إستقرت على وجه جمال وسقطت الكلمات من بين شفتاى ثقيلة متقطعة .. يعنى من بين كل الحواديت اللى مكتوبة على الحيطان دى .. إشمعنى قصة شهاب اللى تقع في قرعتى أنا و اشمعنى أنا اللى أكتبها .
نفخ جمال مزيحاً وجهه نحو الجدران قائلاً ً .. ياعم خضتنى .. ده أنا قلت في حد زعلك .. طيب ياسيدى تاهت ولقيناها .. بص بقى ..
أولاً إنت مش المفروض إنك تكتب قصة شهاب لوحده لا ده إنت بعد ماتخلص حكاية شهاب حا ندخل بقى على كل حرف مكتوب على الحيطان دى وتكتب لنا قصة صاحبه وإيه اللى حصل معاه وليه وازاى .
نظرت إلى عين جمال متحققاً من جديته فوجدت صرامة لم اعهدها في وجهه من قبل فوجدتنى أميل برقبتى بشدة قائلاً ً ..
نعم .. ده عندها .. ده في المشمش .. وحياة امى ما أنا كاتب حرف بعد كده واهى عندكم أهى تكملوها تحرقوها تلزقوها على الحيطان براحتكم أنا لحد كدة وكفاية أنا جبت جاز .
ثم نهضت لاحضر الأوراق المكتوبة فإذا به يقهقه بصوت مرتفع قائلاً ً ..
عارف حكاية الراجل بتاع المعزه ؟
إلتفت إليه ويداى تبحث بين أشيائى قائلاً ً .. معزة إيه ؟
أشعل جمال سيجارته وهو يستكمل كلامه قائلاً ً .. ده واحد عمل زيك كده بالضبط كان مخنوق من عيشته وراح يشتكى للسلطان فقال يا مول أنا أنا خلاص مش قادر ..أنا ومراتى وامها عايشين في اوضه واحده ونفسى أعيش في بيت أكبر و شغلى مش جايب دخل كويس ومش عارف الحال ده حيفضل كده لحد إمتى .. السلطان قاله جيت في وقتك أنا كنت عاوز منك خدمه تعملهالى وأنا أحل لك مشكلتك .. الراجل قاله تؤمر يا مول أنا .. السلطان قام جاب له "معزه " وقاله خد دى معاك يومين كده و أخدها من عندك .. الراجل أخد المعزه وقال في نفسه يمكن السلطان عاوز يدينى فلوس وعمل كده علشان يبقى نظير إني حافظت على معزته فأخذ المعزه ورجع البيت .. تانى يوم السلطان راح يزوره واخد معاه شوالين وجرة ميه كبيرة وقال للراجل دول أكلها وشربها خليهم عندك ..
بعدها بيومين السلطان راح يزوره ومعاه معزتين صغيرين وقال للراجل دول ولادها ولقيتهم حزانى ورافضين الأكل أعتقد لسه ميعاد فطامهم بدرى أستأذنك نخليهم مع أمهم وبكره أجيب لك الخروف .. الراجل انتفض وقال للسلطان إيه هو في إيه يا مول أنا ده أنا جيت أشتكي لك إن البيت على قدنا يادوب تقوم تجيب لى المعزه وأكلها وشربها وعيالها وبكره تجيب لى خروف كمان إزاي يعنى ده إحنا بقينا خلاص مش عارفين نتحرك في البيت ولا نأكل ولا نشرب .. تبسم السلطان وقال للراجل طيب لو أخدت المعزه وولادها وأكلها وشربها ومشيت يبقى إزاي الحال .. الراجل قاله يبقى كتر ألف خيرك .. السلطان قال له طيب ما كنت تحمد ربنا من الاول على نعمته وترضى بعيشتك وتشكر ربنا كمان عليها.
كنت قد انجذبت لما يسرده جمال المحامى محاولاً أن أفهم المغزى الذي يقصده من تلك الحكاية وما أن أتمها جمال حتى دخل دهب قائلاً ً .. دلوقتى يقولك وأنا مالي أنا ومال الراجل بتاع المعزه.
نظرت نحو دهب بينما إرتفع صوت جمال مدوياً .. أهلاً ياباشا يا ألف أهلاً وسهلاً .. لسه كنا في سيرتك بالخير يا باشا .
انتقلت أنظارنا أنا ودهب سريعاً من على وجه جمال الذي كانت عيناه مسمرتان على شيئاً خلف ظهورنا إلى أن وقعت أبصارنا على فكرى بك ومن خلفه مسئول تفتيش المصلحة وبجواره محمد بك يرتدي جلباباً أبيض وطاقية خضراء ومن خلفهما المخبر ناصر والجميع وقوف على مدخل

الزنزانة
الأبدية.
كنت أوشك على الإنهيار بينما كان المفترض أن أظل واقفاً أثناء وجود مسئول المباحث ومسئول تفتيش المصلحة لكن ساقي لم تنتبه لذلك وتركت جسدى يخور لأسقط على الأرض بينما عيناي مسمرتان على وجه فكرى بك الذي لم يحرك ساكناً إلى أن أسرع جمال بوضع يده أسفل كتفي ليجلسنى مستنداً على الجدار وموجهاً كلماته إلى فكرى بك قائلاً ً .. ده قاطع النفس خالص ياباشا .
وضع فكرى بك يده خلف عنقه
رافعاً رأسه لأعلى وهو يزفر قائلاً ً ..
ادى الواد ده حاجه تفوقه ..
الورق ده لازم يكمل ولازم يخلص .. إنت سامع ؟
أومأ جمال برأسه بالإيجاب ثم اقترب بوجهه من وجهي وهو يفتح فمى ليضع فيه حبة ما قائلاً ً .. يابختك يا زميلى .. بتبرشم بأوامر المسئولين .. عليا النعمه انت زاعقلك ولّى .. ثم وضع زجاجة خضراء على حرف شفتاى قائلاً َ .. إشرب .. إشرب يا ابن المحظوظة .
تابع فكرى بك كلماته إلى جمال قائلاً ..
كل واحد يروح على زنزانته وخليك إنت معاه هنا لحد ميعاد الترحيلة ويكمل القصة هو يقول وإنت تكتب وراه ده لما يفوق طبعا مش ناقصه كلام مساطيل .
مر وقتاً ليس بالقليل حتى أفقت تماماً فوجدت الأصوات قد تلاشت من حولى وانصرف الجميع وكان جمال المحامى يلملم كل شيء في الزنزانة ويضعه في حقيبة كبيرة ثم جلس أمامي عندما شعر أنني أفقت فوجه كلماته إلى قائلاً ً .. بص ياسيدى أنا قلت لفكرى باشا إنك هتفوق بعد ساعة و إني حا أجهز لك حاجتك للسفر لأنك هتتحرك على دمنهور كمان ساعتين وحا تكمل القصة من هناك .
كنت أنظر إلى جمال دون أن أنبس بحرف ثم تابع قائلاً .. بص يا عادل .. احنا كنا فاهمين انك جاي في مهمة سرية تكشف اختفاء شهاب اللى كان جاى في مهمة قبلك وفي حد كشف مهمته وبعدها اختفي لكن اتضح لنا من تصرفاتك انك فعلا صحفي تحت التمرين وعلى كل حال انت لو فهمت الغاية من كشف الحقيقة هتحب إنك تكمل الموضوع .. القصة دى بتقول إن كلنا بنغلط لكن جو أنا أكيد جزء حلو .. والمطلوب اننا نعرف عيوبنا وننمى الخير اللى فينا وإنت دورك تعرف وتكتب كل حاجه بتشوفها وبتسمعها زى ماهى .. يعنى بالبلدى كده إنت بتحقق مع أنا كلنا اللى جوه السجون وإللى براها .. لكن مش علشان تحبسنا كلنا .. لا علشان تنقذنا كلنا .
كان تأثير ما ابتلعته بيد جمال قد سرى في دمى واعتدلت مواجها لجمال وأنا أتناول الورق والقلم قائلاً ً .. طب إسمك وسنك وعنوانك.
قهقهة جمال ضاحكاً ثم أردف قائلاً .. لا يا حبيبى تحقيق من غير فضايح ولا تشهير .. يعنى تعمل لكل واحد فينا إسم ثانى ومتكتبش رتب خالص وما تجيبش سيرة حد من كبارات البلد مش عاوزين حاجة تمنع نشرها.
اعتدلت وأنا أضع القلم على الورق دون أن أنظر إلى جمال الذي تابع قائلاً ً .. أنا طول عمرى كنت ماشى جوه الحيط خايف أواجه وخايف من المشاكل وخايف من السلطة و خايف حتى من اللي بأترافع قدامهم وأنا بأدافع عن الناس وأجيب حقوقهم ما هم يقدروا يحبسونى لو شكلى مش عاجبهم ..كنت باخاف من كل حاجه لها علاقة بأي حاجة .. الخلاصة مشيت مع الأضمن .. مع الرايجة .. قوة العلاقات مع الناس الكبار.. وبعدين احترفت المحاماة بالطريقة الأنجح .. رشاوى ..هدايا .. سهرات .. فلوس ومخدرات وستات .. بالطريقة دى وصلت للشهرة على مستوى منطقتي .. عمرى ما حسيت بذنب إني بأتعامل بالغلط وفي الغلط وللغلط .. من الآخر .. أنا كنت

محامى شمال .. لحد ماقابلت شهاب .. واجهنى بإني وصولي وانتهازي و متسلق .. عدلنى على القبلة .. كنت بأحكى له مرة عن اتفاقي مع موكل جالى عاوز يستولي على ثروة أخوه وانى عملت لأخوه شهادة صحية بالجنون واستولى فعلا على ممتلكاته وكانت فندق وعربيات وفيلات ويخت وأخذت من وراه سبوبة كبيرة .. بس أخوه إتجنن فعلا وحرق له فيلته وماتت فيها مراته .. حاولت أفهمه إني مظلوم في القضية اللى اتحبست فيها وإني كنت بأدافع عن واحد غلبان سعيت إنه يعمل كشك يأكل منه عيش لكن في ناس حاولوا يكسروا له الكشك واستنجد بيا فخرجت من البلكونه وضربت عليهم نار بالبندقية الخرطوش واتحبست على ذمة القضية .. لما حكيت له القصة فسر لى إن العقوبة دي عقوبة على كل سلوك غلط أنا عملته وكل تزوير ظلمت بسببه حد تانى وأخذت درس في الأخلاق خلانى حلفت من ساعتها إني أكون إنسان جديد .. إنسان صادق ..

محامى محترم .. أبقى راجل له كلمة .. ومن ساعتها وأنا بأحاول .. ارتسمت بسمة خجل على وجه جمال وهو يقول .. و زى ما انتوا عارفين يا شطار إن الخير دايماً بينتصر على الشر .. صحيح الشر بيطلع عين الخير طول الفيلم لكن في الاخر برضه الخير بينتصر.

كان جمال قد أنهى حديثه عندما ارتفع صوت السجان في الخارج ينادي "اللى يسمع إسمه ينزل تحت .. اللى يسمع إسمه ترحيله وجه بحرى ينزل تحت .. اللى يسمع إسمه ترحيله دمنهور ينزل تحت" نظرت إلى جمال فوجدته منصتاً إلى الأسماء منتظراً سماع إسمى كى يودعنى وكان الصوت الجهورى يرج السجن بالكامل دون فواصل تسمح بالتعليق وبدأت الأسماء تتوالى على مسامعنا " هانى عويس خضر .. سمير لويس حنا .. سامح صالح الراوي .. عادل محمد الشريف .. جمال أحمد حماد .

قفز جمال من مجلسه وأسرع تجاه الباب وهو يصرخ " يانهار اسود ومنيل ده اسمى .. دمنهور إيه وزفت إيه .. لم يلحظ جمال أثناء هرولته للخارج أنه لم يرتدي شيئاً بقدميه من الفزع .. وتعجبت كيف كان جمال يتقبل لى شيئاً ويعد لى حقيبتى بينما يرفض نفس الشىء لنفسه .. وماذا إذا كان جمال هو المكلف باستكمال القصة وكتابتها فهل كان سيقبل المهمة من أجل توصيل الرسالة إلى الناس .. سرح خيالي في إن كان هذا جزء من ما أراد شهاب تحديداً أن يروى عنه في قصته أننا بالفعل لا نكترث لما يحدث للآخرين من حولنا بمشاعرنا الحقيقية ولا نضع أنفسنا في أماكنهم فعلاً و أننا إن ساندنا غيرنا نكتفي بالمؤازرة بعبارات مصطنعة باردة خالية من المشاعر و أصبحنا لا نحب لغيرنا مانحب لأنفسنا لأننا أصبحنا نحب أنفسنا وأنفسنا فقط .. سرح خيالي في نفسي لأنني فعلت ما فعله جمال تماماً.. راجعت أننى لم أستشعر ما لاقاه غيرى بين جدران هذه الزنزانة اللعينة.. وحيداً ليلاً ونهاراً بين أربعة حوائط لا يُرى من نافذتها سماء ولا أرض ولا يكسر صمتها إلا وقع الخيرزان على أجساد المساجين و شرز العصا الكهربية وألفاظ السباب واللعان التي تبلى بها آذان المساجين و أحاديث المساجين عن أفاعيل الظلم والذل والمهانة .. لم أستشعر كل عزيز قوم ذل قضى قدراً من عمره بين هذه الجدران بل كان همى هو نفسي وما أُعانيه أنا هنا .. مررت بعيناي مرة أخرى على جدرانها واستنشقت رائحتها فإذا بى أسترجع ما كتبه شهاب عنها في قصته فوجدته لم يكن سجيناً بها ولم يدع لليأس مك أناً فيها ولم يسمح للخوف أن يزورها يوماً بل ترك بداخلها كلمات للناس ليخرجهم من سجنهم داخل أنفسهم .. لذا قررت أن أستكمل مهمتى في كتابة روايتي "الزنزانة الأبدية"

كانت الظلمة تغلف كل شىء حولى عندما دَفّعت قدماى للمغادرة ولاحظت خروج بعض المساجين من الزنازين المجاورة إستعداداً للرحيل إلى سجن دمنهور بينما عاد جمال المحامى تجاهي يتراقص بعد أن قام برشوة المسئول عن الترحيل بعدد لا بأس به من صناديق السجائر ليرفع اسمه من كشوف الترحيل ..

فأصبته إصابة بالغة عندما وجهت له سؤالى قائلاً .. وبتقول انك اتغيرت .. وبقيت انسان جديد .. للأسف الرشوة بقت بتجرى في دمك زى المخدرات .. الحيلة والمكر أصبح جزء لا يتجزأ من أسلوب حياتك لتنفيذ رغباتك " دمعت عينا جمال وهو ينظر نحوى مودعاً بلا أمل في اللقاء مرة أخرى .. وأغلب الظن أنه لم يكن يتمنى أن يكون آخر ما سمعه مني هو هذا العتاب الثقيل بعد كل ما قدم لى من المساعدات كما أظنه كان يتمنى أن يكون آخر ما يكتب عنه في سطور الرواية أنه قد أفاق من غيبوبة السلوك الخاطىء للأبد .. ربما كان يتمنى أن يضرب به مثلاً يطرح الأمل في الإصلاح لكل من يقرأ عنه في هذه الرواية إذا كتب لها الخروج للناس .. وكعادة الرياح لم تأتى بما تشتهى السفن فلقد كان صوت السجان حكماً نهائياً بأن تبقى سيرة جمال في أذهانكم بعودته إلى ما ينتمى إليه من الفساد والرشوة لإتمام مصالحة .. أضاع السجان علي جمال فرصة القول الأخير كما أضاع على كل أنا لحظة عناق الوداع الذي تمنيته لأستشعر إنه كان هناك بقايا من طيبة القلب تعيش في صدر جمال وبحركات غاضبة أمسك السجان بيد جمال متحركاً به نحو زنزانته وعاد ليدفعني تجاه النزول إلى أسفل حاملاً على ظهرى أغراض نومى وحقيبتى إلى أن وجدت بالفناء تلاً من الحقائب والأمتعة يقف أمامه عدداً لا بأس به من المخبرين من ذوي الخيرزان يضعون البصمة الأخيرة لهم على ظهر من يضع أمتعته بضربة موجعة مصحوبة بسبة مختصرة وإن استشعر أن ضربته لم تكن مؤلمة بالقدر المرضى له تبعها بعدة ضربات سريعة يصاحبها سيلاً من السباب يطفئ به نيران غل دفين وإن كلفه ذلك أن يهرول خلف السجين مواصلاً ضرباته إلى أن يجلس بين الجموع ثم يعود فاتحاً يديه بجانبية مختالاً بقوته التي لا صاد ولا راد ولا مانع لها .. ثم يقف ليشعل سيجارته باحثاً بعينيه بين المساجين عن من يبدو عليه استنكار ما فعل ليصبح فريستة التالية .. ينهى سيجارته وهو يحصد بعينية نظرات الإعجاب من زملائه المخبرين الذين يباشرون واجبهم المقدس مثله على أكمل وجه ساهرين في البرد القارس تاركين أهلهم وذويهم من أجل الوطن .. جل ما تمنيته حينها هو أن تراه زوجته أو ابنته أو أمه لتعلم حقيقته وعلى النقيض لم أتمنى لسجين أن تراه زوجته أو ابنته أو أمه أو يقرأ أحدهم بين سطورى مايحزن قلبه على سجين لهم .. لكن من المؤكد أن رب الكون يرى ويسمع ويعلم كل شىء .. حينها يرتفع صوت الأذان لصلاة الفجر بينما لا يتوقف صوت الخيزران بل يرتفع معه ليشق الهواء ويستقر على ظهر أحد المساجين ثم يضع المخبر الخيزران على مدخل المسجد ويدخل لأداء الصلاة ثم يعود ليمارس واجبه المقدس بينما يستمر آخر في أداء عمله قانعاً في طيات نفسه بأن العمل عبادة .. لم ينقطع حماس المخبرين لحظة إلى أن استقر جميع المساجين داخل عربات الترحيل المظلمة التي يدخلها السجين هارباً من ضربات تلاحقه إلى باب العربة فيقفز للداخل داهساً بقدميه سجيناً آخر تقدمه بلحظات ويسقط على وجهه فيصبح بعضهم فوق بعض مكبلين بالقيود الحديدية على أرضية العربة ثم يغلق الباب ليسود الظلام الدامس فيصير لوناً وحيداً منفرداً حول الجميع إلى أن ينجح أحد المساجين في الوصول إلى وضع الجلوس ويشعل سيجارته ثم يطلق كلماته البائسة إلى كل سجين بالعربة فيستمع الجميع إلى صوت لا يميزون له صاحب يقول " كل اللى حصل ده ولا حاجه جنب اللى حايحصل لنا في دمنهور يارجالة .. هناك بقى ولا تقولى حقوق إنسان ولا حقوق حيوان .. فين حقوق الإنسان لما يقلعك زى ما ربنا خلقك ويشربك مسحوق غسيل ويخليك تجيب اللى في بطنك .. يا راجل ده لو حد عمل كده في قطة بره كانوا الناس قطعوه .. فين حقوق الإنسان لما يوطى رأسك زى الخروف ويحلق لك شعرك زيرو و انت بتتفرج على المخبر بيقطع شنطتك بالسكينه علشان يشوف إيه اللى فيها ويفضي الشاى والسكر على الأرض ياراجل دى حتى الصابونه مابيرحموهاش بيقطعوها وبعدين يرموها .. طيب ما ترميها على طول ياعم من غير ماتقطعها وإلا هو قهر والسلام على الفلوس اللى بتترمى في الأرض.. ده إحنا رايحيين على مصيبة سودا .. فيه هناك شوية مخبرين شمال هما اللى مدورين كل حاجة .. فكرك إنت المخدرات والموبايلات بتدخل إزاي بعد تفتيش الاستقبال اللى مبيفوتش

الهوا ده .. بعلمهم ياعم ..
ومعاهم كشف بأسامى اللى معاهم الموبيلات ولما يبقى نازل تفتيش مصلحة بيبقوا واخدين خبر ويلموا كله ولا كأن كان فيه حاجه .. بس كله بثمنه .. اوسخ حاجه هناك بقى .. المساجين المرشدين ياصاحبى .. ودول بقى أكثر من الهم على القلب هناك .. تدخل حاجه من ورا المخبرين وإلا تجيب سيرة حد منهم .. يابويا .. الصبح تلاقى القوة الضاربة داخله عليك والخرطوم بتاع الحريق مغرق العنبر كله بالفرش بالشنط بكله .. من الآخر كده سجن دمنهور يعني الافتراء نفسه .. لا تقولى استئناف ولا برج العرب ولا طره .. دى نار الإستئناف ولا جنة دمنهور " ينهى صاحب الصوت كلماته ويخمد نار سيجارته ليستكمل سجين آخر مالديه من معلومات قائلاً " وإلا التأديب بقى .. يدخلوك يامولاى كما خلقتنى وخراطيم البوتاجاز تنزل على ظهرك ماتفهمش جايه منين ومتبطلش غير لما يغمى عليك .
كانت العربة قد تعبأت بدخان السجائر ولم تكن قد تحركت بعد و ما أن تحركت حتى انتفض كل سجين ليتعلق بنافذة صغيرة مغطاة بالأسلاك ليطل على الطريق .. وتتعالى الأصوات فلا يميز منها شيئاً إلا صوت صراخ وتوسلات للمارة للاتصال بذويهم ويقذف كل سجين ورقة صغيرة مدون عليها رقم هاتف .. يحمل كل منهم عدد كبير من الأوراق الملفوفة للرقم نفسه وموجز قصير عن نقل المذكور إلى سجن دمنهور .. لم تنقطع المحاولات بإنتهاء كمية الأوراق بل تحولت إلى محاولات شفهية .
بالصياح .. أخويا .. بقولك إيه و حياة الغالى عندك .. خد الرقم ده قول لهم سيد راح دمنهور ..
ربنا يكرمك يا خويا.. أختى معلش ولو فيها رزالة علشان خاطر ربنا .. اطلبى الرقم ده وقولي لهم زرارة راح دمنهور .. ياحاج .. وحياة عيالك يا شيخ ..زيرو عشرة .. ربنا يكرمك يا حاج .. تستمر المحاولات دون انقطاع إلى أن تصل العربة إلى محطة رمسيس فينزل المساجين في مسير متتالي مقيدين اليدين على مرأى ومسمع من الناس ويصطف حولهم حرس الترحيلات ممسكين بالأيدى ويسير القطيع إلى أن يستقر بمكان الإنتظار المخصص لقطار الوجه البحرى .. في خضم هذا الزخم من الضوضاء تسمع أذناى صوتاً حزيناً لأحد المساجين ألتفت لأجده مقيداً بيدى دون أن ألحظ وجوده منذ البداية .. تنبهت لكلماته فوجدته يقول .. بص الناس بتبص لنا إزاي .. يانهار إسود .. ايه ياجدعان مالكم .. بنى آدميين والنعمه .. الناس بتبص لنا وبتبعد كأننا وحوش ياعم .. وحياتك رمسيس دى كنت بأدخلها باشا وكنت بأركب في المكيف كمان .
استوقف شريكى في الكلابش أحد المارة ومدً يده إليه بورقة قائلاً .. بقولك إيه يا باشمهندس إحنا ولاد ناس وربنا وجدعنه منك ياريت تتصل لى بالرقم ده .. إيه يا عم في ايه مالك بتبص لى كده ليه .
مال سجين آخر على شريكى وهو يقهقه قائلاً .. يعني ضاقت في عينك الدنيا للدرجة دى مش لاقى غير المخبر وتقول له يتصل لك .
تابعت بعيناي نظرات المارة من الناس فوجدت ما لاحظه زميل الكلابش صحيحاً .. رجالاً ونساء يستترون برداء من الخوف عند النظر إلينا .. ينظرون و يرتبكون ثم يبتعدون .. لما لم يميز الناس بين المجرم والمظلوم .. لما لم يفترض الناس أنه ربما يكون بيننا من غضب من أجلهم فاعتقل .. أو ربما يكون بيننا غارماً مسكيناً إضطره الإحتياج إلى هذا المصير .. أو ربما يكون بيننا شخص سجن لأنه يبحث لهم عن مخرج من سجنهم الكبير .. لماذا لم يتخيل أحداً منهم أن يصبح هو نفسه أو أحد أولاده غداً بيننا كما حدث لنا .. الحق أقول لكم لقد ضاق صدرى بكم .. أكاد أحترق من نظراتكم .. تكاد أنفاسي تختنق من رائحة خوفكم .. لعلكم بالفعل تستحقون ما بكم

..
لأنكم .. لا تميزون بين الطيب والخبيث بقلوبكم .. لذا سأكتبكم كما رأيتكم .. من المجهول دوماً تخافون .. بأفعالكم تستحقون ماتلاقون .. ليتنى ما رأيتكم و يا ليتنى لم أغادر "الزنزانة الأبدية "

الحلقة الثانية عشر : *Shehabiat*
كنت جالساً أتابع نظرات المارة بينما مندوب الترحيلات يتفحص وجوهنا وهو يسير أمامنا مختالاً إلى أن استوقفه صوت أحد المساجين قائلاً .. أبوس إيدك ياباشا الكلابش حا يقطع إيدى ..والنبى خليه يهويه شوية مش قادر استحمل الوجع و ربنا .
غلظ المندوب نبرة صوته قائلاً .. بقولك إيه وحياة اللى جابتك ماتشتغلناش في الأزرق بدل ما أعلقك .
فأجاب السجين " حاضر ياباشا أوامرك " لم تكن كلمات المندوب مسكنة للألم بيد السجين كما لم تكن كلمات شهاب التي استرجعتها عند وصفه لطبيعة البشر مخففة لأحزانى .
يبتعد الناس عن عمال موقع البناء وعن عمال اللحام وعمال النظافة ليس كرهاً في عملهم وإنما حرصاً على ألا يمسهم أذى بلا ذنب اقترفوه .
أفقت على أصوات المخبرين " كله يقوم .. إركب .. ادخل .. اقعد .. اقفل .
بحثت بعيناى عن السجين صاحب الكلابش الضيق الذي يمزق يديه فوجدته يجلس هادئاً فسألته عن يديه فأومأ برأسه إيجاباً وهو يقول .. وَسّعتُه بعود كبريت .. شايف الفتحة دى .. تحط فيها عود الكبريت كده وتوسع الكلابش .. بس ما بيفتحش .. بقولك بس علشان متفكرش.
لامست شفتاى بسمة هاربة من أحزانى ثم تابع قائلاً .. شكلك كده طالع على حضانة دمنهور يازميلى .
رفعت عيناي مصوباً نظرى إليه وقبل أن أنبس بحرف تابع قائلاً ً.. لا مش بأتريق عليك ياصاحبى .. أصل سجن دمنهور مرسوم عليه من بره صورة بكار ورشيده علشان كده بيقولوا عليه الحضانة .
قاطعه سجين آخر قائلاً ً .. لا ياعم إنت بكار إيه .. ده إسمه معسكر العمل بدمنهور وعلشان بيوزعوا فيه لبن سموه معسكر اللبن بدمنهور وبعد كده قالوا عليه حضانة .
ثم تابع ليبرهن على معرفته التامة بكل ما يخص سجن دمنهور قائلاً ً .. بص يا معلم إنت أول ما تدخل حايقلعوك ويقعدوك زى ما ولدتك الست الوالدة ساعتين على ما يوصل زبانية جهنم من بيوتهم أصلهم كلهم من دمنهور .. شوية مخبرين بقى من النوع اللى قلبك يحبه .. خصوصاً رمضان و قزاز أول ما يوصلوا يفضلوا يسبوا في أهلك وجدودك لحد مايوصلوا لجدك أحمس وبعدين يشربوك ميه بصابون لحد ماتجيب كل اللى في بطنك ويحلقوا لك دماغك زيرو وينادوا الدكتور يتفرج على جسمك علشان اللى واخد مطواة أو داقق وشم مش بيستلموه وبيرجعوه تانى و يبقى إسمه رد سجون وبعدين ياصاحبى تدخل على عنبر الإيراد .. فاكر محمد رضا بتاع ثلاثين يوم في السجن لما قال لفريد شوقى إنت بقى الوارد الجديد ومال إيدك ورد نارى خالص كده ؟ إنت بقى هتدخل عنبر الوارد ده تلاقى واحد إسمه طه بس ده بقى بيدور على اللى إيده مش نواعمى عشان هو نفسه نواعمى.
إرتفعت الضحكات بعربة المساجين داخل القطار بينما تابع سجين آخر قائلاً .. ده عامل الإيراد سُكنه ياعم علشان الزباين تتغير عليه يادوب ليلة والثانية ويجي غيره .
قاطع سجين آخر مستكملاً .. برضه كله بعلم المخبرين يا صاحبى .
ثم تابع قائلاً .. مش فاكر سردينه ؟ ده كانوا بيدخلوه التأديب ويدخلوا له العيال الصغيرة اللى لسه جايين من الإصلاحية يفترسهم .. وإلا مختار .. يانهار اسود على مختار.

قاطعه صوت سجين يجلس بعيداً قائلاً .. ياعم فكك بقى من السيرة دى أحسن القطر يتقلب بينا .. بقولك إيه يا زميلى .. طول ما إنت في حالك وملكش دعوة بحد حتعيش تمام خصوصاً لو دخلت عنبر ثلاثة بتاع الأموال العامة وإبعد عن عنبر أربعة بتاع المخدرات .. إنت تهمتك إيه ياصاحبى ؟

أجبت بتردد قائلاً .. صحفي .

فإستطرد قائلاً .. يبقى عنبر إثنين بتاع المتنوع .. بص أول ماتدخل تظرف الأمين صبرى كرتونة سجاير وتقول له عاوز أروح عنبر ثلاثة بتاع البشوات هو حا يتعامل وحا يشغلك في الفرن ويدخلك عنبر ثلاثة .

تجرعت كل ما سبق وأنا أشعر أن قواى تخور وتمنيت أن يصطدم هذا القطار فينقضي أجلى قبل مواجهة كل ما سمعته أذناي ..طال بنا الوقت في وضع الجلوس بلا مقاعد على أرض العربة المجاورة لدورة المياه التالفة والتي تشبعت أرضيتها بالبلل بينما يرتكن كل سجين بالجدار ويحكى بعضهم بين الحين والآخر بعضاً من عذاباتهم داخل السجون ويذكرون عدداً من الأسماء المتجبرة من رجال السجن وما يبيتون لهم من غل وكره من جراء أفعالهم وكأن سوء المعاملة داخل السجون باتت سبباً في مضاعفة إجرامهم حتى أصبح كل طرف منهما يتحين فرصة سانحة للأخذ بالثأر من الطرف الآخر ويحتكمون في صراعهم إلى قوانين لا ثوابت لها في الحكم .. فتارة تنصف المسئول فيجعل المظلوم مجرماً وتارة تنصف المجرم وتزيد المسئول ضراوة .. بعد رحلة شاقة توقف القطار في محطة دمنهور ..

تزاحم المخبرين على مدخل العربة وتعالت أصواتهم " قوم ..

اخرج .. إنزل .. إضرب " صوت الخيرزان يدوى من حولى ويتبعه صراخ المساجين يعلن أن وقع الخيرزان في هذه البرودة القارسة التي تكاد تسقط أصابعي لا يوصف بالكلمات ..

تقوقعت برأسى داخل صدرى متجنباً ما إستطعت من الضربات وهرولت وأنا أهمس في نفسى .. ولا يوم من أيام الزنزانة الأبدية .

كانت عربات الترحيل تصطف لاحتضان كل سجين يخرج مهرولا من عربة القطار هاربا من وابل لسعات الخيزران إلى أن تكدس الجميع داخل العربات وانطلقت لمسافة غير بعيدة لكنها كانت كافية لسماع مزيداً من الأساطير عن سجن دمنهور والقائمين عليه مما جعل قدماى ترتعدان عند النزول من العربة عندما توقفت حيث أصبح الخيال واقعاً .. رأيت المساجين تلتصق بالحائط لا يرتدون شيئاً وصوت أجش يصرخ ويكرر قائلاً .. إشرب كمان ..اشرب كله "إلتصقت أنا أيضاً بالحائط بينما يتابع الزبانية الإفراغ الكامل لما في جوف المساجين للتأكد من خلوها من المخالفات والممنوعات ثم إفراغ ما بالأمعاء الغليظة أيضاً على مرأى ومسمع من الجميع .. حينها تيقنت من عدم أهمية وجود ساتر للعورة كما تيقن الجميع أنه لم يعد هناك ما يخشى عليه من التكشف بعد وليس هناك داع للحياء من نظرات مخبري سجن دمنهور الذين يستثنون أنفسهم من كل محرمات الأديان والأعراف والآداب والأخلاق فهم كائنات مختلفة عن الإنسان وإن تشابه الوجه قليلاً بما يشبه العينان والأنف والفم إلا أن طريقة الإستعمال تختلف عن الإستخدام الآدمى حيث لا ترى عيناه محتويات عبوة من السكر إلا بعد إفراغها تماماً على الأرض ولا يمكنه أن يميز المخدرات عن الفضلات إلا بعد أن يفحصها بأنفه كما لا يمكنه أن يمنع فمه عن تناول كل ما يجده داخل حقيبة السجين أثناء التفتيش بينما يطلق لسانه عبارات السب واللعن على السجين نفسه وأهله .. حان دورى .. حينها أدركت أن زجاجة المسحوق يعاد ملؤها من صهريج قديم عفن تكفي رؤيته أن أتقيأ ما بأمعائي الدقيقة وبالفعل لم تكد يداى تلمس الزجاجة حتى أفرغت كل ما بجوفي .. تبسم المخبر وهو يضع يده على ظهري بعطف متسائلاً .. انت منين ياله.

فأجبت وأنا مازلت مائل الرأس لأسفل قائلاً .. من مصر.
قهقه فاتحاً فاه رافعاً وجهه لأعلى قائلاً .. بتشتغل إيه يا حيلتها ؟
فأجبت قائلاً .. صحفي .
تناول من يدى زجاجة المسحوق ثم وضعها أرضاً ثم اصطحبني تجاه أحد المكاتب حيث يجلس شخصاً يدون في بعض الملفات قدمني إليه قائلاً .. الراجل ده شكله محترم .. خد بالك منه يا عبد القوى بيه .
أشار لى عبد القوى بالجلوس وهو يخرج هاتفه من جيبه قائلاً .. تحب تكلم حد في الموبيل تطمنهم .
أجبت في سرعة متناهية قائلاً .. لا شكراً .. لكن ياريت .. لو ينفع تدخلنى عنبر ثلاثة .
لم يتعجب عبد القوى من مطلبى وأجاب قائلاً .. معلش الليلة دى لازم تقضيها في عنبر الإيراد وبكره الصبح من النجمة انقلك عنبر ثلاثة .
ثم تابع موجهاً حديثه إلى صاحب الصوت الأجش الذي لم ينصرف بعد قائلاً .
دخله عنبر الإيراد يا قزاز ووصى مختار والصبح انقله الأموال العامة وأنا حأوصى عليه زكريا و الشيمى.
أمسك صاحب الصوت الأجش بذراعى متوجهاً نحو عنبر الإيراد وأمر بفتح الباب الحديدى مستدعياً مختار من داخل العنبر وبعد كلمات موجزة اصطحبنى مختار إلى داخل العنبر الذي كان متروساً بالمساجين ولا موضع لقدم فتسمرت بعد أن أغلق الباب على همسات المساجين يصارع بعضها بعضاً حول اذنى إلى أن وقف أمامى شيئاً على هيئة تشبه تمثالاً لجائزة أوسكار ذو وجهاً بشوشاً أزرق العينين مكتوف اليدين ممشوق القوام تبسم في وجهي ثم حمل الحقيبة عنى وأشار لى بالسير خلفه فوق أجساد المساجين النيام .. كانت خطواته مدروسة يعلم أين يضع قدميه فأخذت أتبعه خطوة بخطوة إلى أن توقفنا على صوت مختار قائلاً .. أيوه هنا يا عباس .
وإذا بعباس يوقظ أربعة من المساجين بيديه وقدميه مشيراً لهم بمغادرة أماكنهم واصطحاب فرش نومهم معهم .. لم يخل وجه عباس من التحفز حيال ردود الأفعال الممتعضة وكأنه كان يتمنى أن يعترض أحدهم أو يعبر عن إستياء ولكنه لم يحدث .. أسرع عباس بتناول أشيائى وقام بطيها ثم قاس بيديه مقدار شبرا وقبضة يد جعلها مساحة لنومى ثم أمر الأربعة مساجين أن يدبروا نومتهم في المساحة المتبقية وأشار لى بالجلوس قائلاً .. كلها سواد الليل ياصاحبى ..خد بالك من حاجتك ولو في حاجة خايف عليها حطها تحت دماغك أو هات اشيلها لك .
أومأت برأسى شاكرا و بدأت أتفقد ما حولي فوجدت بجانبي رجل كبير السن يضع بجواري قدم صناعية ونائم في وضع الجلوس وهناك آخرين نائمون على مدخل دورة المياة .. وهناك من هم نائمون فوق النائمون .. فعدت بخيالى في مقارنة سريعة بين هذا الجحيم وما كنت أتمتع به من نعيم بين جدران الزنزانة الأبدية .
كنت قد أطلقت العنان لعيناى في جولة داخل العنبر أتفحص كل شيء إلى أن رمقت عباس يجلس بالركن يرتقب حركاتى وحينما وقعت عيناى عليه أشار لي بكوب من الشاى فتبسمت فقفز برشاقة بين أجساد النيام ثم جلس أمامي مبتسماً فسألته قائلاً .. قول لى ياعباس .. إنت حضرت هنا واحد اسمه شهاب.
أشعل عباس سيجارته وأخذ نفساً عميقاً ثم نفثه إلى أعلى وبرقت عيناه ثم قال .. الراجل ده ادانى درس العمر .. أول ما وصل هنا استقبلته زيك كده .. بس هو إستأ مني على شنطته مش نام عليها زى حالاتك كده .. و أنا سرقت منها سجاير وراديو ونظاره .. والصبح قبل ما يتنقل عنبر ثلاثة لقيته بيدينى كتاب أقرأه وبيقوللى لما تخلص الكتاب ابقى هاته وهات معاك الراديو والنظارة

والسجاير .. بعد كام يوم كان شهاب إتعرف في السجن كله وبقى له كلمة وقابلته في الراحة صدفة وسألنى على السجاير والراديو والنظارة وحلفت انى ما اخدتش حاجة من الشنطة وسألنى على الكتاب فقلت له قريته فسألنى بيحكى عن إيه فقلت له عن حياة هتلر فسألنى فهمت إيه منه فقلت له هتلر كان مجنون ومجرم بجد فسألنى هتلر كان بيشتغل إيه وهو صغير فقلت "جزمجي" سألنى ولما كبر فقلت "زعيم" فسألنى هتلر كان حرامى بيسرق ؟ فقلت له لا .. سألنى كان بيكذب ؟ فقلت له لا .. قال لى تخيل إن هتلر مابيسرقش ومحمد يسرق .. هتلر مابيكذبش ومحمد يكذب ..قاطعته وقلت محمد مين ؟ قال لي محمد عباس.

اليوم ده سابنى ومشى بعد ماقال لى يا ألف خسارة يا عباس .. في نفس اليوم بالليل سمعت إن رمضان المخبر ضرب مسجون وإن شهاب غضب جداً وعاتب رمضان لدرجة إن رمضان المخبر ساق عليه كل المخبرين والمسيرين عشان يسامحه ولما وصلتنا الحكايه دى في العنبر هنا قلت في سرى .. بأمارة إيه يعنى رمضان بشنباته اللى يقف عليها الصقر دى يخاف من شهاب ليه يعنى؟

تانى يوم الصبح لقيت رمضان داخل العنبر وبيصحينى وساحبنى على بره والخرطوم في إيده وبيسألنى .. فين السجاير والراديو والنظارة ؟

حسيت ساعتها إن رمضان عاوز يرضى شهاب فاعترفت قبل ما يضرب وقلت له .. النظارة والكتاب مع الدكتور بكر و الراديو مع الأراجوز في عنبر إثنين .

ضغط رمضان على رقبتى بإيده وأخذنى على عنبر إثنين وفتح العنبر وبادوب الأراجوز شاف رمضان وشافني كان الراديو في إيد رمضان ورجع الأراجوز للدكتور بكر جاب منه الكتاب والنظارة وبسرعة البرق كان رمضان واخدنى ناحية مكتب الخدمة وبيقول لي .. يعنى علشان الراجل محترم نقوم نسرقه .. علشان ما هو مؤدب نقوم نبدد عليه .. ودبني لأعملك عبره وافرج عليك السجن كله .. ثلاثة بالعظيم ما أنا سايبك حتى لو قال إنه مسامحك .. هو إيه خلاص مابقاش في تمييز نسرق مين ونحترم مين يا شوية زبالة .

دخل رمضان على الحلاق ورجع وفي إيده ماكينة الحلاقة ودفس دماغى بين رجليه وحلق لى شعرى كله وأخذنى على مكتب الخدمة لقيت زكريا مسئول المسير و ملفات المساجين خارج من جوه وبيسأل .. جاب الحاجة يارمضان ؟

ورد رمضان عليه وقال .. طبعاً يا بيه أصل دى نوعية وسخه .

خرج شهاب على صوت رمضان وفجأة نزل رمضان بإيده وبكل قوته على ظهرى وقعنى في الأرض وشهاب بيسأل وهو بيحاول يمنع رمضان عنى وقال .. هو عمل إيه يارمضان ؟

خرج الشيمى وهو بيقول لشهاب .. أصل الطيبة ماتنفعش مع الاشكال دى .

نزل زكريا على ركبته وهمس لى في ودنى وقال .. يا أخي عيب ده من امنك لم تخونه ولو كنت خاين .. طب يسوى إيه اللى أخذته قدام اللى إنت فيه دلوقتى .. مش كنت رجعت الحاجة بنفسك أكرم لك ؟

وقرب الشيمى مني وقال لى .. إنت مش بكالوريوس تجارة يابنى إنت .. وربنا واهبك شكل وسيم .. ليه ماتبقاش محترم .. والا انتم مينفعش معاكم غير الكرباج .

رفعنى رمضان بإيده وقال .. اللى زى ده يربيه التأديب .. ودلوقتى أسمعكم صوته وهو بيصرخ ويقول توبة.

لحقنى شهاب في اللحظة الأخيرة وقال .. بعد إذنكم كلكم .. سيبه يا رمضان من فضلك .

رفع رمضان إيده من على رقبتى ولقيت شهاب بيقرب مني وأخذنى في حضنه وبيقول لى .. البس ثوب الرجال.

أنهى عباس قصته بينما بريق من الدمع يغلف عيناه فسألته مازحاً لأخفف عنه قائلاً بقولك إيه ..

سيبك من الحركات دى .. فين السجاير اللى خبطتها مجبتش سيرتها يعنى .
إبتسم عباس قائلاً .. رجعتها ياعم .. هو طيب آه بس مش بيسيب حقه أبداً .
تابعت مهدئاً له بسؤالى قائلاً .. إنت فعلاً بكالوريوس تجارة وإلا دى كمان نصبايه؟ مصمص عباس شفتيه قائلاً .. ياعم بكالوريوس وإنجليزى كمان بس مفيش شغل ودوخت السبع دوخات علشان أشتغل وأعمل أى فلوس .. أمى اللى تعبت علشان أتعلم أرجع أقولها إيه مافيش شغل ؟ طب اختى اللى عاوزة تتجوز وتجهز أقولها إيه مفيش شغل ؟
اتلميت على شلة عواطلية .. مخدرات .. سرقة بالإكراه .. وبقيت زيهم .. سرقة موتوسيكلات .. سرقة عربيات و إتمسكنا كلنا.. ودخلنا السجن واتعلمنا في السجن كل حاجة على اصولها .. اتعلمت إن لو ماكنتش ديب تأكلك الديابة .. وعرفت إن الجريمة لها أصول .. فكرك يعنى اللى بيجيب عربية بملايين ده مش مجرم ؟ بلاش يا عم الناس الكبار نعتبرهم ولاد ناس و اتولدوا لقوا العزب والأطيان والعربيات و اشتراكات النوادى على الجاهز ..خلينا في الناس العاده .. المخبرين دول ؟ منهم اللى بياخدوا الصابون والزيت وعلب الجبنه بتوع المساجين ويبيعوها بره .. دي اسمها ايه .. سرقة دى ولا مش سرقة .. الفلوس والسجاير اللى بياخدوها من المساجين دى إيه فرده والا مش فرده؟ الموبيلات والمخدرات اللى بيدخلوها دى إيه مش تهريب ؟ تأجيل الترحيلات ونقل المساجين من عنبر لعنبر بالفلوس ده مش رشوة ؟ والسكوت على اللى بيعمله المخبرين ده إسمه إيه ؟
وسكرتير الجلسة اللى بينقل قضية من دايرة لدايرة ده إيه ؟ واللي بيقبض في سهرة علشان يزور في قضية ده إيه ؟ مش دول اللى بيحبسونا علشان يريحوا المجتمع من أمثالنا ؟ ياترى بقى المجتمع بره إرتاح بعد ما حبسونا احنا هنا.
إنتفض عباس واقفاً وهو يرفع أحد حاجبيه وكأنه يستدعي شخصيته الشريرة مرة أخرى محركاً رأسه يميناً ويساراً وكأنه رادار ً يجرى مسحاً شاملاً لكل تغيير حدث أثناء إنشغاله بالحديث معى .. وبحركة سريعة على أطراف أصابعه تنقل كالفهد بين أجساد النيام إلى أن وصل إلى أحد المساجين فأخذ منه سيجارته وجلس بجواره ثم أخذ منها نفساً عميقاً لم يخرجه متعمداً إلى أن وقعت عيناه على نظرتي تجاهه فأطلق بعضاً من الدخان إلى أعلى وهو يقول موجهاً كلامه نحوي قائلاً .. صور يا خويا صور .. عيال فاسدة مش كده.
سرحت بخيالى بعيداً متسائلاً في نفسى .. هل هناك أمل في إصلاح عباس ومن هم أمثال عباس؟ وبينما ترصد عيناى الجثث المتراصة جنباً إلى جنب لا يميز منها رأس من قدم كل منهم نائم في مسافة شبراً وقبضة يد مثبتين جميعاً على جوانبهم .. ليس بينهم جثة واحدة ترقد على ظهر أو بطن ..
حينها أخذني الحنين إلى" الزنزانة الأبدية "
الحلقة الثالثة عشر : *Ghehabiat*
كانت الإضاءه خافته داخل عنبر الإيراد بينما جلست أرصد تحركات المساجين التي اقتصرت على الذهاب إلى دورة المياه المجاورة والتي يستوجب الوصول إليها السير بكل الحرص بين الأجساد المتراصة و لا يخلو الأمر من خطأ طفيف عندما يدهس أحدهم قدم أو رأس نائمة فتنبعث من جسد المدهوس بعض الألفاظ الغير مفهومة دون أن ينهض من نومه .. تابعت أحد المساجين يتحرك بحرص زائد تجاه دورة المياة بينما يرمق تحركاته سجين آخر يجلس في الجهة المقابلة لى يرتشف شيئاً من كوب أخضر وعيناه تفحصان موضع أقدام السجين إلى أن لمست جزءاً من فراشه فأسرع بإطلاق وابل من الألفاظ النابية لم يكترث لسماعها الشخص المتوجه إلى دورة المياه و باستنكار شديد نظر الشخص ذو الكوب نحوى قائلاً .. عيل بارد أوى .. شفت سامع شتيمته وعامل من بنها إزاي ؟

لم أجد تعبيراً للرد إلا أن أنظر تجاه دورة المياة إلى أن توارى السجين بداخلها بينما تأهب الغاضب ذو الكوب واستقام واقفاً مستلاً شيئاً في يده وهو يقول .. طب وديني لأعوره .
كان يراودني شعور بأن هذه الليلة لن تمر بسلام .. خاصة عندما صدر صوتاً من بين ثنايا الغطاء المجاور له يسأله قائلاً .. في إيه يا حانوتي ؟
كان مسمى "حانوتى "كفيلاً بقراءة الفاتحة على روح المرحوم الذي سيخرج بعد قليل من دورة المياه ولم يهتم الحانوتى بالرد على صاحب السؤال حيث كان ينتظر فريسته على أحر من الجمر والتي عادت من حيث إختفت .. ثم بدا على وجه الفريسة إستشعار الخطر عندما وضع كلتا قدميه على الجزء الخاص بفراشي متجنباً شر الحانوتى ولكنه كان من المستحيل تجنب كوب الشاى الطائر من يد الحانوتى إلى وجهه مباشرة .. لم يلتفت السجين إلى الحانوتى نهائياً ولكنه رفع صوته وهو يمسح آثار الشاي عن وجهه قائلاً ً .. يعنى ينفع كده يا مختار ؟ نهض مختار من نومه وبدا أنه كان المتسائل عما يحدث منذ قليل ثم وقف مختار ينظر نظرة سريعة فحصت جميع أنحاء العنبر ثم وضع ظهره أمام الحانوتى قائلاً ً .. خلاص يا حانوتي مش دلوقت .
بدت تحركات عباس هى الأخرى كأنها شيئاً متفق عليه .. حيث كان يعيد كل من إستيقظ إلى نومه مرة أخرى ويغطى رأسه بالأمر قائلاً ً .. نام .. نام مالكش دعوة.
أعاد عباس عدداً كبيراً من المساجين إلى نومهم وكأنه يحرمهم من متعة المشاهدة للصراع القادم .. إلى أن بقي في وضع الوقوف ثلاثة ورابعهم عباس .. وكانت نظرات الحانوتى تلفظ حمم بركانية على وجه السجين الذي كانت عيناه تتوسل إلى مختار أن يمنحه قدراً من الحماية بينما نظر مختار إلى عباس وكأنما يلفت نظره إلى وجود شخص مازال مستيقظ يتابع فانتقلت عينا عباس نحوى على الفور وكأنه يأمرنى بوضع الغطاء على رأسى كما فعل الجميع .. فنظرت إلى عباس في تحد واضح فإذا به يغمز لى بإحدى عينيه وكأنه يقول .. تمتع بالمشاهده .
ثم استدار عباس نحو السجين قائلاً ً .. إنت لسه واقف .. تصدق إن إنت عيل بارد وتستاهل اللى هيجرالك.
كانت هذه الكلمات بمثابة إشارة إنطلاق للحانوتي فانطلق يبعثر تحت قدميه كل شيء ويكاد يقترب من وضع الطيران رافعاً يده لأعلى بشفرة حادة بينما تتعالى أصوات النيام بالتأوهات كلما وضع إحدى قدميه على أجسادهم إلى أن إستقر أخيراً في أحضان السجين وأخذه أرضاً وهو مستقر على صدره وبحركات سريعه أخذ يعبث في وجهه بشفرته بما كان كافياً أن نسمع فيما بعد أن مافعله الحانوتي قد تطلب إصلاحه عدد سبعة وعشرون غرزة في وجهه السجين المسكين .
عدت بذاكرتي وهمست بداخلى ماذا إذا كنت أنا فريسة الحانوتى يوما ما .. فهل هناك من مغيث ؟
ثم تنهدت قائلاً ً في نفسى كان مالها " الزنزانة الأبدية "
كنت أتابع الحانوتى وهو ينهض عن فريستة ليشعل سيجارته بينما لمحت عباس يسرع بجمع بعض الأشياء من فراشه و ينطلق مسرعاً تجاه دورة المياة ثم تبعه مختار قبل ثوانً من سماع الأصوات بالخارج ترج السجن كالرعد .. الجنود تزأر بالخارج وكأنهم سيهدمون العنبر على رؤوسنا ويطلقون علينا نيران المدافع وإذا بقنابل من الغاز المسيل للدموع تقذف من النوافذ لتستقر داخل العنبر و خرطوم الحريق يوجه دفعات المياه فيندفع الجميع نحو دورة المياه هرباً من الغاز والماء وترتفع أصوات الصراخ من تأثير الغاز ثم يفتح باب العنبر ويدخل عدداً من المخبرين ليحملوا السجين الملقى على الأرض إلى الخارج ثم يغلق الباب مرة أخرى بعد أن أصبح العنبر بركة من الماء و يعود كل سجين إلى مكانه مستسلماً لما حدث دون أن ينبس بحرف ثم يجلس ليرتكن وكأنه سيعود إلى نومه مجدد اً وبينما تتابع عيناى الدامعة المحترقة كل شيء حولي يكسر الصمت صوت يرتفع قائلاً .. تابع ياسيدى .. سجل ياتاريخ .
إلتفت نحو مصدر الصوت فإذا هو عباس يجلس فوق الفواصل الداخلية لدورة المياة جافاً تماماً..

إستقرت عيناى على وجهه وإذا به يشعل سيجارته وكأنما لم يمسسه شيء مستكملاً كلماته قائلاً .. إكتب عندك واحد قوة ضاربة وصلحه .. بالذمه ينفع كده .. فين حقوق الإنسان .. غاز وقنابل على عنبر فيه شوية مساكين إفرض حد مات مخنوق دلوقت ؟
جاملت عباس بإبتسامة باهته وإذا به يقفز في رشاقة وكأنه تذكر شيئاً ويسرع تجاهى ثم وضع يده على كتفي وهمس في أذني قائلاً .. مش عاوز تشوف القوة الضاربة ؟
نظرت إليه متسائلاً عن هذا المسمى الذي تقشعر له الأبدان فاستكمل ساخراً .. هوريلك حاجة بس أمانه .. تكتب بقى للناس .. تعرف القراء بالقوة الضاربة .. وإلا هما مش من حقهم ينبسطوا زينا؟
ثم أمسك عباس بيدي وأسرع نحو الباب ثم وضع وجهه في نافذة صغيرة في منتصف الباب .. وقفت بجواره أنظر إلى عينيه الملونتان تبحثان عن شيئاً ما حتى حصل على غايته فأفسح لى كى أضع وجهى في النافذة قائلاً .. بص كده على اليمين .
وقعت عيناى على لون الخضرة التي كدت أنساها .. حديقة متساوية العشب تساقطت عليها قطرات من الندى وتسللت إليها أشعة الشمس فجعلتها تبرق كحبات اللؤلؤ .. ما أروع أن أجلس للكتابة على تلك الخضرة الرائعة تحت أشعة الشمس .. مددت أنفي قليلاً للخارج أشتم رائحة الهواء مما أكد لعباس أننى في عالم آخر غير ما كان يسعى أن يرينى إياه فتمتم قائلاً .. طب شم براحتك بقى ولما تخلص هتلاقينى بأشم جوه في الحمام .
إنفردت بهذا المشهد الرائع فلم ألتفت لعباس بل ولم أبتسم على تعليقه الأخير .. انشغلت تماماً في استنشاق رائحة الحياة .. إلى أن وقعت عيناي على ما أراد عباس أن يريني إياه .. ما يسمى بالقوة الضاربة .. وما أن رأيتها حتى أخذتني نوبة من الضحك المتواصل على ما سبق أن رسمه خيالي للقوة الضاربة من قبل .. إنتبه عباس فأدرك أنني قد بلغت غايته فأتى تجاهى مهرولاً في المياه باسم الوجه ضاحكاً ثم مال برأسه قائلاً .. شفت القوة الضاربة .. الأشعة البنفسجية .. السهم الدوار .. العاصفة .. طيب شفت الواد أبو فانلة حمالات ؟
أخذت عباس نوبة من الضحك الهستيري وهو يضيف قائلاً .. طيب شفت الواد أبو فردة بيادة و فردة شبشب ؟
تعالت ضحكات عباس وعيناه تدمع وكأن الوجود قد خلا من حوله واسترسل قائلاً .. لا وكله كوم والواد اللى واقف في الشمال اللى لابس فانلة رونالدو على بنطلون البيجاما ومبلول وحالته تصعب على الكافر.
شاركت عباس ضحكاته وتابعت قائلاً .. هى دى القوة الضاربة ؟
هز عباس رأسه قائلاً .. أيوة .. ضاربة بودرة .
تصافحت أيدينا ثم تمتم عباس قائلاً .. اللهم إجعله خير.
ولم تمض دقائق قليلة حتى دخل أحد المخبرين ورفع صوته ينادى قائلاً .. عادل الشريف .
فأشرت إليه بيدى فتابع قائلاً .. هات حاجتك واطلع بره .
أسرع عباس وقام بإحضار متعلقاتى ثم وجه سؤال لصاحب الصوت قائلاً ..عنبر كام يا عم أيمن ؟
رد عم أيمن بسرعة قائلاً ..ثلاثة ياسيدى .. وحا يشتغل في المكتب كمان .. ثم تابع موجهاً حديثه لى قائلاً .. إطلع إفرد حاجتك بره علشان تنشف وحصلنى على المكتب اللى جنب الجامع .
أومأت برأسي ثم نظرت إلى عباس مودعاً فأمسك بيدي قائلاً .. هو أنا ينفع ابقى بنى آدم محترم ؟
تبسمت قائلاً .. ينفع.
فتابع عباس قائلاً .. طيب اوعدنى تكتب للناس إننا نفسنا نبقى محترمين .
فأجبته قائلاً .. أوعدك إني أكتب عنك وعنهم في روايتى الجديدة
"الزنزانة الأبدية"

كانت قدماى تتلطف في معانقة الخضرة في أولى خطواتها خارج عنبر الإيراد و إتخذت عيناى قبلتها نحو مقعد خرسانى إلى أن بلغته فوضعت حقيبتى بجواري وإفترشت ما تبلل من أشيائى على الخضرة تحت أشعة الشمس وما أن إستنشقت ملء صدرى هواءً حتى وضع أحدهم يده على كتفي قائلاً ً .. إنت بتكتب في جرنال إيه ؟

نظرت إلى صاحب الصوت فوجدته طويل القامة وسيم الوجه خفيف اللحية .. لم يمهلني وقتاً للتعمق في تفاصيل وجهه وأشار لى بمصاحبته وهو يتابع قائلاً .. أخوك خليل وعلى فكرة أنا بأحب القراءة وقريت نَصْ السبعينيات .. وعجبنى جدا الفرعونيات .. سمعت إنك بتكتب رواية عن السجون والمساجين .. ياريت تبقى تتوصى بأخوك شوية لأن أنا قصتى لوحدها عبارة عن مسرحية كبيرة .. كان يضع يده على كتفي وكأنه يصطحب طفلاً صغيراً و ينظر بين الحين والآخر إلى وجهى متسائلاً .. صحفي مش كده .. صحفي أكيد ؟

لم يطل صمتى كثيراً فأجبت قائلاً .. صحفي تحت التمرين في جرنال واتحبست ظلم وفي الحبس جه موضوع الرواية ده كده بالصدفه .. حبسوني انفرادى في زنزانة ولقيت لوحة مرسومة ومكتوب عليها كلام بطريقة غريبة شدتنى قراءتها جداً فقررت أنقل منها وأعملها رواية.

أوسع الرجل عينيه الزرقاوين قائلاً ً ..لا ياراجل .. لوحة غريبة وفيها كتابة .. أهلاً وسهلاً .. أهلاً أهلاً ً ..

أنست وشرفت .. طيب نتعرف بقى .. محسوبك خليل مندوب المريخ الدائم في سجن دمنهور .. تعالى نروح مكتب الخدمة ده زكريا هيفرح بيك أوى .. والشيمي حاينبسط خالص .. يا أخى أيمن جبنه ده بيجيب لنا شوية تحف .. عارف لو بينقى مش حا يعرف يعمل كده .

لم أكن أدرك أن خليل هو أحد السجناء نظراً لإرتدائه لبس رياضى سماوى اللون يختلف عن ملابس المساجين ويحمل معه حقيبة يد صغيرة توحى بأنه أحد العاملين داخل السجن .. توقف خليل ثم انحنى بطريقة استعراضية مشيراً لى بالدخول إلى غرفة صغيرة .. بالكاد استطعت أن أتبين خلوها من الأثاث إلا من مكتبين من الخشب ومقعد واحد ولوحة زيتية كبيرة رسمت بالألوان الطبيعية لبحيرة وأشجار وبجع .. وبينما كنت أتفحص ماحولي في ظل قلة الإضاءة لاحظت وجود شخصين بالغرفة تحرك أحدهما سريعاً وكان خفيف الشعر قصير القامة ثم مال على أذن خليل وكأنهما يتفقان على شيء ما .. وضعت حقيبتي بجوار المدخل وتقدمت للداخل وألقيت السلام .. فأجاب خليل والشخص خفيف الشعر بينما رفع الرجل الثالث رأسه بعد أن كان منهمكاً في كتابة بعض الأوراق وأشار بقلمه تجاه اليمين قائلاً ً .. لا يا سيدى .. مش ده الجامع .. الجامع جنبنا هنا على إيدك اليمين و انت خارج وإحمد ربنا إن منير مش هنا وإنت داخل كده وبترمى السلام بالفم المليان . وضع خليل يده على فمه مصطنعاً الرهبة من ذكر أسم منير ثم اقترب مني هامساً .. أصل منير ده .. وإلا بلاش .. ربنا يجعل كلامنا خفيف عليهم .

ثم تابع الشخص خفيف الشعر قائلاً ً .. ياعم إستنى على الراجل شوية .. قول لى يا كابتن .. انت منين .. تعالى بس قرب كده مالك واقف بعيد كده ليه .

إقتربت قليلاً وإذا به يميل بجسده لأسفل ويغرس إحدى يديه في جانب خصري وهو يصدر صوتاً رفيعاً قائلاً ً بصوت مرتفع .. إوعى .

شعرت بدغدغة قوية في خصرى لكنني تماسكت عن الحركة فإذا به يثنى قائلاً ً ..لا ياعم مش بيركب الهوا ولا حاجه .. يا خبر إلحق "جبنه" جاى .

أصدر الرجل المنهمك بالكتابة زفيراً طويلاً عبر به عن استياءه بينما دخل المخبر الذي أخرجني من عنبر الإيراد ويبدو أن "جبنه" هو الاسم الحركى الذي أطلقه السجناء على الشاويش أيمن الذي ما أن أصبح داخل الغرفة حتى أصدر أوامره بشكل متتالى دون إنقطاع مما يوحى بأنها لن تنفذ أبداً لصعوبة إحصائها حيث وضع غطاء رأسه على المكتب قائلاً ً .. زكريا .. خلص اللى في

إيدك و إطلع هات اللى قلت لك عليه من رمضان .. وشوف صبرى إذا كان خلص هات الصناديق كلها خليها هنا وإقفل عليها بالقفل .. زكريا .. مافيش حد ياخد غير اللى قلت لك عليهم ..وإبقى إعمل يومية الفرن وحط العيش بتاعى في الدرج .. وعدى على المطبخ هات لى الجبنه علشان ألحق أمشى .. هات سيجاره ياشيمى .. فين الدواء يا خليل خليني ألحق أمشى .. فين الفطار يا شيمى .. ما تسخنوا علبه جبنه يا جدعان وتجيبوا كام بصلة من المطبخ وشوية خيار وطماطم و عيش سخن من الفرن .. زكريا .. على فكرة عادل هيشتغل مع أنا هنا في المكتب .. علمه بقى الشغل إزاي ويدخل معاكم في العنبر مع المسيرين .. أنهى أيمن أوامره بينما كنت منصتاً أحصى كل ما قاله وإذا به يقترب مني واضعاً يده على كتفي ومتحدثاً بطريقة المليجى لما ولّع في الغيط قائلاً .. إسمع .. إنت هتبقى
مع أنا هنا .. زكريا وشريف الدفتر .. وخليل وسمير العيادة .. وإنت حاتمسك الزيارة مع الشيمى .. هتخرج معاهم الصبح الساعة ثمانية وتدخل معاهم العصر .. المكتب هنا أسرار خد بالك .
ثم استدار تجاه زكريا قائلاً .. مش حأوصيك يا زكريا .. تفهمه النظام علشان ده صحفي .. أحسن يكتب حاجة كده حاجة كده مش ناقصين مشاكل كفاية اللى جرى لنا من تحت رأس شهاب.
احتد زكرياً موجها كلماته تجاه جبنه قائلاً لا .. بقولك إيه .. إنت تقول اللى انت عاوز تقوله في أى موضوع .. إنما لحد شهاب إنت آخر واحد يتكلم .. ده انت مثال حي لكل اللى شهاب اتكلم عليه.
إهتز أيمن وصرف عينيه عن زكريا قائلاً .. هو أنا قلت حاجة .. ده كان راجل محترم ربنا يطمنا عليه .. أنا بس أقصد مافيش داعى للمشاكل ما إنت شفت عملوا فينا إيه لما كان هنا واتبهدلنا إزاي .. فين السجاير ياشيمى .. خلص يا خليل خلينى امشى .. خلاص يا زكريا أنا حأروح أجيب الجبنه وأبقى أفطر في البيت مع الأولاد .. عادل .. مافيش صحافة هنا أبوس إيدك عندنا عيال عاوزين نربيهم .. يلا .. سلام .
وما أن خرج أيمن حتى إنفجر الثلاثى بالضحك في توقيت واحد للسخرية من هذا الأداء الذي قام به جبنة وأخذوا يعيدونه مرة أخرى متقمصين طريقته ومصافحين الكفوف عند كل حركة تثير الضحك .. إجتمعت تعليقاتهم الساخرة على أنه شخصاً لا يطاق وأن لحظة مغادرته هى موعد بدء الراحة النفسية ..
استوقف الشيمى أفكارى مقترباً من وجهى قائلاً .. انت صحفي ! بجد ؟ تعالى في حضنى ياحبيبى .. قاطعه خليل قائلاً .. جرايد معارضة صح ! شكلك معارضة طالما حبسوك.
قاطع زكريا الحديث قائلاً .. بص يا إسمك إيه إنت .. إحنا هنا بنقضى كام يوم وخارجين .. عايز إنت بقى تفضل هنا ده موضوعك .. أظن سمعت بنفسك اللى حصل لنا أيام شهاب ده غير اللى حصل لنا بعد ما مشى .
تمنيت أن أسأل عن ماحدث لكن صوت الشيمى خرج مفاجئاً .. صحيح يا أخى ده إحنا إتمرمطنا أيامها مرمطه .. ولا تليفون ولا جرايد ولا فلوس ولا الهوا .. ده كان تفتيش قبل الزيارة وتفتيش في الزيارة وتفتيش بعد الزيارة وبعد ده كله تفتيش في العنبر يا بويا ..
ربنا لا يعيدها أيام .
تابع زكريا حديثة قائلاً .. علشان كده بقى سيادتك تنسى موضوع إنك صحفي ده وتفتكر انك مسجون وبس .. عايزين نقضى اليومين ونخرج ونخلص من الغلب ده .. واى حاجة عايز تكتبها تبقى تأجلها لما تخرج بالسلامة ومافيش داعى ينزل عليك الإلهام هنا فيحبسوك إنت وإلهامك وإلهامنا كلنا .. ياريت يبقى ينزل كده وإنت قاعد في كافية مكيف بتشرب فنجان القهوة بمزاج ..

بره .. واخد بالك إنت .. ساعتها بقى لو عاوز مساعدة مننا من عنينا الاثنين .. نساعدك .. نحكى لك ..ولو عاوز كمان تعملها رواية احنا نجمع من بعض وننشرها لك مافيش مانع .. لكن هنا ولا كلمة .. الا صحيح انت لو كتبت رواية ممكن تسميها ايه ؟
همست بهدوء "الزنزانة الأبدية"

الحلقة الرابعة عشر : *Shehabiat*
كنت مرتعباً من كلمات زكريا العقلانية فأخذت أفكر أن أكتفي بما دونته على أن أقوم استكمالها بعد خروجى من السجن عملاً بنصائح زكريا إلا أنني تذكرت أن مهمتى الحقيقية هى عمل التحقيق الصحفي وتدوين كل شيء أولا بأول .
طال بنا جميعاً الصمت إلى أن دخل شخص مصبوغ الشعر والشارب قصير القامة أشار إلى وجهى بقلمه قائلاً ً .. أنت هنا ليه .. اتفضل بره .. السؤال من بره .. قلت مليون مرة مافيش دخول هنا .. كان الرجل مهندم الملابس يرتدي قميصاً أزرق و بنطال أزرق وفي قدميه "شبشب" لا يتماشى مع هندامه وعندما طافت عيناي بين الحضور بحثاً عن من يرد عنى وجدت الجميع منشغلون كل في ملكوت بعيد .. بل ولم أستشعر تلك الضحكات المكتومة في صدورهم فأوحى إليّ صمتهم بأنه المأمور وفي طريقه إلى أداء الصلاة بالمسجد .. وبينما أستعد للمغادرة إرتفع صوت الرجل القصير مرة أخرى قائلاً .. قلت بره .
فاتجهت نظراتى عفوياً نحو قدميه وعندها تبسم قائلاً ً .. الشبشب صح .. هو اللى مبوظ البريستيج .. صح ؟
أنا قلت لهم ماينفعش مسيرعام السجن يبقى لابس شبشب لكن تقول إيه بقى في زناخة الدماغ .. بس إيه رأيك .. خطفتك صح ؟
ثم مد يده مصافحاً وسط ضحكات الشياطين الثلاثة وهو يقدم لى نفسه قائلاً ً " منير" أقدم ساكن في الخرابة دى .. وكل دول بيشتغلوا عندى .. استلمتهم كلهم وهما لسه صغيرين وكانوا بيقولوا لى يا عمو .. المهم اتعرفت على طقم المكتب وإلا بناقص .. بناقص الصراحة كلهم عيال بايظه .. دقايق أروح أسلم اليوميات دى وأرجع لك.
خرج منير مسرعاً.. وكالعادة إنفجرت الغرفة مرة أخرى بالضحكات والقفشات المستنكرة من سلوك منير وتعليقاته ثم بدأ الثلاثى في إعادة ما قاله بطريقة التقليد الساخر ثم إقترب مني خليل مبالغاً في إتساع عيناه قائلاً ً ..
أنت في عنبر العقلاء.
بينما دخل شخصً أصلع الرأس يبدو في الثلاثينيات من عمره أسرع نحو خليل صارخاً .. فَتّح يابنى فَتّح شوف مين بيكلمك ده أنا عنتر المفَتّح بصباعى أخرشمك .. ثم إرتفع صوت الثلاثى الساخر وهم يتراقصون الى أن ساد الصمت فجأة عندما عاد منير مرة أخرى منفعلاً وهو يقول ينفع كده .. إيه اللي بتعملوه ده يا حضرات .. ده منظر مكتب مسير خدمة !
إلتفت منير نحو خليل ثم صاح قائلاً .. والنبى ناولونى الولاعة عايز أولع روما بحالها .. أنا مستعجل عندي إذاعة .. خطبة عظيمة أنا رايح أقولها.
وقبل أن ينهى منير فقرته الإستعراضية دخل شاباً في العشرينات طويل القامة اتجه مباشرة نحو زكريا قائلاً ً .. إزيك يا آبا .. خلاص كفاية عليك كده .. سيب لى اليومية دى بقى وأنا أكملها.
قاطعه زكريا وهو يشير نحوى بقلمه قائلاً ً .. سَلّم على الأستاذ عادل زميلنا الجديد.. ثم أضاف ده بقى شريف إبنى أو بمعنى أصح زى إبنى من ساعة ما وصل
السجن هنا وأنا بأعتبره ابني فعلاً ً .. أما بقى اللى لعب من شوية دور عنتر المفتح ده يبقى الأستاذ

سمير .. تقدم شريف لمصافحتي بهدوء وتعقل وبدا لى أنه قد إعتاد مشاهدة هذا السيناريو الساخر ربما يومياً وسريعاً مد سمير يده نازعاً يدى من يد شريف قائلاً ً .. بسرعة .. مش وقت تعارف بصوا مين جاى .
عم الصمت أرجاء الغرفة بدخول أحد المساجين و بإشارة من خليل بدأ الجميع يشكلون دائرة حوله بينما هو يحذرهم بأنه عكر المزاج ولا داعى لما سيقومون به .. ثم أخذ يلتفت في جميع الاتجاهات بطريقة غريبة وسريعة ثم تبدلت إلى قفزات عندما نزغه الشيمى بأصابعه أسفل صدره قائلاً ً .. إوعى.
وبغير وعي انتفض جسده إنتفاضة من صعقته الكهرباء فصار يضرب بكلتا يديه في الهواء بغير هدى وكادت يده تلفح وجه خليل الذي انحنى برشاقة متفادياً تلك الضربة الخاطفة ثم بدأ الثلاثي هجوم متتالي من النزغات على السجين وهو يقفز قفزات عشوائية وتلاطم يديه كل شيء حوله بما في ذلك جدران الحوائط والمكاتب إلى أن سقط أرضاً فصاح منير بقوة قائلاً .. إيه ده! ينفع كده؟ قوم يابنى .. بس خلاص .. مافيش هزار كده ياجماعة .. ده ممكن يموت فيها ..
اللى بتعملوه ده ممكن يعمل ضغط عصبى على دماغه و يجرى له حاجه.
وما أن أنهى منير جملته حتى نزغ بأصابعه أسفل صدر السجين قائلاً ً .. إوعى " فقفز السجين في الهواء ضارباً بيده فصادفت كفه وجه سمير الذي لم يكن حذراً هذه المرة فإرتفعت الضحكات الهيستيرية مصاحبة بالدموع أما السجين فإنطلق من الباب هارباً دون أن أعلم ما كانت غايته ولماذا أتى إلى مكتب خدمة المساجين .. إرتفع صوت منير قائلاً .. يعنى ينفع كده! في هزار كده؟
الضربة اللى جت في سمير دى كان ممكن تعمله ارتجاج في المخ .. استنوا كده .. وبينما يقترب منير من سمير صرخ سمير قائلاً .. لا .. بقولك إيه ..
متعملش الحبتين بتوعك دول عليَ أنا.
ارتسمت الحلقة مرة أخرى حول سمير وبدأت الأصابع تبحث عن ثغرة إلى أسفل صدره فتابع سمير قائلاً ً .. يعنى خلاص مش قادرين تمسكوا نفسكم شوية .. لازم تعرفوا الراجل الجديد اني بأركب الهوا ..
طيب ياسيدى أنا بأركب الهوا زى الواد اللى خرج يجرى ده بالضبط .. إهمدوا بقى.
ثم نظر سمير تجاهي مغيراً مجرى الحديث قائلاً ً .. إنت حضرت الخناقة بتاعة الحانوتى ومصطفي في عنبر الإيراد ؟
مصمص خليل شفتيه قائلاً ً .. سبعة وعشرين غرزة في وشه إبن المفترية .. عيل غبى اوى .
وأردف الشيمى قائلاً ً .. الواد مصطفي غلطان برضه .. إيه اللى يدخله العنبر وهو في خصومة بينه وبين الحانوتى من ساعة الموبايل بتاع الواد زنان .. كان قال للمخبرين أنه مخصم واحد في الإيراد كانوا دخلوه عنبر ثانى.
استوقف شريف الحوار قائلاً ً .. على فكرة الموضوع مش كده خالص .. فاكرين لما الحانوتى ربنا هداه على إيد شهاب وخلاه يعمل طعمية ويبيعها في العنبر ويكسب من عرق جبينه ..
الحانوتى أيامها ربنا كرمه وجاب موبيل كان بيكسب من وراه وفي يوم أخده الزنان إيجار يوم وكان نازل تاني يوم جلسة .. بعدها بيومين الحانوتى لقى الموبايل مع مصطفي وحلف له إنه اشتراه من الزنان بأربع كراتين سجاير طبعاً الحانوتى أخذه منه عافيه قام مصطفي وهو نازل جلسته مبلغ إن الحانوتى معاه موبايل وإتاخد منه ودخل التأديب .. راح الحانوتى دافع لمختار علشان يدخله عنده عنبر الإيراد ويستنى مصطفي لما يرجع .. ومصطفي ياعينى ماكانش يعرف ولا يتوقع إن الحانوتى عرف إنه أرشد عليه ولا إنه مستنيه في عنبر الإيراد وطبعاً المخبرين مالقطوش اللى في دماغ الحانوتى ولما رجع مصطفي من الجلسة دخلوه الإيراد راح مقابلة

الحانوتى وعمل مشكلة قال ايه إنه داس على الفرشه بتاعته وراح مبوظ له وشه وطبعاً مختار ودن من طين.
استوقف سمير قائلاً .. إيه يابنى ده .. مرجع .. ده انت ناقص تقول لنا رقم الموبايل كام.
قاطعهم خليل قائلاً .. بس سيبك انت .. الواد مصطفي لما دخلوه عندى العيادة علىَ النعمه ماعرفته .. كان كل همى ألحق أخيط مناخيره قبل ماتقع .. الغبى ضاربة بشنبارة غبية عاملها من غطاء علبة تونة .. طبعا عملت له جراح غير منتظمه في الوجه .
قاطعه منير قائلاً .. طب بالذمه ينفع كده ..أما عيل غبى اوى .. يضربه بغطا علبة تونه كده من غير لا زيت ولا ليمون .. ولا حتى بصلة متقطعه وعليها شوية خل .
كدت أشعر بأن موضوع الحديث قد تغير دون أن أدرى إلا أن يد خليل أمسكت بذراعي قائلاً .. إوعى تتوه مننا يا زميلى .. في حاجة إسمها حق القارىء .. لازم تكتب اللى بيحصل بالحرف
في رواية "الزنزانة الأبدية"
كانت كلمات خليل تضع على كاهلى حملاً ثقيلاً و كانت كلمات زكريا مازالت ترجف قلمى وبينما أنا شارد الذهن في حيرتى فاجأني الشيمى قائلاً .. إنت شفت التأديب قبل كده يا عادل ؟
فأجبت نافياً بهزة من رأسي فإذا بخليل يمسك يدى قائلاً .. ياسلام .. غالى والطلب رخيص يا سيدى .. تعالى معايا.
انعطف خليل نحو اليسار في ممر مجاور لمكتب الخدمة تخلله عدداً من الغرف الخاوية يفوح منها رائحة كريهة تزداد كلما توغلنا داخل الممر وينبعث من أعماق الممر أصواتاً أشبه بالصراخ ترتفع كلما اقتربنا للداخل ثم استوقفني خليل عندما رأينا أربعة من المخبرين يحيطون بجثة عارية يتبادلون عليها الركلات بطريقة متتابعة إلى أن يهوى عليها خامسهم بالكرباج فيقطع الهواء بصوته ثم يقطع بشرة الجثة العارية مصاحباً لوقعه صرخة مدوية وحركات سريعة بالأرجل من وقع الألم فتدور الجثة حول نفسها على الأرض إلى أن يستقر الوجه تجاهي فوجدته هو نفسه وجه الحانوتي الذي انقض على فريسته بالأمس في عنبر الإيراد لكن فهد الأمس تحول إليوم إلى جرو ضعيفاً خائر القوى ينزف الدم من فمه وأنفه وكأنما هو في النزع الأخير ..
أمسك خليل بيدى للمغادرة مكتفياً بهذا القدر فوجدتنى أرمق الزبانية بنظرة سريعة وكأنما أرسم وجوههم لأبلغ عنهم كل من فقد أحد أفراد عائلته داخل أحد السجون خرجت وأنا أتمتم في نفسى قائلاً .. نعم وارد جدا أن يفقد مسجون عقلة أو يفقد حياته .. وربما هم من يجعلون منهم مجرمين محترفين .. ربما هم من يجعلون منهم أعداء للمجتمع .. هم الذين يسخرون من حقوق الإنسان بل هم من يسلبون الإنسان كرامته .
نظر الشيمى إلى وجهى مدققاً عند عودتنا إلى مكتب الخدمة لكنه لم يسخر هذه المرة عندما إستوقفي أمامه قائلاً .. إنت شكلك كده عمرك ما قابلت شهاب صح ؟
رفعت عينى تجاه وجهه قائلاً .. نفسى اقابله ولو خمس دقايق.
تابع الشيمى قائلاً .. علشان كده .. بص يابنى .. شهاب كان جنبى في الفرشة شهر .. كل ليلة كنا نسهر نتكلم ونحكى.. ومرة وأنا بأشكى من البشر بكيت من الحرقة وأنا بأسأله هى الناس بتعمل في بعض كده ليه؟
قال " علشان الناس في بلدنا كلهم طيبين.
فقلت .. طيبين .. دول طيبين.. امال لو مش طيبين كانوا عملوا فينا إيه ؟
فقال .. الشخص الطيب بيحكم مشاعره في كل تصرفاته وهي التي تحركه ويبني عليها ردود أفعاله ثم تصدمه أخطاء البشر وعدم اعترافهم بالخطأ باعتبارها مصالح متبادلة .. فتترك تلك الصدمات ندبات في ذاكرته إلى أن يأتى يوماً يقتنع فيه بأنه يجب أن يعمل عقله بدلا من قلبه

ليصبح واقعى مثلهم ويتعامل مع من لا ذنب له مثلما عامله من استغل طيبته وأعمل عليه عقله بالماضى فخدعه .. كذلك هم البشر اليوم .. يأخذونك بذنب من ظلمهم وخذل مشاعرهم قبلك . فكن واقعي في فهم الأمور مثلما لن تعيد الحجر بعد إلقائه ولن تعيد الزمن بعد مروره ولن تعيد الفرصة بعد ضياعها مثلما لن تعيد الشباب بعد رحيله ولن تعيد الصحة بعد زوالها ولن تعيد الحب بعد فقده وإلتمس للناس الأعذار قبل أن تصدر عليهم القرار.

أنهى الشيمى كلمات شهاب فذكرتني معانيها ببعض مما قرأته في لوحته "بالزنزانة الأبدية " كنت أسترجع كلمات شهاب التي تحث على التسامح والعفو وإن حرضتنا قلوبنا على الانتقام وإذا بصوت خليل يقطع افكارى قائلاً .. عارف أنا نفسى في ايه ؟ نفسى يسلموني السجون شهر واحد بس .. نظرت إلى خليل متسائلاً عن ما يريد أن يفعل فأضاف قائلاً .. كنت عملت المخبرين دول عبره .. كنت علمتهم الأدب .. كنت طلعت على جثثهم اللى بيعملوه في الناس .. كنت دوقتهم من نفس الكأس .. كنت عذبتهم بطريقة التحنيط أحياء زى تماثيل الشمع كده .. كل واحد فيهم يتحنط على الوضع اللى كان بيعمله .. اللى كان بيهرب صابون أحنطه واقف وشايل كرتونة الصابون في إيده واللى بيسرق الزيت بتاع المساجين أحنطه وهو شايل الزيت وهكذا .. مش بيقولوا الحرامى بشيلته .. أهو أنا بقى حأعمل كده وكل واحد يتحنط بشيلته وأعملهم مزار سياحى واللى داخل وخارج يناولهم بالقفا والشلوت ونصورهم في التليفزيون بث مباشر على الهوا .

قاطعت خليل متسائلاً .. هل الكل يستحق هذا الإنتقام ؟

أجاب خليل قائلاً .. كنت فاهم كده .. لكن شهاب وضح لى إن التقدير الشامل يشوبه البعد عن الحقيقة وأن التعميم في التقييم هو ناتج عن الاستسهال في الحكم والكسل عن دراسة التفاصيل الدقيقة لأن كل مجال به المصلح والمفسد بدليل أن المصلح هو من يكشف لنا عن وجود المفسد.

زفر خليل بعمق سارحاً بخياله بعيداً ثم أضاف .. الحقيقة إن وجود شهاب مع أنا كان بيخفف عننا كثير لأنه كان بيعرف يحول اليأس و طاقة الغضب والرغبة في الإنتقام إلى سلوكيات إيجابية بمجرد الحديث معه مش عارف إزاي .. تلاقى نفسك بتفضفض وبتحكى له من غير ما يسألك وتحس إن كل كلمة بيقولها بترجعك إنسان لكن المشكلة إنه لما بيبعد كل حاجة بترجع زى ماكانت .. تعرف مثلاً الحانوتى الفتوه ده أيام شهاب كان بلطجى وبياخد اتاوه من العنبر قعد معاه ساعه زمن .. ثانى يوم لقينا الحانوتى بيعمل مشروع مطبخ في العنبر.. كان بيقلى طعميه ويبيعها للمساجين ومهما سمع من تريقه كان يقول طالما بأكسب لقمتى بشرفي وبعرق جبينى مايفرقش معايا الكلام .. لكن بعد إختفاء شهاب رجع الحانوتى للبلطجة تانى زى ما إنت شفت كده .. عندك سمير مثلاً .. كان بيشتغل في شركة الكهرباء موظف من الموظفين اللى بيروحوا يمضوا ويمشوا وإتسجن في قضية رشوة لأن المرتب طبعاً مش بيكفي البيت ولما اتسجن مراته طلبت الطلاق وخسر أولاده وما عرفش مراته راحت بيهم فين ولا حضرت زيارة واحدة وجاله يأس من كل حاجه .. شهاب لما عرف في يومين خلاه رجع لأولاده ومراته بالتليفون وصحى جواه الأمل ثانى وخرج منه موهبة التعليق الإذاعى لأن صوته هايل الصراحة وكان بيدربه ويقعدنا كلنا نسمعه وهو بيقرأ وفعلاً عمل له إتفاق مع محطة إذاعة إنه لما يخرج يشتغل مذيع .. لكن بمجرد اختفاء شهاب إكتئب سمير وانطوى على نفسه ونادراً لما يكلم حد أو يضحك .. لكن الحق يتقال .. الشيمى هو الوحيد اللى فضل محافظ على روح الأمل في قلبه ..أعتقد السبب إنه كان الأقرب في العلاقة مع شهاب .. وعندك شريف مثلاً كان كل اللى على لسانه هو الهجرة من البلد ويأس من المجتمع والناس .. دردش معاه وهما بيلعبوا شطرنج .. لقينا شريف بعدها بيتكلم عن الوطنية وعن حب الوطن وعن دور الشباب في إصلاح المجتمع وعدم التخلي عن دورهم والهروب من المسئولية بالسفر والهجرة .. أحكيلك إيه ولا إيه .. ده غير الناس اللى جوه العنبر لما تدخل بقى هتلاقى الاستاذ أمين اللى تحول إلى موسوعة للتاريخ المصرى بعد ماكان تاجر آثار وتلاقى

"عمر" المسجل نصب تحول إلى مصلح اجتماعي بيحل مشاكل المساجين .
وتلاقى غزال قاعد بيقرأ بعد ما كان جاهل لا بيقرأ ولا بيكتب وتلاقى سليم بيتمرن كمال أجسام بعد ماكان فران والحاجه الوحيده اللى كان بيشيلها هي شوال الدقيق .. ماتفهمش إزاي كان عنده قدره إنه يهذب نفوس المجرمين و يزرع الحب بينهم و يعلمهم معنى العطاء ..
قدر يشغل كل واحد بأنه يسعى يسعد الثانى وخصوصا كبار السن والغلابة كان البلطجي بيكلف نفسه برعايتهم ..
يوم اختفاء شهاب .. اليوم ده كان فيه كمية بكاء عمرى ما شفتها في حياتى .. الكل كان يبكي بحرقة.
لكن فضلت فاكر من كلامه انه قال لى شيل الغل من قلبك وإتعلم تاخد على قد حقك وإياك تجور على حق حد وإلا يبقوا نجحوا يخلوك زيهم.
دمعت عينا خليل الزرقاء حتى كدت أضمه إلى صدري فوجدته يستكمل وهو يمسح عينيه بيديه ويسحب الشهيق بعمق قائلاً "افتقدناه ".
إنهمر الدمع كالشلال على وجه خليل وتسارعت أنفاسه وتلعثمت كلماته وهو يضيف قائلاً .. لسه صوته بيرن في ودانى وهو بيقول كلهم مساكين .. حتى المجرمين كان يعتبرهم مساكين ويعاملهم على إنهم مساكين.
لمح خليل بطرف عينه إقتراب الشيمى فأسرع يخفي عيناه وهو يمسحهما بذراعيه ثم زين وجهه بابتسامة وهو يضيف قائلاً .. بس ياسيدى ده كل اللى أعرفه عن شهاب "ربنا يطمنا عليه "
تدخل الشيمى ساخراً وهو يقول .. آمين .. بس انت حرامى .. في حد يصدق حرامى!
نظر الشيمى تجاهي وهو يضيف قائلاً .. ده خاين أمانه .. إوعى تصدق كلمة من كلامه ..
روح بص على الملف بتاعه هتلاقيه سارق صاحب الشغل اللى كان بيشتغل معاه .. ثم نظر الشيمى نحو خليل الذي وقف باسماً وأضاف قائلاً .. طب عينى في عينك كده ..حرامي ولا مش حرامى ؟
فأجاب خليل بابتسامه قائلاً .. حرامى يا بيه .
وقف الشيمى أمام وجهى واضعاً ظهره تجاه خليل وأظهر بعضاً من الجديه على وجهه قائلاً .. إذا كان ولابد تكتب اللى قاله .. إكتب إني قلت لك إنه حرامى وإن اللى فيه داء عمره ما يبطله وإن ذيل الكلب ممكن يتقطع لكن عمره ما يتعدل..
اللهم بلغت اللهم فاشهد.. وكله الا الأمانة.

الحلقة الخامسة عشر : *Shehabiat*
كانت ستائر الغروب تغطى السماء بالغيوم عندما أنهى الشيمى كلماته وخرج زكريا وشريف من مكتب الخدمة إستعداداً للدخول إلى العنبر بينما لمح زكريا بطرف عينه بقايا حديث يدور فاقترب منا قائلاً .. يعنى مافيش فايدة فيكم!
فأجاب الشيمى متلعثماً .. ولا حاجة من اللى في دماغك خالص.. ده احنا كنا بنتكلم في موضوع ثانى.
تبسم زكريا قائلاً .. هو إنتوا فاهمين إيه .. فاكرين انى مش بأحب شهاب مثلاً .. بالعكس شهاب واللى زيه لهم في قلبى كل حب وتقدير .. وكان نفسى انه ينجح في كشف العصابات الكبيرة اللى لسه بره .. لكن طول ما إحنا أضعف من الفساد يبقى لازم نعدى الموجه وإلا الطوفان يأخذنا ويرمينا كلنا ورا الشمس .. تقدروا تقولوا لى مع كل احترامى لكل اللى بتقولوه .. عملتوا لما خطفوه .. ولا حاجة .. عارفين ليه !

علشان غلابة متقدروش تعملوا حاجة .. لما يبقى الحق أقوى نبقى نقف في صف الحق لكن طول ما الفساد أقوى بلاش تحاربوا بسيف خشب .. حأقول ثانى ولآخر مرة لما تخرجوا ابقوا اعملوا اللى انتوا عاوزينه .. وإذا كنتم مصممين على الكلام يبقى على الأقل بلاش وقفتكم كده في الحوش قدام الدنيا كلها وإنت بالذات ياشيمى عارف إن في عيون بتنقل كل حاجة .. أضعف الإيمان أجلوا الكلام لما ندخل العنبر.

إمتعض وجه خليل وهو يشيح بيده منصرفاً وكأن زكريا قد أصابه بسهم الخيانة بينما هز الشيمى رأسه موافقاً ثم أدخل ذراعه في ذراعى متوجهاً نحو العنبر قائلاً ً .. بس يا عم فُرجَت ..

طالما زكريا قال نحكى في العنبر يبقى أخذنا تصريح رسمى بالرغى .. تعالى بقى ندخل نأكل لقمة وبعدين أبقى آكل دماغك وأحكى لك على العصابة اللى كان بيتابعها شهاب .. وما أن وضعت إحدى قدماى داخل العنبر حتى أخذني الشيمى محلقاً بى في كل مكان وكأننى في جولة سياحية و قدمني إلى كل من يلتقيه بأننى المسير الجديد والقائم على تنظيم زيارات المساجين معه وكأنه يعلن لكل من تسول له نفسه إفتراس الوارد الجديد بأنه تحت الحماية وسرعان ماتناولنا طعام الغذاء الذي اتضح أن سمير هو الذي قام بإعداده لنا خلال فترات غيابه عن المكتب ثم أعد الشيمى لى موضعاً لفراشى بجواره و جلس مستنداً بظهره على الجدار وهو ينظر تجاهي قائلاً ً .. نفس القعدة .. كان هو بيقعد مكانك هنا..

إستنى .. شايف دى ؟

أخرج الشيمى من داخل حقيبته صورة صغيرة ومد بها يده نحوى قائلاً ً .. ده بقى ياسيدى شهاب .. ومالك عليا يمين يابنى أنا كل ما أتضايق أطلع الصورة دى واقعد ابص فيها .. ثم تابع قائلاً .. إيه ياعم انت مالك غارز في الصورة كده ليه كأنك حا تأكلها.. في إيه؟ "تبسمت مرة أخرى قائلاً ً "اصل دى اول مرة اشوف له صورة" فأضاف الشيمى قائلاً .. معقول بتكتب رواية عنه وعمرك ما شفت صفحته ؟

وقعت كلمة صفحته على عقلى وقع الصاعقة بينما مد الشيمى يده داخل حقيبته مرة أخرى وأخرج هاتفه المحمول ثم أخذ يعبث بأصابعه سريعاً وتوقف عند شيئاً ما ثم إقترب مني قائلاً ً .. دى يا سيدى الصفحة اللى كان بيكتب فيها وآخر حاجة كتبها كانت عن العصابة اللى سخرونى اشتغل لهم في تصنيع الحبوب المخدرة .. كانوا عاملين وكر في شارع كلوت بيه في جراج فندق قديم وكانوا بيحبسونى لحد ما أخلص ولما قلت مش عاوز اكمل معاهم لفقوا لى قضايا وحبسوني .

كنت في حالة من التركيز الكامل أتابع الشيمى وهو يمر بأصابعه سريعاً على صفحة شهاب إلى أن وجدته فجأة يدس الهاتف أسفل حقيبته وينهض مسرعاً نحو أحد الأشخاص ليمسك بذراعه ويساعده على النهوض ثم يعود بصحبته ويقدمه لى قائلاً ً .. سلم على عمك نسر.

استويت في جلستى ومددت يدى مصافحاً وما أن جلس حتى بدأ الشيمى حديثه قائلاً ً.. بص يا عم نسر .. الأخ عادل بيعمل كتاب عن المساجين إذا حبيت تتكلم معاه شوية عن حياتك وعن توبتك .. لكن لو مش عاوز خلاص .

لم يقاطع النسر حديث الشيمى لكنه تبسم ثم أردف قائلاً توبتى ؟

مين اللى قال لك إني توبت .. إنت عايز تبوظ سمعتى ياعم شيمى وإلا إيه ؟ ضحك الشيمى بصوت مرتفع ثم وضع يديه على فخذي عم نسر قائلاً ً .. حتى لو ما كنتش توبت يا شقى برضه احكى لنا عن إجرامك يامجرم .

نظر النسر نحوى قائلاً ً .. طيب هتكتب اسمي إيه في الكتاب يا سيدنا البيه ؟

أجبته قائلاً ً .. زى ماتحب .

إنتفض النسر من مجلسه وهو يخلع سترته ويستدير بظهره قائلاً ً .. أنا بأحب ده " أظهر باستدارته وشم كبير يملأ ظهره كله على هيئة نسر ضخم في حالة الانقضاض على فريسته ..

كان الوشم حاداً صريحاً لا يبدو أنه من صنع مسجون آخر بل كان من صنع أحد محترفي صناعة الوشم فسألته .. مش ممكن يكون ده معمول في السجن يا عم نسر ده شغل محترفين .
إرتدى نسر سترته وهو يتابع قائلاً .. باين عليك بتفهم يا حضرة .. الوشم ده معمول بره .. بره مصر .. اللي قاعد قدامك ده كان تاجر سلاح .. آثار .. مخدرات .. وكله بعلم أسيادنا .. كان عندى يخوت وسفن وأراضي وأملاك وحسابات في البنوك هنا وبره .. ولما أسيادنا اتقلبوا عليا .. إتقلبت الدنيا واتحبست .. وفي الحبس خلصت فلوسى وخرجت لقيت ذل بعيد عن السامعين .. حتى عبده أخويا اللى كتبت له نص أملاكي غدر بيا علشان الفلوس هو وجمال المحامى بتاعى وعملوا لى شهادة بالجنون .. المال الحرام سمم عقولهم .. تعرف سكنت فين لما خرجت .. عارف الأوضه الصغيرة بتاعة الكهرباء اللى بيبقى فيها الكابلات والمولدات .. بقيت أنام فيها واصحى الصبح أدور على حد يساعدنى .. لما المال بيروح الناس كمان بتروح يا سيدنا ومافيش حد بيعبرك .. جوعت واتعريت وبقيت زى المخابيل اللي بيمشوا في الشارع .. والناس بقت تبعد عنى وهى ماشية كأنهم خايفين من الجرب بعيد عنك .. حلفت من يومها آخد حقى من كل الناس .. وأولهم أخويا ..
جنون بجنون ولعت له في بيته .. لكن هو كان في اللوكاندة يومها ومراته هى اللى ماتت في الحريق لكن النيابة كشفت إني مش مجنون واتسجنت ثانى .. لكن المرة دى في الحبس كنت غلبان لا معايا فلوس ولا ورايا سند .. وخرجت على بيتي الجديد في المعادى .. أوضة الكهرباء برضه .. لكن الحق يتقال روقتها.. مرتبة وبطانية ومروحة وكسرت القفل بتاعهم وعملت قفل بمفتاح من بره وترباس من جوه وبقيت أدخل وأخرج على مزاجى وكانت الناس بتشوفنى راجل كبير وغلبان يساعدونى ومش بيبلغوا عنى لحد ما عملت إتاوة على سكان الشارع اللى رايح واللى جاى واللى بيركن عربيته .. كان حى راقى والسكان ناس مالهاش في قلة الأدب وبيخافوا من المشاكل.. وفي يوم كنت سكران وكان الجو برد والليل غبى .. لقيت واحدة ماشية مع جوزها.. بس عجبتنى أوى .. مشيت وراهم وعرفت بيتهم ونزلت على البلكونة من السطح وهجمت عليهم زى النسر .. هددت الراجل بالسلاح وغزيته غزة صغيرة في جنبه و ربطته .. وحصل اللى حصل .. الراجل يظهر ما بلغش عن اللى حصل وعَزّل من المنطقة وعَدّت ..
واستحليت الحكاية .. ورجعت أتاجر في المخدرات قطاعى ..
شغلت عيال سريحه يوزعوا .. وبقيت طول النهار أشتري وأبيع في مخدرات وأرجع بالليل أسكر واستنى فريسة راجعه لوحدها أخطفها على الاوضه لغاية الفجر .. أو ألاقى واحد راجع لوحده أثبته وآخد فلوسه .. وفي مرة من حظي الإسود عربية ركنت جنب باب الأوضه .. واحد ومعاه واحدة شمال .. هجمت عليهم .. طلع باشا كبير .. وخبطنى قضية مخدرات كده كلها كام شهر وأخرج أدور عليه هو وأخويا .. وقال الشيمي بيقولك تاب قال .. أتوب من إيه وإلا من إيه .. اللى زي حالاتى ماينفعش يتوب وينصلح حاله و يعيش وسط مجتمع .. إللى زى حالاتى علاجه ينضرب بالنار علشان الناس تعرف تعيش.
قاطعه الشيمى قائلاً .. لا ياعم نسر ماتقولش كده .. إنت دلوقت بقيت واحد تانى .. وبقيت بتصلى الفرض بفرضه ومش بتفوت صلاة.
تابع النسر قائلاً .. بس مش حاسس إن ربنا ممكن يقبل توبتى .. ولولا إني وعدت شهاب إني أحاول ما كنتش صليت ولا اتوضيت أصلاً .
قاطعت النسر قائلاً .. قال لك إيه ووعدته بإيه يا عم نسر؟
نظر النسر نحوى وهمس بصوت منخفض .. قال لى زى ما الجنة درجات .. النار كمان درجات وعلى الأقل حاول ما تبقاش في أبشع درجات النار وأنا وعدته أحاول .. استرسلت قائلاً .. بس ربنا بيغفر يعنى ممكن تدخل الجنه.

أضاف النسر قائلاً .. لو كان قال لى اعمل علشان تدخل الجنة ما كنتش صدقته لاني لو أنا اللى بايدى أحكم على نفسي كنت حكمت على نفسي بجهنم .. لكن فعلاً نفسي اخفف عن نفسي العذاب.
قاطعت النسر قائلاً .. طيب لما تخرج ياعم نسر ناوى تعمل إيه.
أجاب النسر مبتسماً .. حأعمل زي ماكنت بأعمل وحأولع لهم في اللوكاندة طبعاً .. أرجعت رأسي للخلف مستنداً على الجدار متمتماً .. يانهار إسود. استرسل النسر قائلاً .. بعد اللى سمعته مني ده يابيه تقدر تأمن على أهل بيتك مني ؟
لم أجب بينما تابع النسر قائلاً .. طبعاً لا .. نفس الحكاية حأخرج للأسفلت ألاقي كل الناس بتبعد عنى .. ومعاهم حق .. يابيه إحنا هنا عاملين زى اللى عايشين في حديقة الحيوان فينا القط وفينا الأسد وفينا النسر .. القط إللى زى حالاتك حايخرج يلاقى حد يطبطب عليه ويراعيه .. إنما النسر بقى اللى زى حالاتى ماينفعش حد يطبطب عليه .. وحا يفضل يسرق و يخطف لحد ما أمر ربك يكون. استأذن النسر قائماً وختم كلامه بقوله .. إكتب للناس إياكم تصدقوا حد عامل غلبان واعرفوا إن الغلبان أغلب من إنه يقول لكم حتى إنه غلبان زوروا الغلابة في بيوتهم وإياكم تصدقوا كذاب وتقولوا خليك مع الكذاب لحد باب الدار لأنه كذاب و مافيش دار أصلاً وإياكم تعطفوا على حد ما يستاهلش العطف لأن أول إيد يعضها هى الإيد اللى عطفت عليه وإتمدت له .. قول للناس إن الشر ما بياخدش أجازة مابيغلطش في مرة ويعمل خير .
انصرف النسر بينما وضع الشيمى وجهه أمام وجهى قائلاً .. ده بقى ياسيدى اخو الراجل اللى كان مسخرنى أعمل لهم الحبوب المخدرة وفي الآخر جمعنا حبس واحد.
كانت عيناي مازالت تتابع عم نسر خلال مغادرته بينما فاجأني الشيمى قائلاً .. إنت طبعاً زمانك بتسأل نفسك هو معقول في ناس جواهم كل الشر ده في الدنيا .. بص أنا مش حأرد عليك بكلامي أنا حأرد عليك بكلام من صفحة شهاب نفسه .. بص هنا مثلاً بيقول إيه .. أخرج الشيمى هاتفه المحمول مرة اخرى وأخذ يبحث عن شيئاً يعرف موضعه ثم إقترب نحوي وهو يقرأ " عندما ينكر الجميل بعض الناس ستجلس لمحاسبة نفسك لما لم تتوقع غدر البشر و لما لم تتوقع شراً ممن قدمت لهم خيراً وستتعجب أن يكون جزاء الإحسان غير الإحسان من بنى الإنسان .. حتى تجد إشارات القدر تأتى دوماً في موعدها لكي لا تندم على ماقدمت من خير لأحد .. لذا لا تنتظر من البشر رد الجميل بل قدم الخير منزه عن كل شيء حتى يتقبله منك رب الخير.
أنهى الشيمى قراءة الكلمات ثم نظر تجاهى قائلاً .. يعنى خلى حب الخير عندك أقوى من دوافع الغضب وتوهب عملك لربك بجد قبل ما تعمله وتحكم على نفسك أن لا تنتظر الرد له من البشر ولا بمجرد كلمة شكر لأن العامل ينتظر الأجر من اللى عمل له الشيء.
دفس الشيمى هاتفه المحمول مرة أخرى داخل حقيبته ثم نظر نحوي قائلاً .. قول لى بقى إنت إيه آخر حاجة كتبتها ؟
كنت في دهشة من ما قرأ الشيمى من صفحة شهاب بينما كنت أود أن ألقى ما أحمله على كاهلى من مسؤولية لا أعلم من الذي كلفنى بحملها فوجدت نفسى أخرج كل ما أملكه من أوراق وأضعها بين يدى الشيمى قائلاً .. غالى والطلب رخيص .. الرواية كلها بين إيديك .. كمل بقى ربنا معاك .. أنا لحد هنا وسلمت الأمانة .
إنفجر الشيمى بالضحك قائلاً .. أنا بأقول إقرأ لى كتبت إيه مش بأقول لك دبسنى شكراً .
ارتكنت برأسى قائلاً .. اللى نفسى افهمه .. ليه كان تاعب نفسه بالناس ومشاكل الناس في الوقت اللى هو نفسه مش بيعانى معاهم ولا زيهم والمفروض انه كان بيعمل تحقيق صحفي .. بالبلدى كده .. هو ماله ومال الناس الغلابه؟
وضع الشيمى يده على كتفي قائلاً .. إنت تعبت يا عادل .. صح ؟
فأجبت قائلاً .. تعبت دى شوية .. أنا كل كلمة بكتبها بأبقى شايل همها و بأقول في نفسى أنا كان

مالى ومال كل ده .. وبعد ده كله يا عالم الناس تقرأ ولا لا .. وياعالم الناس اللى هتقرأ هتفهم ؟
تصدق .. أنا كل يوم بأفكر أولع في الورق ده ولا مين شاف ولا مين دري. إنتفض الشيمى قائلاً ..
وإنت فاهم إنك لو ولعت في الورق ده خلاص كده الرسالة مش هتوصل للناس ؟
بيتهيألك .. كل ما في الموضوع إن ربنا حا يستبدلك بواحد غيرك يوصل الرسالة زى ما انت كده جاي تكمل مهمة شهاب مع إنك مختلف عنه تماما لدرجة انى كنت مش مصدق إنك صحفي أصلا .. عارف شهاب مرة وهو قاعد مكانك كده سألته .. هو في امل ان احنا ينصلح حالنا بعد كل اللى بيحصل فينا ده ؟
تعرف قال إيه .. قال .. العيب مش في الناس .. ومن حق كل إنسان يكون عنده أمل ويكون عنده هدف .. الناس طبيعى تدور على مصلحتها و تمشى ورا مصلحتها .. جرب ترسم في ورقة عشرة أشخاص وترسم لكل واحد هدفه في مكان مختلف وتأمر الجميع بالإنطلاق كل منهم نحو هدفه في وقت واحد .. تخيل كم التقاطع بين الخطوط .. بنفس الطريقة دى الناس تدهس بعضها في سبيل مصالحها ..
ومع اختلاف الفكر .. يصعب توحيد الطاقة لتصبح محصلة جهد الجميع .. والأهم هو الحذر من فقد الوحدة لأن في كل مرة ينقسم فيها المجتمع يكون المصير إلى الإحتلال الذي لا يخرج إلا بعد توحيد الصفوف مرة أخرى من أجل هدف قومى واحد يسعى إليه الجميع وما أن ينتهى الهدف يصبح لكل فرد هدفه الخاص الذي يسعى من أجله ويلهث وراءه دون أن يكثرت لأهداف الآخرين وإن كانوا من أفراد أسرته.
أنهى الشيمى القراءة قائلاً .. ده كان الرد على سؤالك وأظن كده عرفت ليه شهاب تاعب نفسه وأظن مش كثير إنك تساهم في نقل الرسالة للناس.
قاطعت الشيمى قائلاً .. يعنى برضه مافيش فايدة وأنا إللى حأكمل الرواية .
كانت إبتسامة الشيمى وهو يمد يده نحوى بهاتفه المحمول تحمل الكثير من المعانى وكان أهمها على الإطلاق أن يصبح بإمكانى نشر التحقيق الصحفي بما يحتويه من معلومات وانطلقت أصابعي تعمل حتى رفعت محتويات كل ما كتبته على الصفحة المخصصة في شكل رواية ..
وبعد لحظات من النشر كانت رسالة اتمام النشر تدق الهاتف وإذا بالشيمى ينتفض من جلسته وهو يمسك بالهاتف قائلاً .. يخرب بيتك .. بتبعت إيه وبتبعت لمين .. هتودينا في داهيه .. أطال الشيمى نظرته على شاشة الهاتف بينما ارتسمت إبتسامة خفيفة على شفتيه وكأنما قد وجد ضالته حتى ظننت أنه لا يشعر بوجودى بل يكاد لا يشعر بأحد من حولنا ثم مال نحوى مقترباً وهو يضغط على المحادثة الصوتية قائلاً .. لو سامعنى .. ده صحفي اسمه عادل وهو مع أنا هنا وهو اللى نشر الكلام ده .
جاء صوت شهاب قائلاً سمعت عنك كل خير يا عادل شد حيلك ربنا معاك ومنتظرك في شارع كلوت بيه .. من فضلك بكره ياشيمى تقدم لعادل طلب نقل زى الطلب بتاعى .
إرتفع صوت الشيمى قائلاً .. إعتبره حصل .. المهم طمنى عليك إنت كويس وبخير؟
عاد صوت شهاب مرة أخرى قائلاً .. حافظ على عادل وبلغ سلامى لكل الناس أنهى شهاب كلماته وأنهى الشيمى تحياته ثم وضع قبلة عميقة على خدى قائلاً .. ينصر دينك يا أخي ..عارف أنا من قد إيه مستنى أكلمه أو أعرف اتواصل معاه .. إنت جبت الصفحة دى منين ؟
إنتفض الشيمى مسرعاً نحو زكريا بينما أخذت أصابعى تعيد فتح الصفحة مرة أخرى لأجد أن الصفحة المخصصة لى هى نفس الصفحة التي كانت مخصصة لشهاب وأدركت أنه يعمل لصالح نفس فريق التحرير الخاص بجريدتى .. وأن وصولى الى نفس زنزانته التي ترك فيها اللوحة لم يكن بالصدفة وأنه كان مكلف بعمل تحقيق صحفي نشر منه جزء كبير ولكنه أعفي من مهمته وتم الغاءها.

وضعت الموبايل جانباً عندما لاحظت الشيمي يقف موجهاً كلماته للجميع قائلاً .. اصحى معايا العنبر .. شهاب كويس وبخير وباعت لكم تحياته وسلامه وما أن أنهى كلماته حتى إرتفعت الأصوات المتداخلة والتي لم أتبين منها إلا بعضاً من دعاء وبعضاً من التهليل بالفرحة وما أن راح خيالى يداعبنى بتساؤلات عن ما يحدث من مبالغة تصل إلى حد اللا تصديق وإذا بالشيمى يقفز مرة أخرى ويميل على أذنى قائلاً .. لما ربنا بيحب حد بيحبب فيه خلقه.
نظرت إلى الشيمى وعيناى تحملان سؤالاً وإذا به يرد دون أن أنطق قائلاً .. مافيش حد بينافق شخص مش موجود .. الهيصه دى حب بجد .. تعرف ليه .. لأنه كان بيتعامل مع الناس من قلبه .. صحيح كان بيواجه كل واحد بعيوبه ودى حاجة ثقيلة على النفس لكن النقد الصريح بيكون المقصد منه هو الإصلاح واللى يكون عاوز إصلاح حال غيره أكيد هو بيحب اللى عاوزهم يصلحوا حالهم .. علشان كده روايتك مثلاً بكل النقد اللى فيها حاتكشف فينا عيوب كثير لكن بهدف الإصلاح .. وقوم إجهز بقى وجهز حاجتك عشان مصطلح طلب النقل اللى قاله شهاب ده معناه انه رجع للشغل في الجريدة وبيتابع التحقيق الصحفي بتاعك وإنك خارج افراج بكرة علشان تخلص موضوع لوكاندة كلوت بيه .. بس أهم حاجة إنك تصمم تكمل روايتك وتخرجها للناس وتحذرهم ..
إن زى ما في شياطين من نار ..
وفي كمان شياطين من طين .
الحلقة السادسة عشر : *Shehabiat*
كنت أتلفت حولى متفحصاً ذلك المدخل المقبض
الذي تركت عليه السنين رسائلها المشفرة ..
حينما سمعت صوتاً تبدو عليه الجدية يقول ..
هاتوا البطايق .. كانت هذه جملة المعلمة إحسان
وهى تمد يدها تجاهنا بعد أن أخبرناها عن رغبتنا
في حجز غرفة ثلاثية لقضاء ليلتنا ..
بعد أن فاتنا قطار الأسكندرية الأخير
وكان أكثرنا خبرة في مثل هذه التعاملات
هو المفوض بالرد على المعلمة ..
فاقترب قليلاً ومال على أذنها وهمس لها قائلاً
أنه ليس بإمكاننا تقديم الا بطاقة واحدة
فصاحت فجأة بصوت يخرق الآذان ..
وهي تعود بظهرها على مقعدها .. تبقوا شمال ..
أشار المفوض بيديه نافياً لا شمال إيه بس ياست الكل
إحنا الثلاثة مهندسين شغالين في اسكندرية
وفاتنا القطر ومش عاملين حسابنا على البيات خالص
وهما بطايقهم الاثنين في الشغل ..
علشان مستلمين بيهم أدوات ومعدات مش أكتر ..
نظرت المعلمة نظرة عميقة داخل عينيه وأردفت
وهى تمد يدها .. يعنى افهم من كده ..

إن إنت الوحيد اللي معاك بطاقة
وإسمك إيه بقى يا باشمهندس ..
تلعثم قليلاً وهو ينتقى إسم يناسبه
وكأنما نسي أن المعلمة ستكشفه عندما تأخذ البطاقة
ثم إختار أخيراً وبعد طول إنتظار .. فهد .. فهد ياحاجه ..
صدمت كلمة حاجه المعلمة إحسان كما صدمتنا كلمة فهد ..
وهو يمد يده بالبطاقة ونحن نعلم أنه ولا فهد
ولا عيلته كلها فيها فهود أساساً
لكننا تجنبنا الحوار معتمدين على أن المعلمة
ربما تكون مابتعرفش تفك الخط و تظاهرنا بالإرهاق
والرغبة في النوم للخروج من هذا المأزق
واستدعت المعلمة أحد صبيانها الذي لا يقل عن الخمسين سنة
في أقرب تقدير وما أن فتح فاه حتى اتضح لنا
أنه قد تجاوز الستينات وأشار لنا بالدخول في الأسانسير
وأغلقة بقدمه ثم ضغط على أحد الأزرار التي لا تضيء
وارتفع بنا الأسانسير إلى عالم موازى ..
خرجنا فيه على طرقة طويلة بها عدة أبواب يصعب حصرها ..
إختار عم عبده الذي عرفنا اسمه خلال رحلة الصعود
أحد هذه الأبواب وأخرج المفتاح وفتحه بركله خفيفة من قدمه
مع أداء مسرحي بإشارة من يده مع جملة اتفضلوا يا بهوات
ثم أمسك الباب مرة ٱخري وهو يتسائل أى أوامر تانى يا باشوات
وما أن أتم جملته حتى كان قد أغلق الباب خلفه كالريح
وهنا تذكر فهد حسب إسمه الجديد أنه يرغب في بعض المشتريات فأسرع ليفتح الباب وهو يسألنا إذا كان أحدنا
قد أخذ المفتاح من عم عبده وبالطبع كانت الإجابة بالنفي
وما هي الا دقائق حتى سمعنا صوت فهد يتصنع الرقة
وهو يرد التماسى خارج الباب فانطلقنا نركض نحو الباب
ولكن فهد ظل ممسكاً الباب بيده بقوة من الخارج
ولم نتمكن من رؤية مع من تبادل التماسي
ولكن تبين من الحوار أن هناك صوت حريمى
وأن صاحبة هذا الصوت بتاخد وتدى بشكل ودى ..
وكان طبيعى إن فهد ينسى المشتريات وينسى المفتاح
وينسى عبده ذات نفسه إلى أن سأله عم عبده
حضرتك عاوز حاجة ثانية من تحت يابيه غير "البيرة" ..
نظر كل أنا نحو الباب عندما سمعنا كلمة "بيرة"
وكأننا نتساءل بلا صوت عن ما إذا كنا سمعنا نفس الكلمة فعلاً وتأكدنا عندما سمعنا فهد يضيف ..

وسجاير بقي يا عم عبده إنت عارف البيرة بتطلب دخان
وعندها قهقه عبده وأضاف أيوه يابيه بتطلب دخان و نسوان ..
نظرنا مرة ٱخري أحدنا نحو الآخر إلى أن إصطدمت رؤوسنا بالباب عندما فتحه فهد ثم أغلقه خلفه وهو يتراقص ويطقطق بأصابع يده عالياً ويكرر نسوان يا جدعان .. الطرقة دى مليانه نسوان ..
لا طرقة إيه .. دى اللوكاندة كلها بتشغى نسوان .
كانت فرحة فهد لا توصف وهو يشرح لنا ما صادفه في الخارج
فأخذ يتراقص ثم يضع أذنه على الباب ليسترق السمع ..
ثم يعود ويؤدي بعض الحركات الاكروباتية ..
تعبيراً عن فرحته بالصيد الثمين الذي ينتظره ..
وما أن سمع صوت عبده بالخارج ..
حتى فتح الباب سريعاً وجذبه بيده للداخل
بينما ظل عبده يستكمل حواره الذي كان قد بدأه
قبل أن تنتشله يد فهد
وما أن وضع الكيس الأسود الكبير على المنضدة
حتى عاد ليغلق الباب وهو يصيح ..
متتلمى يا مره منك ليها دول بهوات بجد
يعنى ملهمش في النسوان الكسر .. جتكوا القرف ..
ثم مد يديه الى الكيس الأسود وأخرج منه أربعة زجاجات خضراء رفع إحداها إلي أعلى و فتحها بالضرس الوحيد المتبقى في فمه وقدمها الى فهد وهو يزينها بعبارة ..
مشبره أهى يا بيه .. وتستاهل بوقك ..
أشار له فهد بأن يجلس ليشربها وهمس بصوت دافيء
قولى بقى يا عم عبده إيه حكاية الستات الكثير اللى بره دول ؟ جلس عبده وهو يفرغ زجاجة البيرة في معدته إلى أن أتمها
ثم نظر إليها نظرة وداع وهو يتمتم ..
بقت بتخلص بسرعة اوى بنت الكلب دى فين ايام زمان
كان الواحد مابيقدرش يضربها على بوق واحد ..
ثم أردف بص يا بيه انت دخلت دماغى لما عزمت عليا بالقزازه
و أنا الصراحه ما أخبيش عليك كانت عينى فيها ..
ما أنا برضه بلا مؤاخذة صايع قديم وجبت أربعة
قلت ينوبنى من الحب جانب بس إنت يابيه طلعت مجدع
إنك هرشت اللى في دماغى لما لقيتنى فتحتها ببوقى
علشان مفيش حد يرضي يشربها مكانى ..
قاطع فهد هلفطة عبده وهو يشير بإصبعه نافياً
لا خالص ياعم عبده إنت فاهم إني مش عاوز أشرب مكانك
لا ده إنت بس علشان لسه متعرفنيش .. إنما لما تعرفنى كويس هتعرف انى كان ممكن أشربك إنت

نفسك ..
لكن اديتهالك عربون محبه .. المهم ما قولتليش برضة
إيه حكاية الستات اللى بره دى كلها ..
وضع عبده الزجاجه الفارغه بجوار المقعد و انجعص في جلسته وهو يخرج علبة السجائر ويشعل سيجارته ويأخذ نفساً عميقاً ويخرجه قائلاً ً .. البيره دى بتطلب دخان فعلاً بنت الكلب ..
شوف يابيه .. كل اللى بره دول نسوان كسر بعيد عنك ..
النتف اللى بجد بقي ماتجيش قبل ساعتين من دلوقتى ..
تبص في ساعتك كده تلاقيها عدت عشرة
تعرف ان اللى بتخبط دى ييجى منها
تلاقيها عدت اتناشر تبقي دخلت في اللوز والموز
وتفضل تحلو كده طول ما إنت طالع
لحد ما تدخل بقي في المزز اللى تحل من على حبل المشنقة
أول ما تلاقي الساعة بقت أربعة استر ياستار
ندخل بقى على الصواريخ النفاثة بس مين يسد بقي
وعلشان انت إستجدعت معايا يابيه أنا حأطلع جدع معاكم
وحاخد منكم أجرة الأوضة دلوقتى ..
بدل ما تيجوا على الصبح وتكونوا فلستوا
وماتلاقوش تدفعوا وساعتها بقي ..
يا حفيظ على اللى بتعمله احسان
بعيد عنكم وعن السامعين ..
أنهي عبده حديثه بإبتسامه هتماء وهو يمد يده نحو فهد
الذي أخرج لفه من النقود وضعها في يد عبده
الذي رمقني بنظرة ثاقبة ثم غمز لى قائلاً ً اتقل تاخد حاجه نظيفه .. وأردف وهو يهم واقفاً .. البيرة هتسخن يابهوات ..
أمسك فهد بذراعه وهو يبتسم قائلاً ً إستني هنا إنت رايح فين
مش تقولى الاسعار ايه ..
قهقه عبده رافعاً وجهه نحو السقف وأجاب وهو يميل رقبته جانباً إنت وشطارتك بقي يا بيه بس خليك عارف
إن اللى حا تاخده الاولانيه حا تدفع قده مرتين للي بعدها
وضعف ضعفه للى بعدها وخد بالك يابيه إنهم كلهم بيقولوا لبعض .. هم عبده بالخروج وهو يسأل أى خدمات من بره يابهوات .. استوقفه فهد مرة أخرى بقوله
طب والغرف اللى حواليا دى ايه نظامها ..
أجابه عبده وهو يغلق الباب خلفه .. براحة راحتك يا بيه ..
الاوضه اللى محدش يعرفك فيها شلح واجرى فيها ..
وغادر عبده بعد أن رسم على وجوهنا

لوحة من علامات الإستفهام .

الحلقة السابعة عشر : *Shehabiat*
كان فهد يضع أذنه على الباب ويشير لنا بالصمت
بوضع إصبعه على فمه وكأنه يتأكد من مغادرة عبده فعلياً
وسرعان ما توجه نحونا وهو يمشى على أطراف أصابعه
ثم همس لنا بأن عبده واقف يتصنت علينا ثم رفع صوته نحو الباب وهو يثني على عبده وكأنه يوضح لنا مانجهله قائلاً ..
قد إيه عم عبده ده طلع مجدع وابن بلد انه رس أنا على الفولة
ولو إني نسيت أسأله اذا كان في حد هنا ينفع نجيب منه هباب علشان الليله دى شكلها هتحلو ..
ثم عاد فهد إلى الهمس مرة أخري
وهو يطلب من كل واحد إنه يختار لنفسه إسم بسرعه
فأجاب سليم دون تردد قائلاً طالما إنت فهد يبقي أنا نمر ..
إنقض فهد على فم سليم بسرعة البرق وجثم علي أنفاسه
وهو يزيد من نبرة الهمس بغضب .. نمر إيه يابن الهبلة إنت .. بقولك إبن الجزمه واقف بيتصنت علينا بره .. إنت إسمك سوليم من هنا ورايح انت سوليم ثم أشار تجاهي مضيفاً
وصاحبك اللي مابيتكلمش من ساعة ما قابلناه ده إسمه ضيف .. حلو ضيف ماهو فعلاً يعتبر جاى معانا ضيف ..
ثم رفع صوته وهو يتوجه نحو الباب ياخبر أبيض
ده أنا إديت عم عبده فلوس على قد الحساب بالضبط
ونسيت اديله الإكرامية بتاعته هو ..
وما أن أتم فهد جملته حتى سمعنا نقرات خفيفة على الباب
فأشار بيده إلى سليم ليفتح الباب ولكنه لم يكن عبده كما توقع
بل كانت حينان أو هكذا قالتها
وسرعان ما دخلت خلف رموشها الصناعيه الطويلة
فارشة ملائتها السوداء التي مالبثت أن ألقتها على أقرب سرير
من الثلاثة المتجاورين في الصالة بعد أن أزاحت سليم بذراعها خلف الباب فكاد يقع ثم مدت يدها بنعومه داخل صدرها الوارم وأخرجت شيئاً لم نكد نراه وهى تقول من غير مؤاخذه كده عم عبده باعت لكم ده و دول وكانت يداها قد رجت صدرها عندما أضافت كلمة دول بما كان كفيلاً بأن يجعل فهد
الذي هو الأسرع في رد الفعل دائماً أن يصفق بكفيه
وهو يقول ياحلاوتك ياعم عبده ثم إقترب من حينان
وهو يستوضح قائلاً وياتري عم عبده بعت لنا دول بس
والا باعت حاجه تحتهم كمان .. جلست حنان
وهى تضع المفتاح في صدرها مرة أخري قائلة
ماينعزش يا نور عينى بس النهارده البحر عالى والرايه مرفوعة

واذا مایاکلش معاکم أقوم أمشی وأهو حتی الواد أولي بالرضعة
لم أستطع أن أتحمل خروجاً عن النص أكثر من ذلك
فتحركت نحو الباب وأنا أوجه كلامى لها قائلاً ..
إيه ياست انتى القرف اللى إنتى بتقوليه ده ..
إتفضلى مع السلامه ومتشكرين علي المفتاح اللى ماجبتيهوش .. وما أن أتممت جملتى وفتحت الباب حتى كانت حينان قد وقفت و أخرجت المفتاح بسلاسة
وألقته على السرير ثم سحبت ملايتها وهى تمصمص شفتيها
ثم نظرت نحو فهد وهى تتمتم أومال بس حلاوتك ياعم عبده إيه لما بسلامته هو اللى كلمته بتمشى عليكم ..
صاح فهد وهو يمسك بى وبالباب وبحينان قائلاً ..
لا يا عم ضيف مايصحش نعامل الضيوف كده
ده حتى اللى يرفص النعمه تزول من وشه
لا وممكن تاخد معاها الخير اللى جاى وراها ..
إهدي بس إنت كده وسيب الباب .. وإنتى ياست العرايس
سيبى الملايه اللى محيراكى دى وأقعدى كده
ده إحنا لسه حتى ماعرفناش إسم الجميل إيه .. وضعت حينان ملائتها وهى تنظر إلى قاع عينى قائلة "حينان"
وبيدلعونى يقولوا لى "صفيحه"
وبآخد ورقتين في النفر وباب الأوضه اللى جوه دى مابيتقفلش للآخر والحمام مالوش باب أصلاً وإعملوا حسابكم الفرجه ممنوع سوا هنا والا هنا واللى جاهز فيكوا يلا علشان نخلص ..
لم تلتفت حينان ولم ترمش جفونها بينما ظلت تنظر داخل عقلى وهى تشير بإصبعها مابين وجهى وصدرى قائله والافندى ده .. لا .. ده بالذات محروم من الحينان ثم تبعتها بضحكه رقيعة
رجت قلب فهد الذي جذبها من يديها ..
ثم دفعها أمامه بقوة إلي الغرفة الداخليه
ثم إختفوا عن الأنظار .
كانت هناك أصوات أقدام كثيرة بالخارج
فنهض سليم وأغلق الباب بيده وهمس لى قائلاً ..
إيه ياعم إنت في إيه .. مالك قفشت على البت كده ليه
ده إنت كنت حاتطفشها وتخلى القعدة ناشفة زى المستشفي
ماتروّق كده والا انت الكيمياء بتاعتك مش ماشيه مع صابر .. قاطعته قائلاً قصدك تقول فهد بقي ..
فهد اللى مستهبل فيها و هيودينا في داهية
ويضيع مستقبلنا كلنا بإذن الله ..
ممكن أعرف مين صابر ده أصلاً !
ثم إيه اللوكاندة المشبوهة اللى جايبنا فيها دى ..

وإيه اللى غيروا أساميكم .. نغير أساميا ليه !
و عامل لى فيها سبع رجالة وبيشرب المحيط
وفي الأخر جايب لنا كل واحد قزازة بيرة ..
ياعم أنا ايه اللى جابرنى على القرف ده أساساً
أنا حأنزل أشوف فندق محترم أبات فيه ..
لو عاوز تيجى معايا يلا وهو خليه هايص
مع ملكة جمال الزُهري اللى دخل معاها الزريبة دى ..
استوقفني سليم وهو ينصت لوقع الأقدام خارج الباب
وأشار لى بالانتظار ثم وضع أذنه على الباب بإنصات..
ثم أشار لى أن أنصت مكانه وهو يرتجف من التوتر ..
كانت الأصوات متداخلة لم أستطع تمييز ماتعنيه
لكنها كانت أصوات ذكورية غليظة فتركت الباب
وإقتربت نحوه وهمست في أذنه في إيه ؟
كانت أنفاسه مضطربة وهو يهمس بصوت متقطع ..
باين عليهم عاملين كبسة على المكان الزفت ده ..
إنتقل إلى نفسي بعض من التوتر فعدت للإنصات مرة أخرى لأستوضح الأصوات أكثر دون فائدة
فعدت لتفقد النوافذ
التي إتضح أنها تفتح على تراس دائرى كبير يحيط بالدور كله فأشرت بسرعة إلى سليم أن نخرج الى ذلك التراس
فإستبقنى إلى الخارج وأغلقت النافذة بهدوء
وأخذت أبحث عن مخرج من ذلك التراس إلى أن وجدت سليم واضعاً وجهه على زجاج إحدى النوافذ ويديه تحيط بوجنتيه فإقتربت فإذا به يشاهد فهد داخل غرفة النوم
وما أن لمحت فهد حتى دفعت سليم بيدى ليبتعد عن الزجاج
و الذي بدوره صاح بعصبية شديدة لأتركه يتابع مشاهدته
بل وأمرنى أن أشاهد أيضاً كى لا أندم على ماسوف يفوتنى .. أخذنى الفضول رغم إرتباكى أن أدقق النظر فإذا بفهد حرفياً
واضعاً جوز مخدات تحت ظهر حينان ويبالغ في قفزاته
وكأنه في مدينة الملاهى ورأسه يهتز يميناً ويساراً مع كل قفزة .. لم يكن هناك أقرب من تسمية ما يفعله فهد
بوضع الضفدع كما أطلق عليه سليم وهو ينهار من الضحك
ويضرب بكفيه على فخذيه وما أن تمالكت نفسى وتذكرت
أننا لابد أن نغادر هذا المكان فوراً حتى إنتشلت سليم
وإنطلقنا في باقى التراس ولكن هذا التراس
لم يكن أبداً أقل من شاشات عرض تكشف كل الغرف
وما يحدث فيها وكان سليم يتمسمر بين الحين والحين على النوافذ يتلصص على ما يلفت نظره إلى أن وجدته فجأة يجذب ذراعى ويشدنى بقوة وهو يقول .. لازم تشوف دى

وأشار بيده على نافذه وأردف .. مش ده عم عبده ؟

الحلقة الثامنة عشر : *Shehabiat*
كنت استوضح الرؤية بوضع الكفين بجوار وجهي..
حتى رأيت عبده جالساً على حصيرة على الأرض
وأمامه جبل من لفافات السجائر الملغمة
بينما تعمل يداه بسرعة الريح في اللف
وبجواره كوب من الشاى ورزم من الفلوس
وهو يرتدى فانلته الحمالات وبنطاله الفضفاض
وعيناه تنتقلان بسرعة البرق مابين التبغ والمخدر
وكأنه في سباق مع الزمن لتحقيق رقم قياسى جديد
دفعت سليم بكتفي بقوة ليبتعد عن النافذة
ولكنه عاد ليوضح لى أن حالة عبده الهادئة
لا تدل على أن هناك كبسة بوليس ولا حاجة
إستوعبت مقصده سريعاً وعدنا الى الداخل
وتنصتنا على الباب فبدا كل شىء هادئاً
وجلسنا نلتقط أنفاسنا ونبتلع ريقنا لوهله
إلى أن رأينا حينان تخرج من الغرفه شبه عاريه
ويتبعها فهد ملتفاً بملائة السرير ..
لم نتمالك أنفسنا من الإنفجار بالضحك
وعقولنا تعيد لنا مشهد وضع الضفدع
ونحن ننظر الى فهد الذي كان شارداً
عيناه تتابع شيئاً ما يحدث في الحمام
فدفعني الفضول وتحركت سريعاً نحوه
ونظرت الى مركز اهتمامه فكانت الصدمة
قرفصة حينان التي لن تنساها ذاكرتي أبداً
وتحتها صفيحة السمن المملوءة بالمياه
وهى تعبىء كفها و تغرف منها لتزيل آثار فهد
وهنا تذكرت عندما قالت إن إسم الدلع "صفيحة"
ولكنها لم تمنحنى برهة لأفرغ معدتى فنهضت بسرعة
ومرت بجواري قائلة .. يلا اللى بعده خلونا نخلص
كنت أنظر إلى فهد نظرة يملأها التعجب
فوجدته يتمتم .. إيه القرف ده ؟
في نفس اللحظة كان سليم يتسرب الى الغرفة خلف حينان
وكأنه يتجنب النظر الى وجوهنا
ولكن فهد جذبه من كتفه صارخاً إنت رايح فين ..

دى كانت بتتشطف بالصفيحة .
باغته سليم بما لم يكن يتوقعه عندما أجابه بقوله ..
ماهى أكيد كانت بتتشطف من نفس الصفيحة قبلك ..
على الاقل أنا عارف مين اللى كان قبلى ..
إنما انت غشيم دخلت على عماك وانت ماتعرفش
.. تجمد وجه فهد وجحظت عيناه ولم يتحرك له ساكناً
إلى أن ناولته سيجارة .. فجلس وأشعلها ببطىء
وهو يهز رأسه ويهمس نادماً .. أنا غلطان
أنا ايه اللى خلانى أعمل كده ..
إقتربت من فهد وأنا أهمس في أذنه ..
علشان معفن .. أيوه .. إنت معفن يامعفن .
لم أمنح فهد متسع من الوقت ليرد وجذبته من ذراعه
وتوجهت به إلى التراس الخارجى
ثم أوقفته أمام نافذه عم عبده مباشرة وهمست ..
ده الشيطان اللى غواك .
إنتفض فهد من إغماءته المؤقته وهو يصيح ..
يانهار اسود .
بادرت قائلاً ً .. شوفت جبل الحشيش !
نظر فهد إلى عيناى قائلاً ً .. المشكلة مش في الحشيش
تسائلت .. اومال المشكلة في إيه ؟
فأجاب .. المشكلة فيا أنا ..ثم تابع قائلاً ً ..
اللى خلاك تشوف عبده ..
تبقي شوفت الاوضه اللى قبل عبده
ثم أسرع فهد بخطواته نحو النافذة المجاورة
ثم وضع وجهه على الزجاج وقهقه عالياً
وما أن وصلت إليه حتى كان قد إنبطح أرضاً
وأخذ يخبط بيديه وقدميه على الأرض حتى دمعت عيناه
ثم نهض بصعوبة مع الضحك وهو يقترب من أذنى هامساً
وحياة أبوك يا أخى .. وغلاوة أمك ياشيخ ..
تقول لى بأمانه .. إنتوا شوفتونى ؟
كانت نقرات أصابع سليم على الزجاج أسرع من إجابتى
ونظرات عينيه المتوسله تطلب منا الإبتعاد عن النافذة
فأمسكت بذراع فهد وجذبته إلى الداخل وهو يكرر سؤاله
شوفتونى .. صح شوفتونى .. طب سليم شافنى !
لم أهدر تلك الفرصة التي كنت أنتظرها بفارغ الصبر

لأفرغ بعضاً مما في صدرى من الغيظ نحو فهد
فجلست أنفخ دخان السيجارة في وجهه
وأنظر إلى قاع عينيه وبدأت الهجوم .. أيوه شوفناك .
شوفنا كل حاجه ومن كل الاتجاهات وبكل الأوضاع
وعلى فكرة بقي سليم شافك ومات من الضحك
وقعد يرفص في الأرض .. قاطعنى فهد بحده قائلاً ..
يضحك على إيه بروح أمه ؟
أجبته والدموع تداعب عينى من الضحك ..
على وضع الضفدع .. إيه اللى إنت عامله ده
إنت شغال في السيرك القومى ياعم إنت
رافعها بمخدتين و متشعلق على طراطيف صوابعك .
قاطعنى فهد بعصبية .. بس .. بس .. في إيه ؟
إنتوا إزاي تسمحوا لنفسكم تقفوا تتفرجوا بالبجاحه دى ؟
كنا بتعلم منك وضع الفيز ياعم الابنورمال .
لو سمحت مافيش داعى تجيب سيرة الموضوع ده ثانى ..
خالص .. علشان منخسرش بعض ..
لا دلوقتى ولا أى وقت ثانى بعد كده ..
يعنى لا تحكى عنه ولا تقوله لمخلوق .
قاطعته بحده أكبر .. إيه ياعم .. حيلك حيلك
انت بتتكلم كده ليه .. هو مين فينا اللى شاف الثانى
لا طبعا ده أنا معايا سبق إبداعى يتقدر بفلوس ..
ده اعمل بيه اجمد فيلم كوميدي في البلد
ولا أقولك .. حأعمل بيه أول فيلم كوميديان بورنو
وأعرف الناس على الوضع الجديد ..
وأسميه وضع الفيز .. لا .. أسميه الضفدع المشلول ..
تصدق .. ياريتنى كنت صورته .
قاطعنى فهد بهدوء هذه المرة قائلاً ..
طيب إحكى زى ما إنت عاوز بس ممكن على الأقل ..
ماتقولش إسمى الحقيقى .. سمينى فهد برضه
يعنى نعتبر اللى عمل كده فهد فعلاً مش أنا ..
يا أخى أنا مش عارف أنا عملت كده إزاي .. دى البت معفنه !
لا والحمار الثانى مش عاوزنا نتفرج ..
يعنى حانتفرج على الأمله ؟
أنهى فهد كلامه وتدارك شيئاً في عقله فأردف قائلاً ..
وحياة أمه .. بقى هو يقف يتفرج عليا ..

ومش عاوزنى أتفرج عليه؟ إنتفض فهد وخرج إلى التراس
بينما جلست أكمل سيجارتى ..
وإذا بنقرات خفيفة على الباب تذكرت معها ..
أن الغرفة الداخلية مازالت مشغولة ..
وأن فهد لن يفتح الباب بملاءة السرير ..
فتحركت إلى الباب وفتحته لأصطدم بإمرأه ثلاثينية
سوداء الشعر خمريه اللون كرباجيه العود ..
وتسألت بميوعه .. خ التي عندكم !
تسمرت في مكانى وتلعثم لسانى
وإذا بها ترقع حتة دين ضحكه رجت سلم اللوكانده .
بس .. بس .. إيه .. إنتى إيه ؟
أنا اللى بأطلع الرطوبة من الجته ..
أنا اللى بأقطع ستين حتة ..ثم دفعتنى بذراعها وجلست ..
بينما تابعت .. الصفيحه شكلها لسه عندكم .. باين من الريحه ..
ثم رقعت نفس الضحكه مرة أخرى .. وعلى ما يبدو
أن تلك الضحكة تخرج بعد كل جملة مفيدة .. أو قبلها
حيث تابعت قائلة .. بس إنت شكلك لسه ناشف ..
بتفهم باين عليك ومالكش في الصفايح والقرف .
أغلقت الباب وجلست وأنا أستجمع شجاعتي
كنت أعتزم أن أعبر لها عن قدر جمالها وخفة دمها .
وإذا بفهد يدخل من التراس مهللاً .. يا حلاوة المولد
إيه الحلاوة دى .. إيه الجمال ده .. القمر إسمه إيه ؟
سناء إسمي سناء وبيدلعونى يقولوا لى يا سونا .
تابع فهد بسرعة الفهد .. بصى يا سونا
أنا عايز أمسح آثار الطلعه المعفنه اللى جوه دى .
عاوزك تنسينى إسمى .. لا.. تنسينى حياتى كلها .
رقعت سناء الضحكه إياها .. ثم تابعت ..
إعتبره حصل .. طب إيه .. هنا والا صاحبك يحسدنا ..
وأطلقت نفس الضحكة التي ترج القلب .
كنت أشعر أننى خارج المنطق .. أعيش كابوساً لا ينتهى ..
دفعت نفسى إلى الوقوف قائلاً ً .. لا أنا كده كده داخل التراس .
إستوقفنى فهد قائلاً ً .. تراس مين لا طبعا عيب ..
إنت تقعد هنا معزز مكرم والحيوان اللى جوه ده يخرج
وهو لما يشوف سناء أكيد حا يطرد حينان ..
رقعت سناء ضحكتها المعهوده وتابعت ..

حينان دى آخرها عم عبده .

الحلقة التاسعة عشر : *Shehabiat*
كنت أنظر في عينى فهد عندما أنهت سونا جملتها ..
الى أن فاجأتها حنان وهي تخرج من الغرفة برد مباغت ..
مش عم عبده ده برضة اللى جابك هنا تاكلى عيش ياسيناء ..
شهقت سناء شهقة كادت أن تبتلع بها فهد وأضافت ..
نعم يا دلعادى .. أنا اللى جابتنى هنا الاسطى نوسة يا صافي
والا نسيتى نوسه اللى علمتك يعنى إيه فلوس يا صفصف ؟
لا مانسيتش طبعا دى معلمتى والاسطى بتاعتى
وخيرها عليا وعلى أهلى كلهم ..
بس اللى نسيتيه بقي يا سيناء ..
إن عم عبده هو اللى قالها عليكى ..
لما شافك بتبيعى مناديل في الاشارة ..
هكذا جاء صوت حينان المجلجل من داخل الحمام ..
وغالباً من مركزها الرئيسى فوق الصفيحة .
هبت سناء واقفة بغضب وإتجهت نحو الحمام
وهى تقذف كلماتها اللاذعة متشبعة بالقباحة
إلى أن أمسكت بشعر حينان وجذبتها من الحمام
وتوجهت بها نحو الباب .. بينما قرفصت حينان
وأطلقت صرخات الإستغاثة التي إخترقت النوافذ والجدران
وفي لحظات أخذت الأيادى تطرق الباب ..
إلى أن فتحت سناء وألقتها بالخارج مبلوله وكما ولدتها أمها .
تلقف عم عبده حينان بيديه وهو يتمتم .. تانى ياسونا ؟
وضعت سناء يديها حول خصرها وهي تجيب ..
تانى وتالت وعاشر يا عنيا وكل ما حأدخل الاقيها في حته حارميها لك بره .. لو عاوز تبقي ترزقها إبقي دخلها في الآخر ..
إحنا مش ناقصين مرض .. وده آخر إنذار علشان تبقي عارف ..
أحسن و دينى وايمانى المرة الجاية أكون راميها لك من البلكونه.
ألقى عبده حينان من يديه ثم قفز قفزة سريعة ..
نزل بعدها بكفه على وجه سناء ..
التي سقطت برأسها على الأرض ..وتبعها عبده بعبارات السباب
وهو يميل برأسه نحوها ويركلها بقدمه ..
جرى إيه يا بت الكلب ..
إنتى شايفة نفسك على إيه يا جربانه يا مقرحه ..

ده إحنا جايبينك من كوم الزبالة يا معفنه .. والا نسيتى نفسك ؟
كانت سناء تحمى وجهها بيديها بينما تدلى صدرها على الأرض
وهى تتوسل لعبده أن يتوقف عن الضرب بكلمات واهنه ..
خلاص .. خلاص والنبى .. خلاص والنبى .
تلقف فهد صدر حنان بيده ودسه داخل ملابسها
واحتضنها برفق قائلاً .. كفايه ياعم عبده هتموتها .
نظرت سناء بعينيها المنكسره نحو عبده قائلة ..
بتضربنى عشانها ياعبده .. بتضربنى قدام الناس ؟
خرج عبده وقبل أن يغلق الباب وجه سؤاله إلى فهد ..
البت دى أخدت حسابها والا لسه يابيه ؟
تلعثم فهد قليلاً عندما تذكر أن ملابسه بالداخل ..
وأنه ملتحف بملاءه السرير .. ونهض قائلاً .. ثوانى .
كان سليم يقف على باب الغرفة يتابع الأحداث
فأخرج من جيبه كل مابه من أوراق ونقود
وضعها في يد فهد الذي أسرع نحو عبده قائلاً ..
روّق بقى ياعم عبده .. ماتعكرش مزاجك بقي .
خرج عبده وأغلق الباب خلفه وإنطلق صوته ..
يلا كل مره تروح على أوضتها .. واقفين كده ليه ؟
كانت سيقان سناء تبرق لامعه وهى ممدة على الأرض ..
بينما كانت دموعها تبلل شعرها المتدلى على عينيها
وخصرها النحيل المتعرى يبدى سمارها الذهبى الجذاب
وكانت يد فهد هى الأسرع كعادتها وهو يحتضن ظهرها
وبنظرة من عينه أشار إلى سليم أن يرفع قدميها ..
فأسرع سليم وحملها معه وأدخلوها إلى الغرفة .
جلست أرتب أفكارى وأستجمع شتات نفسى
وأشعلت سيجارة وأنهيتها دون أن أدرى .
وإذا بضحكة سونا التي أدركت أننى إفتقدتها طويلاً
تجلجل عالياً وصوتها الضاحك الباكي
يصل إلى مسامعى بصعوبة .. أيوه ..
إنت أخدت بالك لما قلت لها ياصافي وصفصف ..
ده إسم الدلع بتاع صفيحة .. وتبعتها بضحكتها الرنانة ..
كنت أتسائل في نفسى كيف يمكن أن تحتل تلك الضحكة
مكان في قلبى .. كيف مع كل ما سمعته وكل مايدور حولى
ولما أقف عاجزاً عن أن أقترب من شيء ممتع مثلها ؟
قررت أن أتدخل لتغيير المسار .. وصحت بصوت مسموع ..

الا ماقولتليش يا سونا .. مين نوسه دى اللى إتكلمتوا عنها ؟
أوبا بقي .. هكذا ردت سونا من الداخل بصوت مكتوم ..
نوسه دى الأسطى .. دى الست اللى بجد .. مستودع الأنوثة .
كنت أتوقع أن هذا الحوار سيأخذ عقل فهد بعيداً عن سونا
وربما يأخذ فضول سليم معه .. فتسائلت .. وهى فين دلوقتى ؟
أطلبهالك ؟ كانت إجابة سونا دليل قاطع على أنها
لا تشعر بشيء من عاطفتى نحوها .
وكان صوت فهد أعلى من أن لا أسمعه ..
عندما قال .. إطلبيها طبعاً مستنيه إيه ؟
خرجت سناء .. ومعها خرجت عيناى من وجهى
حافيه الأقدام .. رائعة السيقان .. رشيقة الخطوات
فتحت الباب قليلاً ومالت للخارج لتظهر إستداره مثيرة
وبصوت منخفض قالت .. نادى نوسه .
ثم عادت وأغلقت الباب ورفعت نهديها بيديها قائلة
إيه مش جاى ! إنت ماقولتليش إسمك إيه يا اسمك ايه ..
ثم قتلتنى بضحكتها الاسطورية وعادت إلى الغرفة .
صراع رهيب يدور في عقلى .. أدخل أطرد فهد وسليم
وأقفز في بحور سونا حتى أغرق وتغرق معى كل همومى !
واذا بضحكتها تسخر من أفكارى .. وصوت فهد المستفز ..
حلاوتك يا أسمر .. وصوت سليم يلهب أعصابى ..
لا طبعا عليا النعمه ما أنا خارج .. اخرج إنت ..
لتأتى الضربة القاضية من سناء إلى قلبى مباشرة ..
وتخرج ليه ولا يخرج هو ليه ما تخليكوا إنتوا الإثنين !
وإذا بنقرات الباب تعيد عقلى إلى الحياة ..
نوسه .. أكيد دى نوسه .
كنت أنتظر أن تكون نوسه هى مادة الإلهاء
التي تنقذ سناء من بين براثن الذئاب ..
فأسرعت نحو الباب وأدرت قبضته
لتلفحنى رائحة أشبه برائحة الياسمين
ولكنها منعشه كرائحة الثلج وناعمه كالرخام
ومريحة كريش النعام .. كانت يد نوسه
قد إختطفت وجهى ودفسته أسفل رقبتها
وهى تهمس في أذنى .. أحسن شويه دلوقت ؟
أحسن أوى .. هكذا تمتمت في صدرى .
فزادت نوسه قبضتها على رأسى حتى غاص وجهى

وأصابنى دوار البحر عندما إستنشقت اليود الكامن ..
بين صخورها الرطبة وإذا بها تطبق يديها حول رأسى
وتهمس داخل عقلى .. إرتاح يا عنيا .. إرتاح خالص .
كان الباب الخارجى مازال مفتوحاً ولكنه لم يعد يعنينى
كنت في عالم آخر .. قدماى تجمدت .. سيقانى ترتعش
ويداى تتركنى لتلتف حول نوسه بكل قوة ..
وأخذ خصرى يرتجف .. إلى أن خارت قواى ..
أسندتنى نوسه إلى أقرب مكان وأغلقت الباب ..
وجلست بجوار رأسى هامسة ..
مالك ياعنيا .. فيك ايه بس.. إيه كل الهموم دى
وليه شايلهم على قلبك كده .. الدنيا أسهل من كده بكثير ..
وأخذت تمسح بأصابعها على رأسى وهى تدندن
سيب نفسك خالص .. الدنيا سهله و مش مستاهله .
رفعت عيناى نحو عيناها السوداء اللامعه وسألتها ..
إنتى إيه .. وازاى عملتى فيا كده ؟
إقتربت نوسه بفمها نحو وجهى وأخذت تنفخ أنفاسها
في رقبتى وذقنى ثم إقتربت نحو أذنى حتى كادت تبتلعها ..
كانت أنفاسها تصل الى كل كيانى .. تهز كل خلية في جسدى
.. تمنيت لوهلة أن ينقطع بنا الزمن في تلك اللحظة الخرافية
لكن صوت فهد جاء مزلزلاً .. الله .. الله .. ايه ياعم الحلو ؟
مع نفسك كده .. ولا قلت حتى إن عندنا ضيوف ..
أفقت مع كلمات فهد أن رأسى قد إستقرت في حجر نوسه ..
وعندما هممت بالجلوس .. وضعت نوسه أصابعها على صدرى
لتمنع حركتى ثم وضعت إصبعها على فمها ..
مشيره لفهد بالصمت .. وسمعتها تهمس بحنين دافيء ..
سيبه ينام شويه وإدخل إنت خد لك دش وتعالالى .
طياره .. هكذا أجاب فهد قبل أن ينطلق نحو الحمام .
إقتربت نوسه من أذنى مرة أخرى هامسة ..
ممكن بقي تسيب لى نفسك خالص !
وإذا بصوت سليم يأتى من داخل الغرفة ..
مش ممكن ! مستحيل .. لا طبعاً .. مستحيل !
ضحكت نوسه وهى تتمتم .. حسره عليكى يا سونا
فتسائلت بصوت خفيف .. في إيه !
همست نوسه وهى تقترب من أذنى مرة أخرى ..
عطل فنى .. عمود الكرنك مابيدورش

لم أفهم ماتقصده نوسه تحديداً ..
أو بالمعنى الأدق .. لم أهتم بالفهم .
كان ذلك الإحساس الممتع بالراحة والهدوء
يجذبنى إلى شازلونج على حمام السباحة
ويسقط رزاز المطر الخفيف ليداعب وجهى
ونسمات رائحة الياسمين الناعمه تعبىء أنفي
إلى أن عاد سليم للصياح مرة أخرى بصوت أعلى ..
مش ممكن .. لا .. أكيد في حاجة غلط .
كان صوت سليم عاليا بالقدر الذي لايمكن تجاوزه
بل بالقدر الذي يمتد إلى خارج اللوكانده .
وضعت نوسه رأسى جانباً برفق وهبت واقفة
وتوجهت بسرعه نحو الغرفة قائلة .. في إيه يابت ..
إنتى مش في الفورمه النهارده والا إيه ..
تعالى يا خويا هنا سيبك من البت الخشب دى .
لم أكن قادراً على تحريك رأسى لأرى مايحدث ..
لذا إكتفيت بالإستماع والتخيل .. رأس سليم
بالتأكيد وصلت إلى مقرها في صدر نوسه
وأصابعها تربت على ظهره وشفتاها تهمس في أذنه
مالك ياعنيا .. فيك إيه بس.. وإيه الهموم دى كلها ..
وليه شايلهم على قلبك كده .. الدنيا أسهل من كده بكثير ..
سيب نفسك خالص .. الدنيا سهله ومش مستاهله .
لكن خيالى لم يكن دقيقاً وأفقت على وقع أقدام نوسه
تجرى نحو الباب وتفتحه وتنادى بصوت مسموع ..
حد ينادى عبده بسرعه .. بسرعه .

الحلقة العشرون : *Shehabiat*
كانت سرعة عبده كالبرق عندما دفع نوسه بيديه
ودون أن يسأل عن ما حدث .. قفز فوق صدرى
وأخذ يدفع بكلتا يديه أسفل رقبتى ..
ثم فتح فمى واضعاً فمه فيه ونفخ عدة مرات
بينما إرتفع صوت نوسه في الخلفية يصرخ ..
مش ده ياعبده .. مش ده .. التانى هو اللى مسورق جوه
إنتفضت بكل قوتى رافعاً عبده في الهواء
وأسرعت نحو الحمام دافساً رأسى تحت الماء
وجلخت فمى بيدى .. بينما مخيلتى تستعيد ..

طعم فم عبده الذي يحمل آثار كل ماتعاطاه
على مدار عمره من المخدرات والكحوليات
فهرولت نحو ملاءة السرير لأمسح بها فمى ..
لكن مخيلتى أبرزت لعقلى ما عاصرته تلك الملاءات
فتوجهت نحو الستائر وأخذت أمسح بها وجهى
وفي تلك الأثناء كان عبده قد إتخذ موقعه فوق سليم
الذي تمدد بظهره على الأرض فاقداً وعيه ..
ويغطي نصفه الأسفل نفس ملاءة السرير
التي كان يلتف بها فهد و الذي وقف عارياً
يستر نفسه بيديه ومن خلفه سونا تتابع ..
محاولات عم عبده لإعادة سليم إلى الحياة
تحت قيادة نوسه .. التي كانت تضغط بكل قوتها
أعلى أنف سليم بينما في توقيت ما تأمر عبده قائله ..
دلوقتى ياعبده .. يلا ياعبده ..فيقفز عبده في الهواء
وينزل بكل قوته أعلى صدر سليم .
كانت أصوات الصفير ترتفع في أذنى وتزداد حدة
بينما تملكتنى حالة من الدوار وزغلله غلبت عيناى
وهى مستقرة على وجه سليم تنتظر منه شيئاً .. أى شىء
وبدأت مخيلتى تزحف نحو مالا يرجوه عقلى .. مات سوليم
صعدت روحه من جسده العارى الملقى في غرفة أغرقتها الذنوب
كيف جاءت به الصدفة ليلقى حتفه في تلك اللوكاندة المشبوهه .
أفقت من خيالاتى على إرتفاع الأصوات من حولى
وإستعدت توازنى عندما دفعتنى المعلمة إحسان بكتفها
وهى تدخل الغرفة وترفع عبده بيدها وتجلس على جسد سليم
ثم أشارت لنوسه التي بدأت تفرك فوق أنف سليم بقسوة
وماهى الا ضغطة واحدة من المعلمة إحسان على صدر سليم
حتى جحظت عيناه مع شهقة عميقة وكحة متقطعة
تعالت معها الزغاريد خارج الغرفة مع الهتاف بإسم المعلمه ..
لا تقولى طب ولا بتنجان تسلم إيدك يا إحسان ..
لم تهتم إحسان بالهتافات ونهضت بثقة من فوق سليم
ثم أصدرت تعليمات سريعة .. طلعوه على السرير
ومخدات كثير تحت رجليه وإفتحوا الشبابيك دى ..
مرت المعلمه إحسان بجواري وهى تخترق عيناى بنظرتها
ثم وقفت أمامى واضعة يدها على صدرى هامسة ..
سامحنى خبطت فيك وأنا داخله ..

ثم عضت شفتها السفلية ..وهمست ..
بس كانت أحلى خبطة سيبك إنت .
لم أكن قد دققت النظر سابقاً في وجه إحسان
ولكن مرورها كان يحيطه أطياف من الرهبه
مجال يتحرك معها يشعرك بالخوف من الإقتراب ..
ولكننى تغلبت على تلك الرهبة وإخترقتها
عندما خرجت خلفها .. وتحت ستر التصفيق والتهليل ..
إقتربت من أذنها هامساً .. إنتى .. معلمه .
كنت قد أمسكت ذراعها بيدى عندما التفتت إحسان برأسها .. وإخترقتنى بنظرات عينيها .. ثم ابتسمت قائلة ..
طيب بعد ماتطمن على صاحبك ..
ابقى عدى عليا تحت في الدور الأرضى .
مش مهم صاحبى .. ياكش يولع صاحبى ..
هكذا همست في نفسى بينما تابعت إحسان قولها ..
حأستناك تحت علشان لما تيجى .. أطلعك فوق .
خرجت إحسان وأخذت عيناى معها متعلقة بسيقانها البراقة .. وتلك السلسلة المجدولة على كاحلها المرمرى ..
ومن تحتها كعبها الوردى الأملس .
أفقت من غفلتى القصيرة على صوت عبده يصرخ ..
يعنى إيه مافيش فلوس .. إنت بتقول إيه ..
ما تتكلم عدل كده وماتخلينيش أتغابى عليك ؟
أسرعت الى الغرفة لأجد عبده مستلاً مطواه صدأه
يكاد يثقب بها رقبة فهد .. بينما يده الأخرى خلف عنقة .
إندفعت نحو يده عبده وجذبتها بقوة وصحت بغضب ..
إنت إتجننت ياجدع إنت .. هى حصلت تفتح علينا مطواه ؟
فلوس إيه يابو فلوس إنت .. عاوز كام يعنى !
أغلق عبده مطوته ورفع حاجبه الأيسر .. قائلاً
عاوز حق البت دى .. وعاوز حق الحشيش ..
وعاوز حق الكشف المستعجل بتاع المعلمه كمان !
وكلك نظر بقى يابيه اللى تجود بيه .
كانت إستكانة فهد بتلك النظرة المنكسره تستحق ..
أن أدفع فيها مال قارون ..
وكان كعب إحسان الذي لم يكن قد فارق مخيلتى ..
يستحق .. أن أنهى تلك الخلافات بأى ثمن ..
أخرجت محفظتى وفتحتها وأسقطت كل مابها ..

داخل فانلة عبده الحمالات .. وأضفت قائلاً ..
إتفضل ياسيدى فلوس أهى .. خد اللى إنت عاوزه ..
ولو إني المفروض أخصم منك حق قبلة الحياه المقرفه ..
اللى خليتنى عاوز أغسل وشي بمية نار علشان أنساها .
فتح عبده فمه حتى بلغ أذنيه وهو يقهقه بصوت عالى ..
وتبعته سونا بضحكتها الرنانه المعهوده ..
ثم أتى حضن فهد .. وكأنه يعتذر لى عن كل مابدر منه .
بينما تسللت يد نوسه لتفرك كتفي قائلة ..
خلاص ياجماعه بقي حصل خير ..
ثم تابعت يلا سيبوا الراجل الميت ده يرتاح شوية
على مامفعول الزفت الحشيش يروح ..
وإنتى يا حيلة أمك .. ياللى مابتجيبينيش غير في المصايب ..
لسه في حد تانى هنا عاوزه تموتيه والا خلاص كده جبرت ؟
إنسحب عبده بعد أن قبل رأس فهد معتذراً ..
وأمسك بسونا من ذراعها ودفعها خارج الباب
وهمست نوسه في أذنى وهى تلفحنى بنيران أنفاسها ..
يلا دش سوا والا أروح آخد الدش في أوضتى ؟
كانت أذن فهد مولفة على نفس موجة تردد صوت نوسه ..
فصاح وهو يمسك بيدها قائلاً .. لا ده أنا لو حأبيع عمرى ..
ده أنا حأموت عليكى أصلاً من ساعة ماشوفتك ..
طب تاخدى الساعة .. الساعة دى أصلية .. تاخديها ؟
رمقتنى نوسه بإحتقار قائلة أنا سؤالى ماكانش عن الفلوس ..
ما أنا شوفته وهو بيفضى محفظته في عب عبده ..
وتابعت موجهة سؤالها لفهد .. وياترى بقي حركة الجدعنه دى ..
والتضحية بالساعة دى لك ولا له !
أجاب فهد بمنتهى السرعه .. ليا طبعا .. ثم تابع ..
أقصد لنا إحنا الاثنين .. يعنى .. خدى بالك دى أصلى .
أمسكت نوسه بيد فهد وهى ترفعها بقرف عن يديها قائلة ..
طب روح خلى عمك عبده يثمنهالك الأول .. وإبقى تعالى .
قفز فهد في ملابسه سريعاً .. وإنطلق خارجاً ..
بينما جلست نوسه وتمتمت بصوت خافت ..
عجبتك إحسان مش كده ؟
تلعثمت قليلاً وأنا أتساءل بتكلمينى أنا ؟
أومال يعنى بأكلم القتيل اللى جنبى ده !
جلست بجانبها وملت برأسى على كتفها .. وهمست ..

مش عارف .. أنا مش عارف مالى ..
ولا عارف ايه اللى بيحصل لى ده ..
من ساعة ما دخلت اللوكانده دى ..وأنا بيحصل لى حاجات ..
مش بس ماكنتش أتخيل إنها تحصل لى .. لا ..
ده أنا ولا كنت أتخيل إن في كده في الدنيا أصلاً .
يعنى عجبتك إحسان ؟ هكذا تسائلت نوسه للمرة الثانية .
غصت في أعماق قلبى لأجيب سؤال نوسه المتكرر .. وأجبت
طول عمرى بأتجنب الستات .. مش علشان ما بأحبهمش ..
بالعكس بأحبهم جداً .. بأحبهم كلهم ..
وعلشان كده بأقلق من مسئولية العلاقة ..
بأخاف من عدم الإخلاص .. بأترعب من الفكرة ..
أضمن منين إني من النوع اللى واحدة بس ممكن تملأ عينه ..
أتأكد إزاي إني حأكون مخلص لها وما أبصش لغيرها أبداً ..
أنا مش بتاع ستات أصلاً .. بس بأفترض إني ممكن ..
بعد ما أرتبط بواحدة وألتزم معاها .. ماتكفينيش ..
تعجبنى واحدة غيرها .. أو حتى تعجبنى حاجة ثانية
في واحدة ثانية .. وأبقى أذيت الأولانيه .. إنتى فاهمانى ؟
كانت الدموع تترقرق في عينى نوسه ومع سؤالى ..
إنزلقت وإنهدرت على وجنتيها كالأمواج ..
خلعت قلبى .. فلم أتمالك نفسى وإحتضنتها بقوة .. قائلاً ..
لا وحياتى عندك ما تزعلى مني .. على فكرة إنتى صح ..
أنا فعلا حصل لى كده معاكى .. انتى خطفتينى .. سحرتينى ..
وقلت في نفسى هى دى .. مهما كان ماضيها .. هى دى .
مسحت نوسه دموعها بيديها وهى تستجمع قواها قائلة ..
وجت إحسان فكت لك العمل وزالت عنك السحر مش كده !
مش عارف .. هكذا أجبت بكل مالدى من صراحه ..
عينيها فيها حاجة .. عامله زى عينين القطط .. بتشع ..
حسيت إنها بتخترقنى وبتقرأ كل تاريخى .. وبتمسحه .
هى فيها جاذبية رهيبة .. عينيها فيها غموض يشد
ونظرتها كأنها بحر دافيء بيغسلنى من جوايا .
إنزل روح لها .. هكذا همست نوسه ..
وهى تضع أصابعها على ظهرى .. قوم روح لها ..
قول لها كل حرف قولتهولى .. بالنص زى ماهو كده ..
الست مننا مش محتاجه حاجة من الدنيا أهم ..

من راجل يشوفها كده .. ويقولها إنه شايفها كده .. وتصدقه .

الحلقة الحادية والعشرون : *Shehabiat*
كانت همسات سليم من خلفي تكاد لا تسمع .. عطشان
لكن نوسه سمعتها فانطلقت نحو الباب وهي تتمتم ..
ده قايم عطشان ياعينى .. ثوانى اجيب لك تشرب .
عندها أشار لى سليم بأصابعه أن أقترب .. فاقتربت
فهمس بصوت خافت .. عاوز سونا .. هات لى سونا
تعجبت من طلبه قائلاً .. بس سونا مشيت .. اللى هنا نوسه.
لا عاوز سونا وهات لى عم عبده .. عاوز عم عبده
تعجبت أكثر وتساءلت .. في إيه .. إنت عاوز عبده ليه ؟
قطب سليم جبينه قائلاً .. الساعة بتاعتى .
تماديت في سؤالى دون تفكير ..
مالها ساعتك وهما مالهم ومال ساعتك ؟
قطب سليم حاجبيه أكثر وأجاب ..
الساعة اللى مع فهد .. دى بتاعتى مش بتاعته .
ياخبر يعنى فهد راح يرهن ساعتك إنت ؟
هكذا صحت بصوت مرتفع واذا بنوسه تناوله كوب الماء قائلة ..
وماله .. ساعتك وساعته واحد ..
وبعدين ما هو راح يقدر ثمنها عشانكم كلكم ..
ولا انت خلاص زهقت مننا ولا ايه ؟
تبسم سليم بسمه واهنه قائلاً .. أنا لو عليا كنت قطعتك
بس نقول ايه بقي حظك حلو .. نفدتى من تحت ايدى ..
أنا اللى صعبان عليا أوى منظري قدام سونا .
انطلقت نوسه مرة أخرى خارج الغرفة .. وأشار لى سليم
أن أقترب فاقتربت قائلاً .. ياعم إنت في إيه وإلا في إيه ؟
همس سليم .. خد بالك إحسان دى مش طبيعية .
قصدك نوسه مش احسان .. هكذا قاطعته بدهشة !
فأجاب .. لا احسان .. احسان فيها حاجة مش طبيعية ..
أنا كنت بأموت .. قاطعته مرة أخرى قائلاً ..
لا إنت كنت ميت فعلاً مش كنت بتموت .
أيوه فعلاً .. أكد سليم كلامى ثم أضاف .. إنت عارف ..
البتاع ده اللى بيجيبوه في الأفلام ..
الجهاز اللى بيحطوه على صدر العيان ..
و يقوموا خابطينه شحنة كهرباء يتنفض ويفوق ده ؟

أومأت برأسى متفهماً فأضاف .. أهى احسان دى عملت كده ..
ايديها طلع منها حاجة كده زى الكهرباء .. لما لمستنى .
قاطعت سليم قائلاً .. انت بتقول ايه ..
هو إنت كنت واعي أصلاً .. ده انت ولا كنت داري بالدنيا
ولا حتى كنت عارف مين اللى حواليك أساساً .
استرسل سليم قائلاً .. وبعقلك كده عرفت ازاى ان احسان ..
هى اللى فوقتنى .. والا إن إحسان جت هنا من أصله ؟
جايز سمعتنا واحنا بنحكي وانت نايم و بيتهيألك انك كنت واعي .
شعر سليم بالملل من مناقشتي فأشار لى بيده نحو الباب .. قائلاً
طب قوم انزلها يا خويا .. الحق عليا انى بأنورك .
تعجبت أكثر واقتربت من سليم متسائلاً ..
وإنت عرفت إزاي إننا إتفقنا أنزل لها .. ده إحنا كنا بره ؟
ضحك سليم وهو يقول .. إيه ده هو إنت كنت نازل لها فعلاً !
ثم اعتدل في جلسته متساءلا .. لا إحكى لى بقى ايه اللى حصل !
ولا حاجة .. اختصرت اجابتى مع بعض القلق من زلة لساني
لكن سليم تابع قائلاً .. إنت مش قدها يا عم إنت .. اعقل .
دى تحرقك وتفحمك وتفركك وتكحل عينيها بيك .
انقطع الحوار بدخول سونا وخلفها عم عبده ونوسة .. ثم فهد .
إرتمت سونا على صدر سليم قائلة .. حقك عليا يا سيد الناس ..
أنا اللى زودت لك في الحشيش أوى كده .. بس إنت برضو ..
غلطان إنك فتحت صدرك وقلت لى ده أنا أشرب المحيط ..
ثم زفرت ضحكتها المعهودة .. فتعالت الضحكات ..
بما في ذلك ضحكة سليم الذي قرص سونا في خصرها قائلاً
يابت ده هبوط بس من قلة الأكل .. إنما دلوقتى عمك عبده
يروح يجيب لنا فراخ مشوية من المحل اللى تحت ونآكلها ..
وأقوم أفحتك أخليكى تطلعي بترول .
اغتنم فهد الفرصة وتدخل قائلاً .. حصل يا غالى ..
أنا عملت زى إنت ما قلت لى واديت عم عبده الساعة ..
وقلت له يجيب لنا بثمنها أكل بقي وسجاير .. وحشيش .
سمع سليم كلمة حشيش فصرخ قائلاً .. لا .. حشيش لا .
أزاح عبده سونا بيده .. وجلس بجوار رأس سليم
ومال عليه هامساً .. العيب مش في الحشيش يا بيه ..
عمرنا ما سمعنا عن حد مات من الحشيش .. بالعكس بقى ..
الحشيش ده اللي بيصحي الميت .. بالك إنت ..
لو تسمع من عمك عبده يعنى .. كلمتين ..

واذا ماعجبكش الكلام اسمعه من هنا وطلعه من هنا ..
كان عبده يشير إلى أذنيه في الوقت الذي غمز بعينيه إلى نوسه
التي تلقت اشارته ونفذتها فوراً فإصطحبت سونا وغادرت ..
تابع عبده حديثه قائلاً ً .. الستات مش كلهم زى بعض يا بيه ..
واللى يقولك كلهم بيتساوا في الظلمة ..
يبقى مبيفهمش عدم المؤاخذة .. الستات دول ..
عاملين زى المانجا كده .. عمرك أكلت مانجايتين بطعم واحد ؟
كنا ننصت باهتمام الى حديث عبده في محاولة لفهم ما يعنيه ..
وكان عبده مسترسلاً في حديثة دون أن ينتظر إجابة منا ..
مافيش مانجايه تشبه الثانية لا في حجمها ولا لونها
ولا في طعمها حتى لو قاطفهم من نفس الشجرة ..
الستات كده .. كل واحدة ولها طريقة ..
في تقشيرها لامؤاخذه وفي أكلها .. حتى في عصرها برضة ..
كل واحده ولها طريقة غير الثانية .
قاطعت عبده محاولاً فهم مقصده قائلاً ً ..
ايه ياعم عبده محل العصير اللى فتحته علينا ده .. عاوز تقول ايه ؟
أقولك يا بيه .. هكذا أجاب عبده ..
وهو يتكأ في جلسته بجوار سليم ..
ويشعل سيجارته الملفوفه ويتابع قائلاً ً ..
يعنى صاحبك غشيم عدم المؤاخذة .. جاب المانجايه الفص
وقشرها وقعد يتفرج عليها ويشرب في حشيش ..
لحد ما كبرت في عينه وشافها عويسى ..
الفص مابيتقشرش يابيه .. الفص ده بيتاكل بقشره زى ماهو ..
كان مفروض تقوم تهرسها وبعدين تبقى تقعد تشرب براحة راحتك وتتفرج على البذره الصغيرة
وهي مرميه جنبك ..
ادينا بنعلمكم وناكل من بيوتنا .
أنهى عبده حديثه بتلك الجملة الغريبة التي لم أفهمها ..
لكن كلامه على مايبدو كان له مفعول السحر على سليم ..
نهض سليم واقفاً على السرير وخبط بيديه على صدره كالغوريلا
ونظر إلى عبده من أعلى قائلاً ً قوم هاتها ياعم عبده .
أجيب مين .. اقعد بس بدل ما تقع من فوق السرير ..
هكذا سخر عبده من سليم وهو يتابع هو أنا لسه خلصت كلامى !
جلس سليم بمنتهى الطاعة وأشعل سيجارة وقال .. كمل يا معلم ..
بص يا بيه .. لما تيجى تاكل .. حلى الأكل في عينك الأول ..
العين بتآكل قبل البق لامؤاخذة .. يعنى تزوق لنفسك الأكل ..

تبص على ورك الفرخة كده وتقول اية الوراك الحلوة دى ..
تبص على الصدر المحمر كده وتقول اية الصدر الجامد ده ..
تحفز نفسك يعنى علشان تاكل بنفس ..
تقوم تلاقى نفسك اتفتحت .. وتقوم بالفرخة كلها ..
وتحبس وراها بسيجارة .. وابقى افتكر عمك عبده بقى .
وضع سليم يده على يد عم عبده مستوضحاً ..
يعنى أقول بصوت عالى ياعم عبده ؟
ضحك عم عبده قائلاً .. ياعم بالصوت الحيانى كمان
هو في حد له عندنا حاجة .. اللى له حاجة عندنا ..
ييجى ياخدها مننا .
احتضن سليم عبده واضعاً قبلة طويلة على خده
ثم دفعه نحو الباب قائلاً .. طب قوم هاتها بقى وحياة أمك .
كنت متعجباً من تصرف سليم وسألت عبده مداعباً ..
والواحد يعرف إزاي إن الفرخة طلبت الأكيل ياشيف عبده !
التفت عم عبده نحوى وأجاب ببساطه .. خلقتها كده يا بيه ..
هو في فرخة في الدنيا ماب
تتاكلش .. الا بقى اذا حظك وقعك ..
عدم المؤاخذة في فرخة من الفراخ الفطيس .. ميته يعنى .
رافقت عبده إلى الخارج الى أن وصلنا إلى الطرقة ..
ثم سألت عبده بمكر .. الا قولى يا عم عبده ..
في الاسانسير ده أدوس ايه علشان ينزلني تحت خالص ..
رمقني عبده بنظرة ثاقبة متسائلاً .. محتاج حاجة من تحت يعنى ؟
اجيبهالك معايا وأنا نازل أجيب الفراخ .. ثوانى بس ..
أبعت الفرخة الشمورت .. للديك اللى زمانه بيكاكي .
دفع عبده أحد الأبواب الكثيرة الممتدة في الطرقة ..
وأدخل فيها رأسه .. وإذا بسونا تخرج مهرولة إلى سليم
وهي تطلق إحدى ضحكاتها المدويه وتتبعها بجملة سريعة ..
ياما كان نفسى فيك انت يا حليوة انت ..
أمسكت سونا من ذراعها قائلاً ..
بتستهبلى انتى صح ؟ بتهيصي في الهيصه وخلاص !
منين يعنى نفسى فيك .. ومنين طالعه تجري على جوه ؟
إقتربت سونا وجهها من وجهي هامسة .. ده شغل .. إنما أنت .
عاد عبده مسرعاً دافعاً سونا بقدمه قائلاً .. يالا وبطلى رغى ..
ثم وجه سؤاله لى مسترسلاً .. قولى بقى يا بيه ..
عاوز حاجة معينة يعنى لازم تنزل لها بنفسك .

كان سؤال عبده ملهماً .. فأسرعت بالاجابة ..
اللى أنا عاوزة .. ماينفعش انت تجيبه ياعم عبده ..
عاوز أسحب فلوس .
وقعت كلمة فلوس على أذن عبده وكأنها مزيكا
حيث صفق بيديه قائلاً ً اهو ده الكلام بقي ..
بص يا بيه انت تنزل الدور اللى تحت مننا ده ..
هتلاقى اسانسير تدوس فيه على آخر زرار تحت
تفتح تلاقى باب الفندق وعنده ماكينة فلوس ..
اسحب كل الفلوس اللى فيها وتعالى ..
تركب الاسانسير تانى .. وتدوس على آخر زرار فوق
وتخرج تطلع دور .. تلاقى نفسك هنا تانى ..
قاطعت عبده متعجباً .. ايه ده كله ؟
انت مش أخدتنا من تحت على هنا على طول !
كان عبده يلف سيجارة بمهارة فائقة بينما يجيب ..
تحت عن تحت يفرق .. واسانسير عن اسانسير يفرق
وأشار بعينه على باب الاسانسير قائلاً ً .. الاسانسير ده ..
بيفتح من الدور الارضى بس وبيطلع الدور ده بس ..
ومش بيفتح هنا من بره .. بيفتح من جوه بس .
إنما الأسانسير اللى في الدور اللى تحت ده ..
بيفتح في كل الأدوار ماعدا الدور ده ..
والأرضى بتاع اللوكاندة مفصول عن أرضى الفندق بحيطه ..
كان عقلى يعتصر باحثاً عن موقع احسان من إجابات عبده ..
وكان ما يصفه عبده أشبه باللوغاريتمات ..
وكنت أمنع نفسي عن سؤاله عنها مباشرة ..
واذا به يستكمل حديثه .. أما أسانسير احسان بقى .
استوقف عبده فجأة صوت سليم مجلجلاً من الداخل ..
وصيحاته ترج الكون كله .. ايه الحلاوة دى .. ايه الجمال ده ..
ايه الوراك دى .. حلاوتك يا عم عبده .. يا جمالك يا عم عبده .
انهال عبده بكفيه وصب غضبه على الباب وهو يصرخ ..
افتح يابيه .. افتح الله يخرب بيتك .. الناس يفتكروك نايم معايا .

الحلقة الثانية والعشرون : *Shehabiat*
كانت جملة عبده كفيلة بأن تردينى قتيلاً من الضحك
ولكن ذلك الصوت الذي يناديني من أعماقى ..
جعلنى أنتهز فرصة إنشغال عبده وأتسلل إلى الدور الأدنى

الذي وجدت سلمه موصداً بقفل كبير على باب حديد صدأ ..
ولم يكن في عقلى خلية واحدة تفكر إلا في الوصول الى احسان ..
فتسلقت الباب وقفزت الى الممر باحثاً عن الاسانسير ..
وأنا أتمنى من كل قلبى .. ألا يكون مغلقاً هو الآخر ..
كنت أتحرك بقلق لم يمنحني وقتاً للتدقيق ..
ولكن هذا الدور كان مختلفاً تماماً عن الذي يعلوه ..
وصلت أخيراً الى باب الاسانسير ودخلت وأغلقته خلفي ..
وقبل أن أضغط على آخر زرار تحت كما وصف عم عبده ..
بدأ الأسانسير في الهبوط بما يعادل عدة أدوار .. ثم ..
توقف .. تسارعت ضربات قلبي وأحسست بتجمد اطرافي ..
الى أن فتحت يد خارجية ..ودخلت امرأة شابة ملامحها أجنبية .. حاولت أن أتجنب النظر إليها .. لكنها لمست ذراعى بإصبعها
وأشارت الى لوحة المفاتيح قائلة .. لوبى ؟
انتهزت الفرصة و استدرت نحو لوحة المفاتيح ..
وصوت عبده يجلجل في رأسي .. لكنه لم يكن وصفه للأزرار .. كان حديثه عن الفراخ .. هو في فرخة في الدنيا مابتتاكلش ؟
ارتبكت قليلا وأنا ابحث عن اخر زرار تحت .. وعندما وجدته .. وضغطته .. جاء صوتها مرة أخرى .. إستني .
كان الاسانسير قد بدأ الهبوط .. ولكن ضغط الدم كان قد ارتفع .
طلعتيلى منين انتى بس .. أنا كنت ناقصك !
كنت اتمتم في نفسى وأصابعي تعبث بالأزرار ..
والتي قد اختلطت كلها في عينى .. لا أعلم في أى الأدوار نحن ..
ولا من أى الأدوار جاءت تلك المرأة التي تخاطبنى بصفتى أنثى .. وتمنيت عند ضغطى كل الأزرار .. أن يتوقف الاسانسير ..
في أى دور لمغادرته والنزول عن طريق السلم .
جاءت كلمتها التالية واضحة جدا .. سكس .
التفت نحوها وهى تصرخ مرارا وتكرارا .. سكس
نظرت في خضرة عيناها طويلاً .. محاولاً فهم مقصدها .
ولكنها ألقت حقيبتها من يدها .. ودفعتني بقوة ..
ورطنت بعدة كلمات لم أفهم منها إلا .. هُماره .
ثم ضغطت بأصابعها أحد الأزرار .. وتناولت حقيبتها ..
واقتربت من الباب حتى توقف الاسانسير ..
ثم فتحته .. وخرجت ولم تغلقه خلفها .
لم أتوقف للتفكير فيما حدث او في تفسير كلماتها ..

ولكننى أردت أن أنفث عن شيئاً من غضبى .. فإستدرت ..
ورفصت الباب بقدمى قائلاً ً .. طالما حماره بقى .
وأسرعت بالضغط على الزرار الاخير من تحت ..
طبقاً لوصف عم عبده .. منه لله .. قال كل الفراخ بتتاكل قال ..
طب أهى الفراخ البيضاء كانت هتنقرنى ياخويا !
خلينا احنا في البلدى .. ماله البلدى .. ثم أخذت ادندن ..
حبيت بلدى .. وعشان بلدى .. أنا عايزك تكبر ياولدى ..
وأشوفك بتبرطع فيها .. وانتابتنى نوبة من الضحك
حينما استوعبت أنها كانت تقصد الدور السادس .. سكس ..
وأن خيالى الخصب دخل الكلام في الأرقام وفهمت غلط ..
هُماره فعلا .. هُماره كبيره .. توقف الضحك ..
مع توقف الاسانسير واسرع شاب أسمر وفتح الباب متسائلاً ..
فين مدام غزالة ؟ رفعت شفتاى ايماء بعدم المعرفة ..
فتابع قائلاً ً دى مفروض تكون نزلت .. كده الطيارة حاتفوتها .
تساءلت من باب الفضول .. مين مدام غزالة ؟ فأجاب ..
غزالة جاويد المغنية الباكستانية نازله في الدور السادس ..
جوزها باعتنى أوصلها المطار .. أنا السواق والعربية بره ..
وقلت لهم يكلموها من اللوبى .. وقالت نازله حالاً .
تساءلت مرة أخرى .. جوزها ده من هنا ؟
فأجاب الشاب ببساطه .. لا باكستانى برضة ..
بس الجماعة المتشددين بتوع طالبان مانعين الغناء هناك ..
علشان كده جوزها بيبعتها على هنا وتطلع من هنا على دبى ..
تسجل أغانيها هناك وترجع من دبى على هنا تانى ..
وبعدين على باكستان .. وبيكلمنى كل مرة علشان أوصلها ..
أستأذن حضرتك أروح أقول لهم في اللوبى يكلموها تانى .
كنت قد أغلقت باب الفضول .. ولكنى لم أكن قد أغلقت ..
باب الاسانسير وتركته مفتوحاً ..
عقاباً لها كى لا تستطيع طلبه .. ولكن بعد معرفتى ..
أنها ربما تفوتها الطائرة .. أدخلت رأسى داخل الاسانسير ..
وأخذت أبحث عن زرار السادس ..
لأضغطه وارسل لها الاسانسير سريعاً .. واذا بصوتها من خلفي ..
بعد أن نزلت السلم بحقيبتها .. تقول .. انتى هُماره .
كنت موقن أنها الغزالة .. لذا .. تجاهلتها تماماً ..
وأغلقت باب الاسانسير وخرجت مسرعاً ..
لاحظت أثناء خروجى أن المدخل فخم جداً ..

وتذكرت وصف عبده .. ربنا ينتقم منه ..
بأن هناك حائط يفصل بين المدخلين ..
فخرجت أتفحص المداخل المجاورة .. بينما ..
مرت سيارة بجواري ومعها صوت أعرفه تمام المعرفة ..
هماره .. كانت غزالة تخرج نصفها العلوى من نافذة السيارة ..
وارادت ان تودعني قبل مغادرة البلاد .. فتمتمت في نفسى ..
هى غزالة صحيح .. بس صعب الواحد يتعلم باكستانى .
وجدت المدخل أخيراً فهندمت ملابسي ودخلت ..
لكني لم أجدها .. كانت احسان خلفي تماماً ..
واضعة يدها على خصرها .. متساءلة ..
كل ده بتطمن على صاحبك ؟ فتساءلت في نفسى ..
ياترى سمعت غزالة وهى بتودعنى !
كنت قد قررت أن أفتح قلبي على مصراعيه مع احسان ..
قررت أقول كل حاجة حصلت لى في حياتى ..
بحلاوتها ومرارتها .. نفسى اكون ذاتى ..
مرة واحدة بس اكون أنا زى ما أنا مع حد ..
حد يفهمنى .. يقدرنى .. يحبنى زى ما أنا .
وأفقت على صوت احسان .. معقول سؤالى صعب اوى كده ؟
مش عارف .. هكذا اجبتها .. مش عارف ابدأ منين .. عاوز .
قاطعتني وهي تضع اصبعها على شفتيها .. بس .. ايه ..
تعالى اقعد هنا ثانية واحدة .. اخلص حاجة واجى .
اشارت لى على كرسي مكتبها الذي يواجه المدخل تمام ..
ومن خلفه باب الاسانسير .. وجلست ارتب افكارى ..
التي كان اولها .. مش حأكذب .. ايوة مش حأكذب .
عادت احسان اسرع مما توقعت وطلبت مني أن أتبعها ..
يلا وخليك ورايا على طول .. ومتتكلمش مع حد .
خرجت احسان ولكنها لم تتجه نحو مدخل الفندق ..
بل إلى الجانب الآخر وبينما كنت أفتش عن سجائرى ..
اختفت احسان في لحظة تأكدى أن معى ما يكفي من السجائر .
وأخذت أبحث عنها يمينا ويسارا مثل المجاذيب ..
وقفت أمام مدخل اللوكاندة نادباً حظى واشعلت سيجارة ..
فسمعت صوتها من امام مطعم الكباب المجاور للفندق ..
انت يا اسمك ايه ! مش قلت لك خليك ورايا على طول .
ألقيت سيجارتى وأسرعت نحوها وامسكت بعباءتها قائلاً ..

في ذيلك اهو .. فصفعت يدي بيدها وصاحت .. شيل ايدك .
دخلت احسان المطعم بعد أن أشارت بإصبعها ..
فأسرع شاب وفتح لها الباب من الداخل ..
لكنها لم تلتفت لتتأكد من دخولي .. و توجهت نحو ممر جانبى ..
وأشارت بإصبعها مرة اخرى لفتح باب آخر ..
لكنها التفت هذه المرة .. ليس للتأكد من دخولى ..
وإنما لعتاب الشاب على التأخير قائلة .. ايه حأستناك كثير !
هرول الشاب نحو الباب وفتحه وأشار لها بالدخول ..
واسرعت أنا للدخول خلفها متجنباً النظر الى الشاب تماماً ..
وهو أيضاً .. أو هكذا تمنيت أنا .. ثم أغلق الباب خلفنا .
وقفت احسان قليلاً قبل أن تفتح باب آخر بيدها
وانتظرت حتى دخلت ثم دخلت واغلقته ..
ثلاجة .. مخزن لحوم .. ماتستغربش ..
أنا بأحب اكون هنا لما احب اقعد لوحدى ..
كانت هذه كلمات احسان التي جعلتني أنظر الى عينيها ..
لأتأكد أنها ليست مختلة عقلياً .. أو أنها قررت قتلى .
تلفت حولي كثيراً أبحث عن مقعد للجلوس ..
وكان الأنسب بعض الكراتين المجمدة من اللحوم .. فجلست .
وضعت احسان يدها على خصرها مرة اخرى متهكمة ..
هو ده اللى تعرفه عن الاتيكيت .. بتقعد وتسيبنى واقفة !
نهضت مسرعاً و أنا اتمتم .. اتيكيت ايه بس في أم المخزن ده ؟
تعالى اتفضلي استريحي هنا على الفخده دى .
تعالت ضحكة احسان التي لم اسمعها من قبل .. هزت كيانى .
وتابعت ده انت حكايتك حكاية .. غمض عينك .. وهات ايدك .
امسكت احسان بيدى .. فاستشعرت نعومة اصابعها .. واظافرها .
وتمتمت بصوت مسموع .. مش ممكن تكون دى ..
صوابع معلمه ابدا.. ضحكت احسان واتبعت ضحكتها بقولها ..
معلمه غصب عنك .. هو لازم يعنى المعلمة تكون وحشة .
كنت بالفعل قد اغمضت عيناي بضمير ..
لكننى كنت أسمع حركة الكراتين التي دفعتها بيدها ..
ثم فتحت باب حديد ودخلنا وأغلقته ..
وشعرت بحركة اسانسير يرتفع مع قولها ..
تقدر تفتح بقي خلاص .. وما تزعلش مني انى خليتك غمضت .
ازعل ؟ هكذا تساءلت ثم تابعت بالعكس بقى ده أنا سعيد جدا ..

ولعلمك بقى أنا مش عاوز افتح .. أنا مبسوط كده .
فتساءلت بدلال .. ليه بقي مش عاوز تشوفنى !
فأجبت في الحال لا بس لو فتحت هتسيبى ايدى ..
و أنا عاوز ايدك تفضل جوه ايدى .
خجلت احسان وأضافت بس انت ايدك كبيرة اوى .
فأجبت وأنا اعتصر اصابعها .. ياريتها جت على ايدى وبس .
ازدادت احسان خجلاً وتذكرت يدها وسحبتها بنعومة .
فتابعت جملتى قائلاً .. وقلبى كمان كبير .
همست احسان ضاحكة .. كده وصلنا .

الحلقة الثالثة والعشرون : *Shehabiat*
كانت الجدران ملونة بألوان رقيقة على جانبي الممر ..
وفي نهايته باب من الزجاج مصنفر بالزخرفة ..
دفعته احسان .. بدون مفتاح .. ثم خلعت عباءتها ..
واشارت لى بالجلوس وأضافت .. في أى مكان يعجبك .
تفقدت المكان بدهشة مخاطباً احسان .. ايه اللوحات دى كلها ؟
كلها أصلية .. هكذا أجابت احسان بصوتها يأتى من الداخل ..
ثم تابعت متسائلة .. انت لك في الفن ؟
آه طبعاً و بأقدر الفن .. والفنانين جداً ..
هكذا أجبت بما لم يبل ريق احسان .. فتابعت ..
اقصد يعني بتفهم في اللوحات والرسامين وكده ؟
لا خالص .. بس اللوحة الحلوة أقول عليها حلوة .
كان صوت احسان يأتي من بعيد مشوشاً ..
يصاحبه حركة فتح وغلق الأدراج والدواليب ..
لو عاوز الماتش .. افتح التليفزيون زمانهم نقلوا على الهوا ؟
لا ماليش في الكورة خالص .. اهى دى بقى ما بأفهمهاش
وبأستغرب جدا انهم بينزلوا ناس تجرى ورا كورة واحدة ..
ويضربوا في بعض ويتخانقوا والجماهير برضة بتتخانق ..
طب ليه ده كله .. مايدوا كل واحد كورة لوحده ..
ويبقى يلعب بيها زى ماهو عاوز .. ده رأيي يعنى .
جاء صوت احسان يرتفع قليلاً وهى تتساءل ..
انت بتقول ايه .. ماسمعتش منك ولا كلمة ..
هما بدأوا يعنى والا لسه الاستوديو التحليلى ؟
ظهرت احسان وهي تتابع قائلة .. انت لسه مافتحتش !
كانت احسان .. مش احسان خالص .. كانت حاجة ثانية ..

تجلطت عيناي عندما وقعت على تلك اللوحة المتجسدة ..
ذلك الإبداع من الجمال .. فستان جلد نمر..
على جسم فرس على حلاوه شعر على مهلبيه باللوز .
صرخت بينما تركت عينى تتأمل التفاصيل الصغيرة .. والكبيرة .
ايه ده ! مين دى .. انتى ازاى كنتى عامله في نفسك كده !
وازاى دلوقتى عامله في نفسك كده .. عليا النعمه ماعرفتك اصلاً .
فين الماتش يا راجل ؟ هكذا استقبلت احسان كلماتى ..
وكأنها كانت تتوقع كل حرف .. كانت تعرف أنها ستسمعها .
كما كانت تعرف مقدار نفسها وجمالها .
فأجبت وأنا أتأمل سيقانها .. ماتش ايه ينعل ابو الماتش ..
اتفرجى انتى لو عاوزة .. أنا هتفرج عليكى انتى .
وقفت احسان ممشوقة القوام تفتش في القنوات .. بينما ..
دفعني الفضول للاقتراب أكثر فأكثر الى أن وصلت الى محيطها ..
كانت رائحة الحب تفوح من رقبتها .. تناديني نحو الجنون .
اوبا .. واحد صفر .. بس كده خلاص .. صعدنا ..
هما بقى لو جدعان يثبتوا على كده .. ماتقعد واقف كده ليه ..
انت مالكش في الكورة ولا ايه ! تساءلت احسان ..
بينما كنت أقرب ما يكون إلى حالة المستذئب ..
فبلعت ريقي بصعوبة واجبت .. لا خالص ..
بس اللعبة الحلوة اقول عليها حلوة .. حلوة اوى .
كنت غائباً عن الادراك منهمكا في متعة المشاهده ..
ويداى تمر على طيف جسدها من حوله دون ان المسها .
ثم ألقت احسان بجسدها على الانتريه ..
وعيناها مازالت تتابع المباراة .. وتساءلت ..
يعنى مالكش في الفن .. ومالكش في الكورة ..
اومال لك في ايه ! طب لك في الحشيش ؟
وقعت كلمة الحشيش على اذنى .. ومعها وجه سليم ..
عندما لفظ أنفاسه بسبب الحشيش .. فأجبت بسرعة قائلاً .. لا خالص .. بس.
قاطعتني احسان بقولها .. بس الحشيشة الحلوة اقول عليها حلوة .
وانطلقت ضحكتها التي صرت اعشقها وانتهزت الفرصة ..
واقتربت ضاحكاً مصافحا يدها التي تركتها بين يداى ..
أو بالمعنى الأدق .. أنا الذي لم أتركها ..
كانت أصابع احسان بيضاء شفافة .. براقة
ناعمه لينه .. رقيقة .. إلى أن أفقت على صوتها ..

ايه رأيك نتعشى سوا !
كنت اتضور جوعاً ولكنى لم أكن أنتبه إلا بعد سؤالها ..
فأجبت .. و أنا معاكى اعمل اى حاجة ..
بصى أنا عايز اعيش معاكى .. واموت معاكى .
ياساتر يارب بعد الشر .. ليه كده .. بلاش السيرة دى .
فتابعت .. أنا بتكلم جد على فكرة ومش بس كده ..
أنا لو عليا عايزك انتى اللى تغسلينى لما اموت .
انتفضت احسان واضعة اصبعها على فمى قائلة .. بس ..
ثم تابعت ..قولى بقى عاوز تاكل ايه ..
ولا اعمل لك أنا على مزاجى ؟
تعملى لى .. انتى بنفسك ؟
والنعمه لو عملتى طبق طينه لأكون واكله .
ضحكت إحسان وهى تنهض قائلة .. طب ادخل خذ لك شاور ..
وعلى ما تخرج اكون جهزت الأكل .. الفوطة نظيفة ..
وفي جوه روب .. ده بتاعى ماتقلقش .
تماديت قليلاً قائلاً .. طب ايه مش هتيجي ..
اعملى بروفه علشان تبقي عارفة ازاى تغسلينى لما اموت ؟
انفعلت احسان قائلة .. وبعدين بقي ..
ممكن لو سمحت ما تغيرش مزاجى بالكلام ده .
حاولت التخفيف عنها بقولى .. الكلام عن ايه ؟
عن الموت ولا عن الشاور؟
الاثنين .. هكذا أجابت احسان وأردفت قائلة ..
حطها طبلة في ودانك .. عاوز ما تخسرنيش .. ماتلمسنيش .
كنت أحاول أن أتجاوز جملة احسان كأنها لم تكن ..
ولم أتوقف عندها بل اصطنعت أننى لم أسمعها
فأخذت ألتفت حولي متسائلاً .. هو فين الحمام .
تجاوزت احسان بدورها وأشارت لى على الاتجاه
فدخلت أعيد ترتيب أفكاري .. وقررت ..
أن أستمتع بالوقت كما تشاء هى .. ويكفي أنى معها ..
فمجرد وجودي بجوارها متعة لا تضاهيها متعة .
بالرغم من كل هذا الغموض الذي يحيطها ..
وماخفي كان أعظم .. لكننى أوقفت عقلى عن التفكير..
وأمرت نفسى أن استمتع فقط .. المتعه الخالصة
أخذت أتحسس كل العبوات التي من المؤكد أنها لمستها ..
وكانت لوحة تشغيل الشاورتزيد عن العشرة أزرار ..

أصعب من أن اعرف طريقة تشغيلها بمجرد النظر ..
وكذلك كانت قاعدة الحمام .. ولذا قررت أن لا أغامر ..
جاء صوت إحسان يتسائل من الخارج ..
أنا مش سامعه صوت ميه يعنى .. انت كويس ؟
تحينت الفرصة فخلعت ملابسى سريعاً .. ورفعت صوتى ..
ما أنا قلت لك من الاول تعالى معايا ..
بدل ما أنا لايص مع لوغاريتمات الدش دى !
لم اسمع لها رد على ما عنيته .. فوجهت سؤالى مباشرة ..
طيب ممكن تيجى تفتحى الشاور .. وماتقلقيش ..
حأبقى اغمض عينى .
تعالت ضحكتها الجميلة .. قائلة .. انت اللى تغمض عينيك !
طيب افتح الباب وعلى الله تفتح عينك بقى .
اغمضت عيناى بالفعل وفتحت الباب وتواريت خلفه قليلا ..
وشعرت بنبضات قلبى تتسارع ..عندما سمعت صوت اقدامها ..
واذا بضحكتها تزلزلنى .. فأخذ عقلى يحاورنى ..
هل نظرت احسان نحوى .. هل رأتنى ..
هل تسخر من شىء ما ؟
والضحكات تزداد وتتعالى .. وتبعها قولها .. اوع تفتّح عينك .
هذه المرة لما يكن عقلى هو الذي يحاورنى ..
لكنه كان شيطانى هو الذي .. يغويني .. إقفل الباب ..
ماتخرجهاش من هنا .. سيبك من اللى قالته كله .. دى بتتدلع ..
ماتخافش مش حاتخسرها ولا حاجة ..
بالعكس بقى ده انت ممكن تخسرها لو سيبتها ..
طبيعى تتمنع شوية لكن ساعة الجد الدنيا حاتبقى زى الفل ..
اومال يعنى هى جابتك هنا ليه .. وطلعتك معاها ليه أصلاً !
يتمنعن وهن الراغبات .. اقفل الباب وزى ماتيجي تيجي .
كانت احسان قريبة جدا كدت أستشعر أنفاسها على رقبتى ..
عندما همست قائلة .. سامعه كل كلمة بتدور في دماغك ..
بس صدقنى لو حصل .. حاتخسرنى .. للأبد .
انت تحب تبقى مرة .. لكن بعدها .. تخسرنى طول العمر .
ليه .. هكذا صرخت و أنا اعتصر الباب بيدى .. وتابعت ..
ليه بتعذبينى كده ! انتى ليه مش قادره تفهمينى ؟
طيب خلص الشاور بتاعك و بعدين نتكلم .
خرجت احسان تاركه عقلى يشتعل .. وأفكاره تلهب حواسى ..

مستحيل دى لو اخر حاجة حأعملها في حياتى .. مستحيل .
كان كل شىء يحوله عقلى الى صورة مجسمه ..
هنا وضعت قدماها في موضع قدماى .. هذا الدش .. رآها ..
وتمتع بجمالها .. المرايا دى .. يابختها .. شافتها .. كلها .
انهيت الشاور سريعاً ثم التحفت الروب ..
المعبأ برائحتها وخرجت وقطرات الماء تتساقط من جسدى ..
أخذت أبحث عن المطبخ .. الى ان وجدته .. ووجدتها ..
فإقتربت منها قائلاً .. ايه الريحة الجميلة دى .
ريحة الأكل تفتح النفس صح .. هكذا تساءلت احسان ..
دون ان تلتفت نحوى . فأجبت .. لا أنا مش بأتكلم عن الأكل ..
أنا بأتكلم عن الروب .. ريحتك فيه بتسحرنى ..
حاسس انك كأنك في حضنى .
لم تنبس احسان بحرف .. فاقتربت من شعرها واستنشقته ..
حتى عبأت صدرى من رائحته وتابعت .. تحفه .. متعه .
التفتت احسان واضعه يدها على خصرها كعادتها قائلة ..
هو في رجالة بتقف في المطبخ ! اتفضل لو سمحت ..
سيبنى اخلص الاكل وادخل انت ريح شوية في الاوضة ..
وأنا أبقى آجى أصحيك ؟
ايوه بقي .. مش قلت لك انها حاتحلو .. هكذا همست في نفسى .
ثم وصفت لى احسان مكان غرفتها وتوجهت اليها .. وقررت ..
أن انتظرها هناك وأتمدد على سريرها .. وعندما تحضر ..
سأختطفها وليكن مايكون .. وبالفعل دخلت وتمددت ..
في مكان نومها .. على مفرش السرير الاسود ..
والمنقوش عليه بعض الزهور الحمراء الصغيرة ..
والمخدة السوداء اللون .. التي وضعت رأسى عليها ..
ثم تسللت يدى تحتها .. وكأننى أحتضنها ..
ولكن أصابعى لمست شيئا معدنيا أسفل المخده .. فتعجبت ..
واعتدلت ورفعت المخده .. مسدس !
حملته وتوجهت به نحو المطبخ .. وسألتها .. ايه ده ؟
وأجابت بهدوء .. ده جلوك المانى .. انت لك في السلاح ؟
فأجبت بكل سذاجة .. لا خالص .
برقت عيناها الباسمتين قائلة .. ايوة دى حافظاها ..
لا خالص .. بس الحته الحلوة اقول عليها حلوة .
ثم استدارت وهى تتمتم .. بجد نفسى أفهم انت لك في ايه !

كان تأثير وجود سلاح تحت المخده مازال يربكنى .. فتساءلت ..
أنا مش بأسأل نوعه ايه أنا بأسأل مسدس بيعمل ايه تحت المخده ؟
وضعت احسان ادوات الطهى من يديها والتفتت نحوى متسائلة ..
عاوز تعرف بيعمل ايه تحت المخده ..تعالى معايا .
سرت خلفها و أنا أحمل السلاح في يدى وعقلى يفكر ..
في بصمات أصابعى التي وضعتها عليه .. وافكر ايضاً
في كيفية مسحها من باب الاحتياط ..
واذا بها تقف أمام باب بلكونة غرفتها وتشير لى ..
على أماكن طلقات فيه قائلة .. بأقلق لما بأسمع صوت بره .
مع انى متأكده ان مستحيل حد يقدر يوصل هنا .. لكن بأقلق .
تساءلت بدهشة أكبر .. يعنى لما بتقلقى بتضربى نار ؟
ده بجد ! يعنى دى طلقات حية اللى في الباب دى ؟
طيب افرضى كان في حد بره .. يموت ؟
مايموت ولا يغور في ستين داهيه .. ايه اللى جابه هنا اصلا ؟
هكذا أجابت احسان بإنفعال .. فتساءلت مرة أخرى ..
ايوه يعنى افرضى حد بينظف حد بيصلح حاجة بره !
فأجابت قائلة .. لا بص بقى .. الدور ده .. بتاعى أنا وبس ..
آخر دور في البرج كله .. ومافيش مدخل له نهائى ..
غير الأسانسير بتاعى .. يعنى مستحيل حد يعرف يطلع هنا ..
الا اذا كان نازل بالبراشوت .. وطبعا مش حأسألك ..
اذا كان لك في البراشوتات .. لأنى عارفة الاجابة ..
ثم وضعت قبلة على أصابعها .. وألقتها نحوى وخرجت ..
وتركتنى وحدى مع المسدس .. بالروب .

الحلقة الرابعة والعشرون : *Shehabiat*
كانت الأفكار تجتاح رأسي وأنا أعيد المسدس الى مكانه ..
بعد أن فركته بمنديل ورقى واستلقيت على السرير ..
وعيناي تحدقان في أثر الطلقات التي اخترقت باب البلكونة
ودفعني الفضول إلى النهوض لأفتح الباب وأرى مسارها
وإذا بصوت إحسان يعيدني إلى الداخل .. الأكل جاهز.
أغلقت البلكونة وأسرعت مصطنعاً بعض التماسك ..
تصدقى انى مكنتش جعان بس شكل الاكل جوعنى ..
هكذا ادرت الحوار و أنا انظر الى قطعة الموزة الضانى
وهي تهيمن على الطبق فاخر وحولها شرائح من البطاطس .
فهمست احسان قائلة .. بألف هنا وشفا .. يارب بس يعجبك .

كانت احسان قد اتخذت مكانها وأمامها عدد من عبوات البيرة
و التي يبدو من قطرات الماء المتكثفة عليها .. أنها مشبرة ..
على راى عم عبده .. ربنا ينتقم منه .. فتحت احسان إحداها ..
ثم رفعتها إلى فمها وأفرغتها في التو واللحظة ..
تعجبت قائلاً .. بتشربى بيرة ليه .. مش هتاكلى والا ايه ؟
مدت احسان يدها مرة أخرى الى علبة من البيرة وهي تجيب ..
اتفضل إنت بألف هنا .. أنا أحب أشرب قبل الأكل .
طيب بالراحة .. دى تانى علبة ترفعيها وتنزل فاضية ..
هكذا اتسحبت من لسانى وانتقدت احسان التي أجابت بهدوء ..
انت مش ملاحظ انى معملتش حسابك في البيرة ..
ومن غير ما أسألك إذا كان لك فيها والا لا كالعادة ؟
أعدت النظر مرة أخرى نحو البيرة لأتأكد من العدد وتابعت ..
يعنى انتى جايبة الأربعة دول ليكى انتى لوحدك ! طب وأنا ؟
كانت احسان رفعت الثالثة وبدأت أشعر أن أمامى وحش كاسر .
وأجابت بابتسامة قائلة .. لا انت كفاية عليك النبيذ الاحمر.
نظرت بحثاً عنه وتساءلت بتعجب .. هو فين النبيذ ده ؟
ارتفعت ضحكتها عاليا وهي تجيب .. كان في الطبق ..
اللى انت نسفته ده .. بألف هنا وشفا .
دققت النظر في عين احسان لأتبين مزاحها من جدها ..
فاسترسلت بقولها وانت ولا حتى أخذت بالك من طعمه ..
ولا قلت تسلم ايديكى على الأكل .
تسلم ايديكى وتسلم عينيكى .. هكذا اسرعت بالرد ..
ثم أردفت قائلاً .. تصدقى ان أنا من حلاوة أكلك ..
نسيت الدنيا .. تسلمى يا ست الستات انتى ياقمر ..
بس ايه بجد حكاية النبيذ دى .. ده أنا اروح فيها
على فكرة أنا عمرى ماشربت حاجة من دى ابداً
ضمت احسان شفتاها متعجبة وأضافت .. ياخبر ..
ده أنا حطيت لك كمان أتيفان مع النبيذ .. قالت جملتها هذه
وهي تضع اصبعها في فمها وتجز عليه بمقدمة اسنانها .
فتساءلت .. ده زى جوزة الطيب يعنى كده والا ايه !
بص بقي يا اسمك ايه .. أنا موتى وسمى اللى يكدب عليا ..
وعلشان اكون متأكدة انك بتقول الحقيقة لازم اعمل كده ..
لأنك في حالة الدرمغة مش حا تقول غير الحقيقة .
لم أكن استشعر الراحة في جلستى فأدرت ظهري
نحو احسان ثم وضعت رأسى على فخذيها .. قائلاً ..

أنا أصلاً كنت ناوى أقولك كل الحقيقة من غير حاجة .
استقبلت احسان رأسى بيدها وبدأت تداعب شعري
وهي تسترسل في الحديث .. تعرف يا اسمك ايه ..
دى أول مرة يصعب عليا حد من اللى بقطعهم ..
طول عمرى قلبى زى الحجر خصوصا بقى ..
على الناس اللى بيبقوا جايين يشتروا المتعه ..
باحس انهم ناس رخيصة يستاهلوا يتباعوا ولو ببلاش ..
في ناس بتفتكر ان اهم حاجة في الدنيا هى الفلوس ..
انما الحقيقة ان في حاجة أهم وأغلى من الفلوس ..
الوقت .. الوقت أهم من أى حاجة في الدنيا ..
تخيل انك تبيع وقت لبنى آدم بيموت ..
متخيل مريض على وشك الموت ..
وانت تقدر تديله فرصة ثانية للحياة .. تفتكر يدفع كام !
علشان يشترى الوقت اللى حايعيشة ده ويعيشه ازاى ؟
الناس بقى اللى بتيجى هنا علشان تتسلى وتضيع وقت ..
دول خسارة فيهم الكنز اللى معاهم ومش عارفين قيمته ..
اولى بيه ناس تانية محتاجة له .. ويدفعوا فيه كثير ..
لكن مش عارفة ليه حاسة انك جيت غلط ..
صعبان عليا .. حاسه انك غلبان وقلبك ابيض .
بس أنا متأكدة إنك .. هتسامحنى
كانت جفونى تتساقط ولسانى يجف فيه الكلام ..
ولم أستوعب تماماً حديث احسان .. أو ما تعنيه ..
لكنني فجأة تذكرت نصيحة نوسه ..
فخرجت الكلمات بصعوبة .. مش عارف ليه ..
معاكى حاسس انى خلاص مش عايز حاجة من الدنيا ..
عاوز الوقت يقف .. عايز افضل معاكى وبس ..
عارفة لما شوفتك وانتى بتنقذى سليم .. قصدى سويلم
حسيت انك حد مختلف .. حد خارق ..
مابقاش الموضوع بالنسبه لى ست وجسم وحلاوة .. لا ..
حسيت انى بأحب روحك .. قلبك .. ذاتك ..
علشان كده قلت لو حأموت .. لازم أقولك انى عاوز ..
اعيش معاكى اللى باقى من عمرى ..
نفضل مع بعض لآخر يوم في حياتنا .
كانت دموع احسان تترقرق على خديها عندما أغلقت عيناي

واستكملت حديثى بصعوبة أكبر .. سيبى المكان هنا يا احسان ..
تعالى نبعد .. ننسى كل حاجه ..نبتدي من جديد .
أحسست بإحسان وهي ترفع رأسي وتضعها على وسادة
وشعرت بأصابعها الرقيقة تنزع عنى حزام الروب ..
ثم تخلع أكمامه ثم وضعت ظهري على ملمس ناعم ..
بارد قليلا لكنه منعش ولطيف .. وتلمست وجهي بيديها ..
وإذا بها تفتح جفونى بأصابعها .. وفتحت عيناي بصعوبة
لأجد أمام وجهي .. مباشرة .. وجه عم عبده .
كنت في حالة من الصدمة بينما تركت أصابع عم عبده عيناي وأخذت تفتش في جسدى .. إلى أن سمعت صوته يعلو قائلاً ..
مش هينفع ده يا دكتوره .. ده شايل كليته اليمين ..
ولو أخذنا الثانيه هيموت .
مايموت ولا يغور في ستين داهيه احنا واخدين حسابها ..
وفي ميعاد طيارة طالعة بالبضاعة كمان ساعتين .
كان الصوت الذي أجاب على عبده مألوفاً لأذنى ..
لكننى لم أصدق أنها إحسان .. دكتوره .. جايز ..
إنما تتكلم عنى كده .. معقول ؟
جاء صوت آخر أعرفه ليكمل الحوار ..
هو حد يعرف أنه موجود هنا ياعم عبده ؟
كان هذا صوت سونا .. و التي تذكرت تعريفها لى بنفسها ..
أنا اللى بأقطع ستين حتة .. صدقتى .. طلعتى بتقطعى بجد .
أجاب عبده قائلاً .. مافيش حد يعرف أنه هنا غير اللى جابه ..
وده قابض عليه مبلغ وقدره .. حار ونار في جثته .
بأقولك يا عبده .. الجدع الثانى فين ..
اللى كان هيموت من الحشيش و أنا لحقته ؟
أجاب عبده وكأن الفكرة قد راقت عقله قائلاً ..
نايم تحت .. سونا جابت أجله .. بس حنجيبه ازاى ده ؟
قاطعته سونا بحدة قائلة .. لا مش ده اللى احنا اتفقنا عليه !
وقعت صفعة عبده على وجه سونا كالرعد .
ولكنها تابعت دفاعها المستميت قائلة ..
ابوس ايدك يادكتورة بلاش ده .. علشان خاطرى كله الا ده .
ردت احسان بهدوء .. في ايه يا بت مالك .. مش عوايدك يعني ؟
اجابت سونا قائلة .. اول مرة اشوف نظرة حب بجد ..
اول مرة حد يعاملنى على انى حاجة مهمة في حياته .. أول مرة .
قاطعتها احسان قائلة .. واحنا هنقتله يابت .. ماهو هيعيش ؟

استرسلت سونا قائلة .. ابوس ايدك يادكتورة .. دى مخاطرة ..
ابوس رجلك خدى كليتى أنا وبلاش هو .
وقعت جملة سونا في قلبى وهزت كيانى .. يابختك يا سليم ..
هذا هو الحب الذي كنت أبحث عنه والذي كنت أشك في وجوده .
انتى بتحبيه يابت ؟ كان السؤال مباشراً من احسان ..
وكان رد سونا أكثر مباشرة منه .. بأعشقه يادكتورة .. بعشقة .
رنت ضحكة احسان حتى رجت المكان وأردفت ..
خلاص يا عبده .
تعجب عبده قائلاً .. خلاص ايه يا دكتوره ؟
وضعت احسان يدها على صدري بلمستها الساحرة وقالت ..
يبقى هو ده ونصيبه كده .. مش حانعزه على اللى خلقه .
حاولت جاهداً أن أفتح عيناي وأن أهب من ثباتى .
لكن يد عبده كانت أسرع .. فضع شيئا ما على بطنى وهو يتمتم ..
ما هو كان لازم يموت .. ده شاف مدخل المطعم والاسانسير ..
ده شاف اللى محدش شافه .. ده أكل من ايديكى ابن المحظوظة ..
ثم رفع ما وضعه على بطنى قائلاً .. توكلنا على اللى بيأكلنا .
كانت البرودة التي استشعرتها في بطنى .. تصل إلى حد التجمد ..
ولكن ملمس صدر احسان التي مالت على صدرى وهى تطلب المشرط من سونا .. كان فوهة بركان .. ألهبت احساسى ..
وحركت كل مشاعرى .. وجرى الدم في أوصالى .
فكانت ضحكة سونا التي أحفظها عن ظهر قلب ..
و التي تبعتها بقولها .. الحقى يا دكتوره .. ده باين عليه قلبه وقف .
رنت ضحكة احسان هي الأخرى قائلة .. تصدقى صح .
وبعدين في الليلة اللى مش عايزة تخلص دى بقى ..
كان هذا هو صوت عبده ربنا ينتقم منه .
والذي تبعته احسان بقولها .. بأقولك يا عبده ..
خد سونا وانزلوا .. و أنا شوية كده وابقى أبعتلك .
نفخ عبده والقى الروب على جسدى وأردف .. اوامرك .
فتابعت احسان بضحكتها .. طب و بتغطيه ليه .. أنا عاوزاه كده .
رقعت سونا ضحكة مجلجلة .. واتبعتها بقولها ..
مش عايزة مساعدة يا معلمة !
ردت احسان بثقة .. ماكنتى قدامه ومارضيش بيكى ياحلوة ..
انزلى انتى بس الحقى اللى نايم قبل مايصحى .
تابعت سونا .. ايوه .. وانتى تلحقى الصاحى قبل ماينام ..

وألقت بضحكتها الرقيعة وسحبها عبده وخرجوا وأغلقوا الباب .
أخذت احسان تداعب خلايا جسدى بلمساتها الناعمة ..
ثم تحررت يديها من الخجل حتى وصلت الى كل مكان ..
أحسست بدخولها في حالة من الشراسة ..
أخذت تعتصرنى وكأنها تشبع حرمان السنين ..
حتى استجاب لها جسدي بانتفاضات متسارعة ..
وعندما حانت الثوانى الأخيرة .. صاحت إحسان .. جول .
انتفضت برأسى من على فخذ احسان فوجدتها تصفق بيديها ..
وصوتها يعلو .. ايوه كده .. برافو عليكوا ..
ثم نظرت تجاهي قائلة .. كويس انك صحيت ..
قوم شوف الجول ده .. كده بقينا اثنين صفر .
كنت أشعر بالدوار والصداع يكاد يشق رأسي ..
وإذا بإحسان تصيح مرة أخرى .. خلاص كده كسبنا .
ثم هبت واقفة وكأنها كانت تتحين تلك اللحظة ..
رقصت احسان ..على أنغام .. والله وعملوها الرجالة .
كانت عينى تتأمل جمال روحها وسعادتها وهي ترقص ..
لكن قلبى كان لا يزال حزيناً منها .. لم يكن قد غفر لها ..
ما فعلته في ذلك الكابوس .. الذي كادت تقتلني فيه .
اقتربت احسان مني ومالت تجاهي وهزت صدرها ..
وهى تغنى .. مصر الغالية .. ام الدنيا .
ثم أمسكت بذراعى قائلة قوم بقى يا راجل فوق شوية ..
انت الأكل وداك في حته تانية خالص ..
طيب ايه رأيك اعمل لك فنجان قهوة معايا ..
ونطلع نمدد بره على الشازلونج في ضى القمر ؟

الحلقة الخامسة والعشرون : *Shehabiat*
كانت احسان تفرغ علبة البيرة الرابعة كعادتها ..
ثم تمتمت وهي تحمل الاطباق في طريقها الى المطبخ ..
حالاً هعملك كنكة بن تفوقك وهتبقى زى الفل ..
ثم جاء صوتها من الداخل يسأل عن نوع القهوة ..
فأجبتها وأنا أشعل سيجارتي قائلاً.. سادة بن غامق .
خرجت احسان تهرول الى أن وقفت أمامى ..
واضعة يديها حول خصرها ثم مالت قليلا نحوى قائلة ..
قول والنعمة .. سادة .. وغامق .. انت بتتكلم جد ؟
فأجبتها بتعجب .. أيوة ليه في ايه !

تابعت احسان استفسارها قائلة .. عايز تفهمنى انك لك في البن ؟
اعتدلت في جلستي وأجبت بثقة .. كله الا البن بقى ده لعبتى .
قاطعتنى احسان قائلة .. لا استنى بقى عليا ..
ده أنا كده ادخل اجيب السبرتاية .. ونطلع نعمل القهوة بره .. وندردش بقى .. ممكن تخرج تجهز القعدة على ما اجى لك ؟
كانت حركتى ثقيلة متكاسلة لكن فضولي كان ي دفعني ..
فأثر الطلقات مازال عالقاً في رأسي ..
مع رغبتي في معرفة مسارهم بعد خروجهم من الباب ..
ولكن لفت انتباهى باب غرفة مجاورة لغرفة النوم ..
فمددت يدي وفتحته بهدوء .. ويا ليتني ما فتحته ..
لم أستطع حصر عدد الشاشات المعلقة على الحوائط ..
فاقتربت من إحداها وإذا بسليم نائماً في منتصفها ..
وبجواره سونا أجدع ناس .. وفي يدها سيجارة ملغومة ..
فانتقلت بعيناي إلى الشاشة المجاورة لهما ..
فرأيت عم عبده جالساً على حصيرته أمام كومة الحشيش ..
ومن خلفة جلست حنان تدلك له كتفيه .
أسرعت بالخروج من الغرفة بعد نظرة خاطفة على باقى الشاشات بعد أن تيقنت أنها ترصد كل مكان في اللوكاندة ..
والشوارع المجاورة لها .. عدا .. هذا الدور المخصص لإحسان .
أغلقت الباب بهدوء وأسرعت نحو الرووف وفتحت الباب ..
كان مجال الرؤية لا محدود وكأنك تنظر الى آخر الكوكب ..
الارضية مغطاه بالنجيل الصناعى ويتوسطها حمام سباحة ..
وشمسية كبيرة وشازلونج واحد وترابيزة صغيرة من الصخور ..
ومعلبات البيرة الفارغة .. ملقاة في كل مكان ..
بما في ذلك مياه حمام السباحة .. ثم وجدت على الشازلونج ..
قطعة من القماش الصغير .. مايوه ذهبى اللون .
ولم يهدر عقلى تلك الفرصة الذهبية ..
و الذي سرعان ما صور لى احسان ..داخل تلك القطعة الصغيرة .. بعد أن أحكم ربطها حول خصرها .. وترك لي نصفها العلوى ..
حراً طليقاً .. ولم يكتفي خيالى بهذا ً ..
بل أراح لى جسدها الملفوف على الشازلونج .
وإذا بيد احسان تخطف من يدي قطعة المايوه قائلة ..
أهلك علموك كده .. قالولك تمسك حاجة مش بتاعتك ؟
كانت جوارحي عالقة في ذلك المشهد الرهيب ..

ونطق لساني رغماً عنى .. أموت و أشوفه عليكى .
ماتموت ياخويا ولا تروح في ستين داهيه ..
صدمتنى احسان .. ثم رنت ضحكتها ..
وهي تميل لتضع عدة القهوة على الترابيزة ..
وأردفت قائلة انت جاى تحقق أحلامك هنا ؟
كانت افكارى مرتبكة .. عقلى ي دفعني نحو الجنون ..
وقلبى يدفعني نحو احسان .. وشيئا بداخلي يهمس في أذنى ..
إهرب .
جلست احسان على الشازلونج فتكشفت سيقانها اللامعة ..
ثم تمددت حتى خرجت عيناي من رأسي .. فصاحت احسان ..
عينك .. ده انت هتحرقنى يا عم انت .. بالراحة على نفسك .
كانت جملة احسان أكثر إثارة .. عندما شبهت عيناي بالليزر ..
وبالفعل كنت أفحص لون ما يخبئه الجزء المتبقى من فستانها ..
قولى بقى يا عم القهوجى .. طالما طلعت بتفهم في القهوة ..
ايه الفرق بقى بين البن الفاتح والبن الغامق ؟
كان سؤال احسان الغرض منه تخفيف حدة التركيز بالليزر ..
فجلست بجوار قدميها وزفرت الهواء من صدرى .. وأجبت ..
بصى ياستى بقى .. البن بيبقى اخضر اصلا قبل مايتحمص ..
والتحميص بيحوله للون البنى الفاتح إذا التحميص خفيف ..
وكل ما يزيد التحميص لونه يغمق أكثر .
ايه ده يعنى لون البن مش بنى اصلاً ؟
اذا كان اللون البنى بيقولوا عليه بنى علشان لون البن .
هكذا قاطعتنى احسان وهى تضع البن في الكنكه النحاس ..
وصبت عليه بعض الماء المثلج ثم رفعتها على السبرتايه .
وجذبت قدماها اسفل مقعدتها وتربعت .. متناسية الليزر .
تجرأت مع خفقان قلبى المتسارع قائلاً .. بصى يا احسان ..
أنا خلاص بجد مش قادر .. انتى وصلتينى لدرجة انى بأتعذب ..
يعنى ايه لو عاوز ما تخسرنيش ماتلمسنيش ..
وفي نفس الوقت ..عماله تشربى في بيرة ولابسه كده ..
يعنى عايزانى يبقى اللوز مقشر قدام عنيا من غير ما أذوقه !
قاطعتنى إحسان وهى تناولنى فنجان القهوة من فوق كتفي ..
قائلة .. من ذاق عرف .. ومن عرف اغترف .. ومن اغترف ؟
ماتقول يا راجل .. نال الشرف .. ثم تبعتها بضحكة صاخبة .
فاعتدلت في اتجاه احسان وأنا أنظر مباشرة بين ساقيها ..

قائلاً .. انتى بتقولى ايه ؟ ايه الكلام الغريب ده ..
أنا مش فاهم ولا كلمة ؟
ضمت احسان ساقيها بهدوء وهى تجيب .. بص يا اسمك ايه .
قاطعتها بعصبية قائلاً .. وايه حكاية يا اسمك ايه دى ..
ده انتى حتى مش فارق معاكى تعرفي اسمي !
تابعت احسان قائلة .. انت مش ملاحظ حاجة ..
انك مقولتش شكرا على القهوة .. و ما قولتش شكرا على الأكل ..
عارف انتوا ايه مشكلتكم يارجالة .. انكم بتشوفونا جثث ..
وكل هدفكم انكم توصلوا للى انتوا عاوزينه وبس ..
انما احنا رأينا ايه .. مش مهم .. مش لازم حتى تسمعوه ..
المهم انتوا عايزين ايه .. طب افرض انى مش عاوزاك ..
افرض انى مش مستلطفاك .. أنا حرة يا أخى .. هى عافية ؟
كانت جملة احسان بالنسبة لى أغرب من الجملة السابقة لها ..
فحاورنى عقلى سريعاً .. طيب ليه وافقتي اطلع معاكى هنا ..
ليه عملتى لى الأكل بإيدك .. ليه أصلا لابسه كده ..
وليه قاعده بالطريقة دى قدامى لما انتى مش مستلطفانى !
تابعت احسان وكأنها تقرأ أفكاري .. معنى كده ان اى واحدة ..
تعزم واحد على فنجان قهوة تبقى عاوزه اللى في دماغك ..
ايه الرجعية دى .. مش جايز تكون عايزاه في شغل مثلاً ؟
شغل ! شغل ايه .. هكذا تساءلت فأجابت احسان فوراً ..
مخدرات .. عاوزاك معايا في تجارة المخدرات ..
عارف الكراتين اللى شوفتها تحت في المخزن ..
كلها مليانة مخدرات .. اومال كنت متخيل يعنى كل ده منين ..
فندق ومطعم و ناضورجية وكاميرات .. ما أخبيش عليك ..
عندى عجز جامد بعد وقوع وهيبة وزينب بتوع مصر عتيقة ..
ومش عايزة أى حد لا .. ده أنا عايزه حد جامد زيك كده .
انتفضت وكأننى لامست كابل كهربى .. وألقيت فنجان القهوة ..
ثم واجهت احسان ونظرت في عينيها قائلاً .. مستحيل ..
مش ممكن يكون اللى بتقوليه ده حقيقى .. قولى انك بتهزرى !
طب اقعد بس انت مالك اتنفضت كده ليه .. بهزر معاك يا أخى .
كان هذا رد احسان الذي أراحني قليلاً إلى أن تابعت مرة أخرى ..
يعنى انت ماعندكش مشكلة مع اللوكاندة وستات اللوكاندة ..
الستات اللى انت عمال تحب فيهم واحدة ورا الثانية ..
ولا عندك مشكلة إني صاحبة اللوكاندة دى ..

إنما عندك مشكلة انى اكون تاجرة مخدرات ؟
لم تعطينى احسان فرصة الإجابة أو بمعنى أدق ..
أعفتنى من الإجابة على السؤال الذي لم أكن مستعدا له ..
ثم أردفت قائلة ..على فكرة بقي زى ما انت جيت هنا بالغلط ..
أنا كمان حصل لى حاجات كثير بالغلط ..
أنا اتجوزت راجل غنى عيشنى عيشة الملوك ..
لحد ما تعب فجأة ومات .. واكتشفت بعدها ان ميراثة كله ..
مخدرات وسلاح ونسوان .. كان مفروض أعمل ايه ؟
أنهت احسان كلماتها وهى تغطى ساقيها بفستانها ..
ثم تكورت على نفسها وأخفت وجهها بين ركبتيها .
فجلست بجوارها لأضع يدى على كتفها .. العارى ..
فأخذنى ذلك الملمس الناعم لبشرتها كملمس الزجاج المبلل .
وهمست لها .. يا ستى أنا علشان خاطرك أعمل أى حاجة ..
بس أنا خايف عليكي انتى .. أنا أعمل بس انتى لا .
رفعت احسان وجهها نحوى قائلة .. تقصد ايه !
فأجبتها ويداى تحتضن خديها .. يعنى من هنا ورايح ..
انتى مش هتعملى حاجة غلط .. أنا اللى هعمل كل حاجة ..
فهمينى بس الدنيا بتمشى ازاى ومالكيش دعوة .. ونتجوز .
وقعت كلمة نتجوز على مسامع احسان كالصاعقة ..
وتسائلت .. تتجوزنى أنا يا اسمك ايه !
ثم رجت الكون بضحكتها قائلة .. الا بالحق انت اسمك ايه ؟
كنت أستمتع بسماع ضحكة احسان وقبل أن أنطق باسمي ..
وضعت اصبعها على شفتاي قائلة .. بس من غير كذب .
وتابعت .. لعلمك .. الأسامي دي آخر حاجة ممكن تشغل بالى ..
وممكن أفضل أقولك يا اسمك ايه حتى بعد مانتجوز .. وتلاقي ..
نفسك بتغير من الاسم اللى مش اسمك .. لما تلاقينى بأقولك .
قاطعت احسان قائلاً .. اسمي عادل يا احسان .. عادل الشريف .
عارفه .. وعارفه كمان انك بتعمل سلسلة تحقيقات صحفية ..
عن أسباب انتشار الفساد في المجتمع .. اللى أنا سبب رئيسي فيه .
اعتدلت في جلستي متعجباً و أمسكت بذراع احسان وتساءلت ..
عارفة ازاى عارفه منين ومن امتى ؟
امسكت احسان يدى بأطراف أصابعها لترفعها عن ذراعها قائلة ..
الجنيّه قالت لى .. ولو مش مصدق ممكن تسألها بنفسك !
احسان .. احنا اتفقنا اننا نصارح بعض بكل حاجة بدون كذب .

قاطعتنى احسان قائلة .. انت اللى اتفقت مش أنا ..
ومع ذلك أنا مش بأكذب .. أنا فعلاً معايا جنيُه ..
بس مش بتتكلم عربى .. ثم أطلقت احسان ضحكتها وتابعت ..
بترطن بالروسى .. بس أنا خلاص بقيت أفهمها ..
وعلى فكرة بقى انت عاجبها موت وهتموت عليك ..
بس أنا اللي مانعاها عنك .. وهى اللى بتعذب فيك مش أنا .
أحسست ببعض الدوار في رأسي وكأنني مازلت داخل الكابوس .. حاولت الاسترخاء فلم اجد مكان أنسب ..
من أن استلقى بجسدى على الأرض .. وكان القمر بدراً ..
وفي منتصف مجال رؤيتي مباشرة .. وتأملت عيناى في بقاعة الداكنة التي أخذت تتهيأ لى في أشكال مختلفة ..
وجه الاسكندر الأكبر و الذي لم أراه من قبل .. أرنب يدق الهون .. وجاء صوت احسان يقول .. النهاردة يوم من الأيام النادرة ..
القمر في أقرب نقطة للأرض .. عايز تستمتع بجد بقي ..
جرب متعة التجرد في نور القمر .. غمض عينك .
نزلت إحسان إلى جوارى ونزعت حزام الروب بيديها ..
ثم وضعت رأسها على صدرى قائلة ..
انت طبعاً عارف النظرية الفينيقية اللى بتقول ان القمر ..
هو اللى بيسبب المد والجزر .. لكن تعرف بقى ..
إن نفس تأثيره على البحر .. بيحصل لنا في الدم ..
جرب كده إنك تعرض كل بشرتك للقمر ..
وترخي اعصابك خالص .. سيب نفسك خالص ..
كانت أظافر احسان تتحس ضلوعى ..
وتتلمس أصابعها حواف صدرى .. وتعتصره .
الى أن سمعت صوتها يعلو بجواري بلغة غريبة ..
ووجدتها فجأة تمتطيني دون أن تنزع ملابسها كلها ..
ثم دخلت في نوبة من الحركات العشوائية ..
ويرتفع معها صوتها بتلك اللغة الغريبة ..
و التي حاولت أن ألتقط منها كلمة واحدة دون فائدة ..
وتضاعفت انفعالاتها الى أن بدأت أستسلم معها للمتعة ..
وقررت مجاراتها فاندفعت يداى تعتصرها بقوة ..
وصوتها يرتفع الى حد الجنون ..
وتجرأت يدى وانطلقت لتنزع القطعة الوحيدة المتبقية ..
وإذا بإحسان تقترب بوجهها من وجهي وتسألنى بهدوء تام ..

انت عايزنى أنا ولا عايزها هى ؟
أجبتها فورا وتحت تأثير النشوة .. عاوزك انتى طبعاً .
نهضت احسان سريعا من فوق وقفزت في فستانها قائلة ..
طب دى كانت هى .
هى مين ! انتى عايزة تجننينى ؟ هكذا تساءلت ثم تابعت ..
طب عايزها هى .. اقصد عاوزكم انتوا الاثنين ..
ثم تمتمت .. ياخبر ابيض عليا وعلى اللى بيحصل لى !
جلست احسان على الشازلونج واضعة يدها على خصرها ..
ثم نظرت في عينى متسائلة .. بقى انت عايزها هى !
هى مين بس يا حبيبتى .. أنا عايزك انتى وبس .
هكذا أجبتها وأنا أضع الروب على جسدى وافتش عن السجائر .
وقفت احسان قائلة .. طب مش عاوز تشوفها ؟
أجبت وأنا أشعل سيجارتي .. ما أنا شوفتها .. دى مجنونة .
لا اقصد تشوف شكلها ؟ هكذا تساءلت احسان ..
وعلى وجهها ملامح الجدية التامة .. فأجبت ..
اشوفها اعمل بيها ايه .. أنا عايزك انتي ..
ومش عاوز اشوف غيرك .. انتى وبس .
توجهت إحسان إلى الداخل وهي تتمتم ..
بس أنا عايزاك تشوفها .. ثم توقفت عند الباب وتابعت ..
وهى كمان عاوزاك تشوفها .
نفثت دخان سيجارتى وأنا أنظر نحو القمر ..
وجاء صوت عقلى يحاورني .. مثيرة مش كده ؟
مين فيهم اللى مثيرة !
مين فيهم ده ايه انت هتستعبط ؟
أنا سمعت صوتها بنفسى ولغتها غريبة فعلا !
ممكن تكون بتعرف روسى والا المانى وبتصيع عليك ؟
وتصيع عليا ليه اصلا .. ما أنا كده كده هموت عليها !
جايز بتتمنع ياسيدى .. عاوزاك و مش عاوزه تقولها وش ؟
طب ماكملتش ليه .. ما أنا كنت رايح في داهية اساسا !
اهو ده بقى اللى مجننى .
انتهى حواري مع صوت إحسان جالسة بجواري ..
وأمامها كرة زجاجية لامعة .. وتسائلت .. كنت بتكلم مين ؟
أجبت بهدوء .. مافيش حد .. كنت باكلم نفسي .. خلاص لسعت .
على فكرة اللى كنت بتكلمه ده مش نفسك ..

وكان مفروض انك ماتسمحش انه يقول انى بأصيع ..
أنا مش بأصيع ودلوقتى تشوف بنفسك انت وهو .
سرحت متعجباً كيف علمت احسان بما دار بخاطرى ..
وبدأت أصدق أن لها قدرات غير عادية ..
وإذا بإحسان .. تضع وجهها أمام الكرة الزجاجية قائلة ..
دى بقى البلورة السحرية .. كل واحد فينا هيشوف الثانى ..
أنا من الناحية دى وانت من الناحية دى .
وضعت وجهي في الجهة المقابلة لها ونظرت ..
كانت الاضاءة المحيطة بنا تنعكس داخلها ..
واخذت ابحث عن وجه احسان واذا بوجه أوروبى ..
يظهر أمامى .. يختلف كل الاختلاف عن إحسان ..
شعر ذهبى .. وجه ناصع البياض .. عيون زرقاء كالسماء
واذا بها تبتعد وتقترب و تتلوى كالدخان تبرز مفاتنها ..
وتجذبني بسحرها .. ولولا أننى ما زلت أدرك ..
ان احسان تجلس في الجهة المقابلة مني ..
لنزعت الروب .. وقفزت داخل البلورة .
رفعت احسان رأسها وخبطت رأسى بأطراف أصابعها ..
وانفعلت قائلة .. ماتحترم نفسك شوية ..
اومال اذا مكنتش قاعدة قدامك ؟
رفعت رأسي ونظرت اليها فوجدتها غاضبة ..
فانتفضت من مكانى وتوجهت نحوها قائلاً .. بتغيرى !
أنا اسف حبيبتى .. أنا كنت فاكر انكم واحد .
ضيقت احسان عينيها قائلة لا ياخويا مش واحد .. اثنين ..
ولعلمك بقى أنا عارفة ان اللى فيه عيب مبيبطلوش ..
وانت زيك زى كل الرجالة مايملاش عينيكم الا التراب .
كان غضب احسان وانفعالها دليل حقيقي على غيرتها ..
فاحتضنتها من ظهرها و أنا اقبل رأسها قائلاً ..
انتى معاكى حق في كل كلمة قلتيها .. بس أنا فعلاً بأعشقك ..
وأوعدك من دلوقتى عمرى ما اطاوع نفسي ولا ابص لغيرك .
تابعت احسان قائلة .. طب يالا دورى أنا بقى ..
اقعد علشان اشوفك واشوف ايه اللى مخبيه عليا .
جلست وأنا انظر الى وجه احسان خارج البلورة ..
وأتأمل حسنها وجمالها .. ما أروع بريق عيناها ..
وشعرها الأحمر الداكن .. وتذكرت ملمس بشرتها ..

الذي وصفته سابقاً بأنه كملمس الزجاج المبلل .. المثير ..
فإذا كان هكذا ملمس كتفها .. فما بالك بما خفي و كان أعظم .
أطلقت العنان لخيالي فطاف على جسدها في جولة استكشافية ..
ثم لمحت طيفها يتراقص داخل البلورة .. فنظرت داخلها ..
كانت هذه المرة .. هى احسان .. بشحمها ولحمها..
صاروخ يا بنت اللذين .. يخرب بيت جمالك .. طب ايه ؟
وفجأة جاء صوت احسان يصيح بجواري .. جول
انتفضت برأسى من على كتف إحسان فوجدتها تقول ..
دخل فينا جول .. عماله أقولهم امسكوا نفسكم مافيش فايدة .
ثم نظرت تجاهي قائلة .. بس كويس انك نمت لك شوية .
كان الصداع قد شق رأسى في محاولة يائسة منه ..
أن يفصل بين الحلم و الحقيقة ..
وأن يفرق بين الواقع والأوهام .
وأن يحول دون اختلاط اليأس مع الأمل ..
لكن الحقيقة أن كل شىء في عقلى قد امتزج معه الصداع .

الحلقة السادسة والعشرون : *Shehabiat*
كانت يد احسان قد دخلت الى صدرها ..
عندما انتبهت أنني قد أمسكت رأسي بيدي وتساءلت ..
انت مصدع ولا ايه .. تحب تاخد حاجة ؟
نظرت بصعوبة نحو احسان وكأن لسان حالى يقول ..
لا والنبى بلاش انتى تجيبى لى حاجة من حاجاتك يا بتاعة وهيبة .
ولكن احسان كانت أسرع من اجابتى وأخرجت يدها من صدرها
ومعها قطعة من السولفان أخرجت منها شيئا ..
وفتحت فمي وهي تصيح .. ماتفتح بقك يا راجل ..
هو أنا هديلك سم .. ده الناس بتموت نفسها على جرام من ده ..
وانت بتتمنع وقافل لي بقك !
رفعت جفونى بأصابعى لأنظر الى وجهها فلم أجدها بجواري ..
وجاء صوتها من الداخل وكأنها تحدث أحدا ما قائلة ..
دلوقتى تقوم وتبقى زى الجن .. ده انت من ساعة ما أكلت ..
وانت نايم زى الفرخة الدايخة .. ثم تابعت بسؤالها ..
اوعى تكون نمت تانى ؟ لم أنبس بحرف ..
وكانت أفكاري مازالت عالقة فيما رأيته أثناء نومى ..
حتى وجدت وجه احسان أمام وجهي وهى جالسة على بطنى ..
ما انت هتقوم يعنى هتقوم .. هنا مش لوكاندة ياحبيبى ..

ثم رفعت ضحكتها حتى أيقظت حواسي فضممتها وتمتمت ..
أنا تعبان يا احسان .. أنا مش مضبوط .
انفعلت إحسان وهى تضع يدها على خصرها .. قائلة ..
نعم يا دلعدى .. لهو انت فهمت ايه .. ما قولنا ماتلمسنيش .
قاطعتها و أنا احتضنها أكثر هامسا .. لا مش قصدى كده ..
أنا تعبان في دماغى .. أطلقت احسان ضحكة
تفوقت بصداها على ضحكة سونا .. وتابعت قائلة ..
انت مش بس تعبان في دماغك .. ده انت ضايع ..
معلش عايزة اسألك سؤال .. انت تعاطيت حاجة قبل ما تيجى ؟
كانت شفتاها تبرقان بضوء وردي فاتح .. وكانت نفسى تأمل ..
أن تتذوقها .. وكانت رئتاي تحصد زفير هواءها و تستنشقه .. ورغما عنى أقتربت أكثر فأكثر
وعندما لمحت احسان ..
تغلق عيناها .. استجمعت كل ما أوتيت من شجاعة ..
وحاصرت رقبتها بيدى .. ثم جذبتها نحوي بقوة ..
لتلتقط شفتاي طعم الملبن الأحمر فاعتصرتها بشفتاي ..
مضغتها بأسناني إلى أن أفقت على صوت المكسرات ..
وصوت إحسان يقول .. الملبن الاحمر ده غير بتاع حلاوة المولد ..
ده بيتعمل لى مخصوص .. بيتحط عليه الميثامفيتامين ..
بس كميه صغيره اوى ماتأثرش في الطعم .
كانت يدى هى الحل الأقرب لما يحدث في رأسي ..
فأخذت أضرب وجهي لعلي أفيق ولو لثواني ..
أتبين فيها الفارق بين الواقع والخيال ..
إلا أن إحسان أوقفت لطماتى .. واضعة يديها على وجهي قائلة .. ايه بس في ايه .. ماتقولى مالك بس .. فيك ايه يا اسمك ايه ؟
تانى اسمك ايه ! هكذا صحت في احسان واعتدلت في جلستى ..
وفتحت خزانة أفكارى وألقيت مابها على مسامع احسان ..
قلت لك اسمي عادل .. عادل الشريف .. وانتى قلتى لى عارفة ..
وعارفة كمان انى جاى اعمل تحقيق صحفي عن المفسدة دى ..
وطلعتي ممسوسه وعليكى جنيه روسيه بترطن بلغة غريبة ..
وخليتينى شوفتها في البلورة المسحورة وانتى غيرتى منها جدا ..
لما عجبني شعرها الأصفر وجسمها وسرحت في رقصها ..
وكمان طلعتى تاجرة مخدرات .. بس اتفقنا انك تبطلى ..
و أنا اللي ادور الشغل ونتجوز ..
ده غير تجارة الأعضاء والطيارة اللى مستنية البضاعة ..

اللى هى كلاوى سليم .. لا .. دى كانت مفروض كليتى أنا ..
كنتى عاوزه تقتليني بمنتهى البساطة لما عبده ربنا ينتقم منه
أخد باله انى شايل كلية وقالك لو اخدتوا الثانية أموت ..
وشوفت الكاميرات في الاوضه اللى جوه كمان ..
اللى بتراقبى بيها كل اللوكاندة .. ومع كل ده ..
أنا مش قادر أمنع نفسى انى احبك .. ولا قادر ابعد عنك .. هتجنن.
لم تقاطعنى احسان نهائيا .. بل كانت تنظر الى بإنصات شديد ..
وما أنت توقفت عن الكلام .. حتى لمست احسان جبينى بيدها ..
وتمتمت .. مش سخن ولا حاجة اومال بتخرف ليه بس ..
ثم تنهدت واسترسلت طيب ياسيدى اذا كان اللى بيتكلم مجنون ..
خلى المستمع عاقل .. واحدة واحدة كده .. نطلع الكلام المعقول ..
يعنى افهم من كلامك ان اسمك عادل وانك صحفي ..
وانك جيت هنا مخصوص علشان تعمل تحقيق صحفي ..
عن المفسده اللى بتحصل هنا في اللوكاندة ..
يعنى القطر مافاتكمش ولا حاجة ..
وطبعا بعد ماتعمل التحقيق بتاعك تمشى وتنسانى ..
وتقول دى كانت شغلانة وخلصت ..
يعنى ولا حبيتنى ولاهتحبنى وكل ده كان تمثيل.
حاولت أن اقاطع احسان بقولى .. لا أنا بحبك فعلا بحبك بجد .
لكنها تحولت الى حالة من العصبية قائلة .. بتحبنى ازاى ..
ده انت لسه حالا عمال تتغزل في جمال الجنيه الروسية ..
ثم هدأت قليلاً قائلة .. بص ياعادل ..
اذا كان على التحقيق الصحفي .. مافيش مشكلة ..
ده أنا اساعدك انك تعمله وتتشهر واسمك يبقى زى الطبل ..
اما بالنسبه للكاميرات والمخدرات فأنا لا عندى كاميرات ..
ولا بأتعامل في المخدرات وحتى اللوكاندة دى متخصنيش اساساً .
اللوكاندة دى انفصلت هي والفندق عن البرج من سنين طويلة ..
واللى فضل لى من ميراث ابويا هو الدور ده والمطعم ..
علشان كده عملت المدخل بتاعى من جوه المطعم ..
ولما شوفتونى تحت في مدخل اللوكاندة وسألتكم عن البطايق ..
كنت قاعدة منتظرة العمال بتوع تصليح الاسانسير ..
حتى لو أخدت بالك كان في دوشة على السلم بتاع اللوكاندة ..
وكنت واقفة معاهم فوق .. لحد ماسمعت ان صاحبك وقع ..
ودخلت ساعدته لأنى كنت في رابعة طب قبل ما اسيب الكلية ..

بعد وفاة ابويا .. ولسه عندى فكرة شوية عن الاسعافات الاولية .
كانت كلمات احسان تثلج صدري و أنا استمع لها بكل جوارحي ..
حتى كشفت الروب عنى قائلة .. ثم فين الكلية اللى ناقصة دى !
ما انت زى الفل ومفيش اى اثر لعمليات !
واذا بها تهب واقفة وتضع يدها على خصرها قائلة ..
وبعدين اذا كان على الشعر الأصفر ياسيدى ..
عندى باروكة صفراء.. تنفع .. ثم اسرعت الخطى الى الداخل ..
بينما دفعت نفسي الى النهوض وتوجهت نحو الغرفة المجاورة ..
وفتحتها لكى يطمئن قلبى .. لم يكن هناك شاشات كاميرات ..
وإنما كانت هناك تلال من الأموال و العملات الأجنبية ..
وبعض الصناديق الخشبية .. فأغلقت الباب ..
وعدت سريعا الى مكانى ..
وإذا بإحسان تخرج واضعة باروكتها الصفراء ..
وترتدى بدله رقص سوداء مزركشة .. بارز منها صدرها ..
يكاد يسقط منها دون أن تمسسه يد .
وتفاجئت عندما أمسكت إحسان بعصا خيزران ..
وضعتها أمام وجهي قائلة .. عينك لخزقهم لك ..
يابتاع الجنيه الروسى .
ثم ضغطت احسان على زر تشغيل الموسيقى ..
وإذا بموسيقى التت تعبأ المكان .. ثم رقصت احسان .
كانت احسان ترقص وكأنها تتحدى شيئا ما ..
أو شخص ما .. أو جنيّة ما بخيالى .. حتى فازت بالتحدي .
مع اول حركاتها بالعصا وهى تديرها حولها بسرعة ..
وهزات خصرها وأرجلها جعلتنى اعتدل في جلستى ..
وأشعلت سيجارة وتعالت عبارات التشجيع ..
يالعبك يا احسان .. ياحلاوتك يا احسان .
برقت عيناها واندمجت أكثر وازداد معدل دوران العصا ..
وتضاعفت هزات جسدها اللولبية ..
إلى أن توقفت مع بطء الموسيقى لتضع العصا حول رقبتى ..
وهي تجذبني نحوها إلى أن أصبح وجهي امام صدرها ..
كنت أشم منه رائحة الفل وارى فيه لمعة السحر ..
فتركت وجهى يسقط بينهما .. واستنشقتهما بكل حب .
حيلك .. حيلك .. سكتنا له دخل بمنقاره والا ايه ..
كانت هذه جملة إحسان وهى تدفع رأسى بأصابعها ..

ثم وضعت العصا جانباً قائلة .. عارف احنا عيبنا ايه !
عيبنا ان العاطفة بتسوقنا .. اللى بنحسه بنعمله ..
بدون تفكير وبدون تنظيم .. وطبعا بدون تخطيط من الأساس ..
بس عارف بقى ان عيبنا ده هو احلى حاجة فينا !
العشوائية دى الدول المتقدمة بتحسدنا عليها .. عايشين براحتنا ..
لا قانون قادر يمنعنا ولا التقاليد ولا الأعراف .. ولا حتى الاتفاق .. حتى كلامنا بنرجع فيه لما يبجى لنا مزاجنا ..
احنا يا راجل انت .. مش اتفقنا ماتلمسنيش ؟
كنت مازلت متورطاً في تفهم فلسفة احسان ..
وكانت عيناى مازالت في وضع التلبس على صدرها .
وصرخت باعلى صوتى .. مش قادر .. خلاص تعبت .
توافقت جملتى زمنياً مع لحظة ايقاف احسان للموسيقى ..
وسمعت صوت الباب الخارجي ينفتح ويدخل عبده قائلاً ..
الراجل بيقولك تعب خلاص .. وتبعته سونا بضحكتها الرنانه ..
بينما انطلقت احسان الى غرفتها وهي توبخ عبده قائلة ..
انتوا ازاى تطلعوا كده من غير ماترنوا عليا ..
أجاب عبده وهو يطفئ سيجارته في الأرض بقدمه قائلاً ..
نرن عليكى .. ما أنا بقى لى سنين بأرن ومافيش حد بيفتح لى !
هو انتى مع المزيكا دى هتسمعى حد ولا هتحسى بحد .
لم تسمعه احسان .. بينما لملمت الروب على جسدى سريعاً ..
وجلست اشعل سيجارة وأنا انظر الى سونا ..
التي كانت تتشدق بلبانتها ..
وتتفحص المكان بعينيها وكأنها تستكشف ..
ما قد حدث وما لم يحدث .
تابع عبده حديثه دون أن يكترث لوجودى قائلاً ..
الناس وصلت تحت .. لا وايه جايين مع بعض في نفس الوقت ..
الراجل دماغه والف صرمة أن التسليم يكون هناك في الموقع ..
وسعادة السفير راكبه عفريت اسمه نيفر ..
عمال يعيد ويزيد فيها .. و أنا عمال ارن عليكى ..
علشان ما أسيبهمش تحت لوحدهم ويرغوا مع بعض ..
وانتى لامؤاخذة عايشة مع الشيك شاك شوك .
كانت عينا عبده الضيقتان تحدقان في عينى مع جملته الأخيرة ..
فخرجت إحسان في عبائتها السوداء قائلة .. خليهم يطلعوا .
نزلت الجملة على اذن عبده كالرعد فقال .. يطلعوا فين !
وسيدنا لافندى ابو روب ده حاتوديه فين ؟

جلست إحسان وهى تضع احدى قدميها على الأخرى قائلة ..
مش أنا اللى هقابلهم .. المعلم عادل اللى هيخلص الصفقة دى .
عادل مين عدم المؤاخذة .. هكذا أجاب عبده ..
وهو يخرج سيجارة جديدة ثم تابع قائلاً .. ماينفعش .
أنزلت احسان قدمها بعصبية وهي تصيح ..
عبده متنساش نفسك .. اللى أقول عليه يتسمع ويتنفذ .
أسقط عبده عينيه في الأرض وأومأ برأسه قائلاً ..
اللى تؤمري بيه يمشى .. ثم دفع سونا أمامه ..
وخرج وهو يتمتم عادل عادل و أنا مالى .. ياكش تولع .
كنت أنظر على وجه إحسان الذي كان يحتفظ بمظهر الجدية
وسألتها بصوت هادىء .. انتى ايه اللى خلاكى تقولى كده ؟
ردت احسان بانفعال .. أقول كده .. لا ده أنا هنفذ مش هقول ..
مش انت اللى طلبت إن إنت اللى تدور الشغل ..
اتفضل دور بقى .. ثم ضحكت حتى أسمعت ضحكتها الوجود .
والحقيقة أن من أروع ما أعجبنى في احسان..
هى قدرتها على التحول اللحظى ..من الانفعال إلى الضحك
ومن الجد إلى الهزل .. ومن المعلمة إلى الأنثى .. والعكس .
أخذت أنظر إلى الروب الحريمى الذي أرتديه ..
وسألت احسان .. ياترى حأقابلهم بالكومبين بتاعى ده ؟
لم تتمالك احسان نفسها من الضحك وهي تجيب ..
وايه يعنى ما انت كنت قاعد بيه قدام عبده وسونا ..
ثم هو ده اللى شاغلك .. ده انت حتى ما سألتش عن الصفقة .
خد بالك .. أنا مايعجبنيش الراجل اللى تهمه المظاهر بس ..
المعلم لازم يكون معلم من جوه ومن بره ..
يعنى مالى مركزه .. أصل ثوب الرجال غالى ..
ودى ناس جامدة لو نخيت قدامهم .. يبقى على الدنيا السلام ..
تبقى لا صفقة ولا جوازه .. أنا جوزى لازم يكون وحش كده .
وقعت كلمة جوزى على اذنى كالموسيقى ..
فقاطعت احسان قائلاً .. تانى كده الحته دى !
رفعت احسان طرف حاجبها قائلة .. حته ايه ..
احنا مبنشتغلش بالقطعة .. احنا بتوع جملة ..
تحب أعيد لك الجملة ؟ ثم تبعتها ضحكتها الرنانة .
نهضت من مكانى سريعاً واقتربت من وجه احسان وهمست ..
أنا بعشقك عشق .. ضحكتك .. خفة دمك .. بأحبك .

خرجت كلمة بأحبك مدوية .. فاجأت احسان ..
فوضعت يديها على خديها خجلاً .. ثم تلفتت حولها ..
وكأنها تخشى أن يكون أحدا قد سمعها .
فتابعت قائلاً .. حيث كده بقى ادينى المسدس بتاعك ..
أعمل بيه منظر قدام الناس .
نظرت إحسان في عيني متسائلة .. منظر !
بعد كل اللى أنا قلته ده وتقولى تعمل منظر ؟
يعنى ياربى من بين كل الرجالة اللى في الدنيا ..
قلبى مايحبش غير الكتيان ده ؟
لم التفت الى كلمة الكتيان نهائيا ولم أسأل عن معناها ..
بينما دخلت كلمة الحب .. الى اعماق قلبي ..
فأسرعت نحو احسان وألقيت نفسي في أحضانها .
ولحسن الحظ لم تقاوم هذه المرة بل ولم تنطق ..
لكن كان من نطق هو عبده .. ربنا ينتقم منه ..
عندما صاح قائلاً .. الناس بره يا معلم عادل .
استعادت احسان ذاتها سريعا وردت قائلة ..
ما تخليهم يستنوا بره .. سيد الناس لسه حا يغير هدومه.
كنت مرتبكا إلى حدٍ بعيد فلم أتذكر أين وضعت ملابسي .
وأخذت أبحث عنها ما بين الرووف والغرفة ..
وأخيراً وجدتها في الحمام .. وارتديتها سريعاً وأنا أتساءل ..
يا ترى .. تطلع ايه الصفقة !
واذا بإحسان تنقر بأصابعها على كتفي وهمست قائلة ..
التي .. شيرت .. مقلوب يا سيد المعلمين ..
وابقى اقفل التليفزيون .. بتاع البنطلون .
كنت أشعر بحال البهلول حرفياً .. لكن وجه احسان ..
كان يقول غير ذلك .. كانت الفرحة تملأ عيناها ..
وهى تضع المسدس في جنبى قائلة .. خليك ناشف معاهم ..
واذا حد منهم وجه لى كلام .. قول له الكلام معايا أنا ..
المعلمة مالهاش علاقة بالشغل .. عاوزاك جامد كده ..
وعايزة قلبك يبقى زى الحديد .
كنت مازلت اهندم ملابسي وسألت احسان قائلاً ..
هو الكلام على ايه !
اقتربت إحسان من وجهى واضعة قبلة خفيفة على خدي
ثم همست في اذنى .. آثار .
ثم تابعت بصوت مسموع .. الفلوس جوه في الاوضه ..

خلصوا اهلا وسهلا مش عاجبهم .. الباب يفوت جمل .
كنت هذه المرة أوقن أنه نفس الحلم الذي أفيق منه ..
على صوت إحسان وهى تصيح .. جول .
فأخذت أهز رأسى بقوة لأستيقظ .. لاحظت ذلك احسان ..
فاقتربت وتساءلت .. ايه الصداع تانى .. أجيب لك حاجة ؟
أجبت بسرعة البرق ..لا مش عاوز حاجة أنا زى الفل ..
قولي لي بس السعر كام اللى نوافق عليه والتسليم يبقى فين ؟
أجابت احسان بهمس لا أكاد أسمعه .. بص هو السفير مفروض ..
انه مايعرفش احنا هنشترى بكام علشان نعمل فرق سعر ..
ولا كان مفروض انه يعرف أصحاب البضاعة ..
لكن الحظ بقى انهم وصلوا في وقت واحد .. فانت بقى ..
خليك ناصح وما تتكلمش في الفلوس خالص ..
علشان السفير بيفهم عربى .. وبيتكلم عربى كمان ..
ثم أشعلت سيجار وضعته في فمي وأشارت لى أن أجلس ..
في مقعد المنتصف وأمرت عبده قائلة .. خليهم يتفضلوا .
جلست احسان على الأرض بجانبى ثم أمسكت بإحدى قدماي ..
وأخذت تبرد أظافري وكأنها في عالم آخر ..
حاولت أن أمنعها قائلاً .. ماينفعش كده قدام الناس ..
طب استني لما يمشوا وابقى إقطعى صوابعى لو عاوزه .
اشارت لى احسان وهى تضع اصبعها على فمها بأن أصمت .
لكننى لم أستطع .. وتابعت .. طب أقف اسلم عليهم ؟
أجابت احسان بهدوء شديد دون أن تنظر نحوي قائلة ..
هما مش حا يسلموا ثم مالكش دعوة بيا أنا .. ركز معاهم ..
اعتبرنى مش موجوده .. ثم رفعت طفاية السجاير بيدها ..
لألقى رماد السيجار وعندها دخل عبده يصطنع السعال ..
ومن خلفه سونا تكتم ضحكتها واتجهت الى المطبخ مباشرة ..
ثم دخل رجل أحمر البشرة ازرق العينين يرتدي بدلة سوداء ..
توجه إلى المقعد المواجه لى مباشرة واتخذ وضع الجلوس ..
واضعاً قدمه على الأخرى وهو يهز رأسه بالتحية نحوى .
وأدركت من هيئته أنه السفير .. و تبعه شاب قوي البنية ..
يرتدي بدلة زرقاء .. خمري اللون ثم وقف على يساره ..
يبدو وكأنه حارسه الخاص أو المترجم أو كلاهما .
ثم دخل رجل قصير القامة ممتلىء البدن أصلع الرأس ..
يرتدي بنطلون من الچينز القديم وتيشرت مونتيجو ..

وألقى السلام .. ثم جلس في المقعد المجاور للسفير ..
وتبعهم رجل تبدو عليه مظاهر العمودية .. ألقى السلام ..
ولملم عباءته وجلس بجوار الرجل الأصلع ..
تقدم عبده نصف خطوة أمامهم مشيرا تجاهي قائلاً ..
شوفوا بقى ايه مشكلتكوا وكلامكوا مع المعلم عادل ..
هو الكل في الكل هنا والكلمة كلمته والشورة شورته .
رفع الرجل الأصلع رأسه نحو عبده قائلاً .. أهم حاجة ..
تكون الفلوس فلوسه .. ثم قهقه وهو يتلفت حوله ..
يبحث عن من يشاركه الضحك .. فلم يجد .. إلا أنا .
عندها نغزت إحسان قدمى بالقصافه فابتلعت ضحكتى .
ثم بدأ العمدة كلامه قائلاً .. يا ست لحسان ..
احنا جولنا المرة اللى فاتت عاد .
ضغطت احسان بقوة على أصابع قدمي .. فقاطعته قائلاً ..
وجه كلامك ليا أنا ياشيخ العرب .. احنا معندناش كلام مع ستات.
تابع العمده كلامه قائلاً .. عچيبة دى .. ما كانت عم تتكلم ..
ده احنا لينا ييچى أربع سنين ما نتكلموشى غير عماها .
فقاطعته مرة أخرى قائلاً .. كل وقت وله آذان ياشيخ العرب ..
دلوقتى بقى ليها راجل .. أظن شايف هى بتعمل ايه دلوقت !
كانت ضغطة احسان هذه المرة مؤلمة .. لكننى تماديت قائلاً ..
وبعدين انت لك الشغل عدم المؤاخذة .. والا ايه ياعم عبده ؟
ألقت احسان قدمى وتناولت الأخرى كإشارة لم أفهمها .
فتابعت و أنا اقلد لكنته قائلاً .. خلونا في المهم ..
جولتوا ايه بجا المرة اللى فاتت عاد ؟
تابع العمدة قائلاً .. جولنا عاوزين نسلم مجفول ..
احنا ماجادرينش على الميه .. والباب جدامهم وعليه الكلام ..
يبجا احنا ايه اللي يخلونا نفتحوا .. والميه تغرج الدنيا ..
مايفتحوا هما بطريجتهم .. ولا كلامى مش لادد عاد .
عندها تدخل الرجل الأصلع قائلاً .. بص يا عادل باشا ..
انت طبعا كلامك يمشي وكل حاجة .. بس اسمح لى ..
أوضح لحضرتك شوية حاجات صغيرة كده ..
احنا فعلا وصلنا للمكان .. وكشفنا اللوحة ..
وإتأكدنا منها كمان وصورناها .. بس في شوية ميه ..
واصلين لحد نص الباب تقريباً .. يعنى لو فتحنا ..
الميه هتدخل جوه وممكن يرجعوا يقولوا لنا المكان بايظ ..

ده غير بقى ان مع الفتح بيبقى فيه فيروسات ..
وثعابين وحشرات وبلاوى ..كل ده مع الميه حيبقى صعب ..
واحنا مش عاوزين حد يتأذى .. وندخل في مشاكل مش قدها ..
وإذا كانت الصور مش عاجباهم ولا الفيديو بتاع المكان ..
ييجوا يشوفوا المكان بنفسهم .. ده بعد اذنك طبعا .
لم يكن لدي شك أن السفير فهم كل ما قاله القصير المكير ..
من اتساع ابتسامته مع جملة يشوفوا المكان بنفسهم ..
وكنت قد تفهمت أن مهمتنا هى الوساطة بين الطرفين ..
فإذا تجاوزنا أحدهما .. أصبحوا على تواصل مباشر ..
وخرجنا من المولد بلا حمص .. وهذا ما كانت تقصده احسان.
نظرت نظرة سريعة نحو احسان التي كانت منهمكة فعليا ..
وكأنها لا تصطنع الانشغال بل كانت مشغولة فعلياً ..
وكان مفترق صدرها من زاوية رؤيتى .. لامع و ناعم .
الا أن كلمات عبده أفاقتنى عندما صاح قائلاً ..
قلت ايه يامعلم عادل .. يروحوا يشوفوا المكان ؟
أجبت بهدوء على عبده قائلاً .. وماله يروحوا يشوفوا ..
ويعاينوا .. ويدفعوا ويشيلوا كمان .. هو في ايه !
انتوا عاوزين الناس تشترى سمك في ميه !
يعنى هما يعرفوا منين ان الحاجة موجودة جوه فعلا ..
مش جايز منهوبة قبل كده من سنين السنين ..
احنا مابنغفلش حد .. وشغلنا على عينك ياتاجر ..
واللى عاوز يشتغل مع أنا .. يشتغل بالأصول ..
الأصول متزعلش حد .. وثوب الرجال غالى ..
والا ايه ياشيخ العرب ؟ أومأ العمده برأسه ..
فأردفت قائلاً .. وياسيدى إذا المشكلة في الميه ..
هاتوا طلمبات غاطسة تشتغل ليل ونهار لحد ما تفتحوا ..
وإذا كان على ثمنها .. حسابها عندى .. انما الاصول اصول .
صفق السفير بيديه وهو يقول .. اكسلانت ..
ثم وجه كلامه نحو القصير المكير بجواره قائلاً ..
انتي يفته .. يصور .. المألم آديل .. يستلم .. يدفأ ..
من الفلوس اللى بتاع الهوه ..ثم ضحك السفير ..
ضحكة عالية اتبعها بقوله .. مألم آديل زكى كتير ..
عاوزه كام مونى ؟
لم أنتظر أن تغمزني احسان وبادرت بالاجابة قائلاً ..
لا فلوس ايه ياجناب السفير هو احنا لسه شوفنا حاجة ..

نشوف الاول ايه اللى موجود علشان نقدر صح ..
والا احنا حانبيع سمك في ميه .. ثم قلدت لكنته قائلاً ..
وموش ها نكتلف مع بعض يا خواجة .
ضحك السفير مرة أخرى وتابع قائلاً ..
اهنا كان لازم عرفتوا بعض من زمان ..
ثم نظر نحو الشاب فسحب الكرسي للخلف ..
ونهض السفير واقترب نحوي ثم مد يده للسلام .
رفعت احسان يديها عن قدمى سريعاً ..
ونهضت وشددت عليه يده .. ثم نظر نحو احسان قائلاً ..
مألمه اهسان .. دلوكتى نكدر نكول الف مبروك .
هزت احسان رأسها بينما دخلت سونا بأكواب العصير قائلة ..
طب مش حا تشربوا الشربات بتاع المبروك دى يا مستر ..
ثم وجهت عيناها نحو الشاب المجاور للسفير قائلة ..
طب انت يا حليوه انت خد بل ريقك علشان المشوار ..
نهض العمدة من مقعده متمتماً .. اللى تشوفه يا معلم عادل ..
وانت يا باشمهندس تسأل وتشوف موضوع الغاطس ده ..
والفلوس عندى آنى .. على رأى عادل بيه الاصول اصول .
ألقى العمدة السلام ثم خرج وتبعه الباشمهندس ..
وخرج خلفهم عبده وإذا بسونا تضع كفها على صدرى قائلة ..
يخليك لشبابك يا معلم عادل .. عليا النعمة اسد ياخواتى .
جاء صوت إحسان من أسفل مخاطباً سونا بقولها ..
طب شيلى ايدك بدل ما أقطعها لك ياروح خالتك ..
وأطلقت سونا ضحكتها المعهودة ..
ثم وضعت قبلة على أصابعها .. وأشارت بهم تجاهي ..
ثم انصرفت وأغلقت الباب خلفها .. وإذا بإحسان ..
تصيح وهي تصفق بيديها .. جول .

الحلقة السابعة والعشرون : *Shehabiat*
كانت صيحة احسان هذه المرة حقيقية ..
أدركت ذلك عندما قفزت على صدري واحتضنتني قائلة ..
انت جبت جول يا سيد المعلمين .. ده انت طلعت زعامة ..
تصدق .. أنا من هنا ورايح مش هقولك غير يا زعامة .
لم أخفي سعادتي من كلمات احسان وكانت سعادتي الأكبر ..
بأننى في عالم الواقع و لست في دنيا الأحلام ..
فتماديت في سعادتى واعتصرت ضلوعها ..

حتى سمعت طقطقة .. صاحبتها آهاتها المثيرة ..
فرفعتها بيدى وانطلقت بها نحو الغرفة وهي تضحك وتصيح ..
طب الباب اللى بره .. اقفل الباب اللى بره يا زعامة .
كادت موافقة احسان الضمنية تصيبني بالجنون ..
وألقيتها على السرير وهي تضحك قائلة .. عليا النعمه وحش .
هرولت سريعاً وأنا أخلع ملابسي وأغلقت الباب الخارجى ..
وإذا بوجه عم عبده ربنا ينتقم منه أمامى ..
يضرب بكفيه على الزجاج .. ويتلفت حوله ..
وكأنه يفر من وحش كاسر .. فأسرعت نحو الحمام ..
والتحفت بالروب ثم عدت وفتحت الباب ..
الذي دخل منه عبده بسرعة وأغلقه خلفه قائلاً ..
مصيبة .. مصيبة يا معلم عادل .. رحنا في داهية .
تداخلت المؤثرات في نفسى عندما سمعت عبده ..
يعترف بأننى صرت المعلم رسمياً حتى بينى وبينه ..
وفكرت أن أستغل هذا الخضوع بأمره بالانصراف ..
لكى أعود الى جنتى التي تفتحت زهورها لأول مرة ..
ولم أكن قد استوعبت ما قاله في صراخه ..
إلا أن صوت إحسان أتى من خلفي قائلة .. في ايه ياعبده ؟
نظرت نحو إحسان فوجدتها وضعت الروب على صدرها ..
لكنه لم يكن كاف لستر المرمر المتلألئ من جسدها .
فصرخت فيها قائلاً .. ادخلى جوه انتى ايه اللى طلعك كده ؟
دخلت احسان واستترت خلف الباب قائلة .. عاوزه افهم في ايه ؟
واسترسلت قائلاً .. أفهم وأبقى أفهمك إنما ماتطلعيش كده ابداً .
وقته ده بالذمة .. بقولك في كبسه على اللوكاندة والفندق ..
وقعت كلمات عبده على أذنى وقع الكابوس .. وأنا أتمتم في نفسي .. حالاً احسان تقول جول وأقوم أصحى .. اللى بيحصل ده مستحيل .
ثم تابع عبده متسائلاً .. حنعمل ايه يامعلم عادل ؟
استكملت حوارى الداخلي في نفسي .. ربما ما زلت أحلم ..
أو ربما اتعرض لاختبار افتعلته احسان بالاتفاق مع عبده ..
وفي الحالتين ليس هناك داعي للهلع .
تماسكت وغلظت صوتي وأنا أنظر في عين عبده متسائلاً ..
حد منهم شافك وانت داخل من باب المطعم أو الاسانسير ؟
أجاب عبده سريعاً .. لا يا معلم أنا اللى شفتهم ..
كانوا واخدين فهد وسليم واثنين من النسوان .
وجهت السؤال أوضح إلى عبده .. يعنى باب المطعم ما اتكشفش ؟

أجاب عبده سريعاً .. أنا كنت راجع من بره وشفتهم ..
دخلت جرى على المطعم وشديت العتلة بتاعة الأمان ..
يعنى الاسانسير مش هيقف غير في البدروم خلاص .
كانت احسان قد ارتدت ملابسها .. على مايبدو لإتقان الخدعة .
وأعاد عبده سؤاله مرة أخرى .. هنعمل ايه يا معلم عادل ؟
فأجبت وأنا ارتدى قميصي وأضع السلاح في جنبي قائلاً .. هنعمل كل حاجة الا انهم يمسكوا احسان .. على جثتى .
ثم تابعت متساءلاً .. البدروم ده له مخرج على بره ؟
أجاب عبده بسرعة قائلاً .. له مخرج على شارع جانبى .. بس ممكن يكونوا محاصرين البرج كله .
قاطعت عبده قائلاً .. اسمعني كويس يا عبده .. تاخد احسان .. وتنزلوا البدروم و تاخدوا معاكم .. كل الحاجات المهمة اللى هنا .. بس مفيش خروج من البدروم .. غير بعد ما تسمعوا صوت ضرب نار.
انتبه عبده وبرقت عيناه متساءلاً .. ضرب نار ؟
أيوه .. أنا حأطلع على السطح .. وأضرب نار .. على الشارع اللى فيه الباب الرئيسى .. علشان كلهم يتجمعوا .. وساعتها تخرجوا من الشارع الجانبى..
تركبوا بسرعة وتطلعوا على آخر شارع الهرم ..
وهناك تدخل أى محل وتسأل على واحد اسمه عم دهب .. قول له أنا جاى لك من طرف شهاب .. وهو هيتصرف .
جحظت عينا عبده وهو يسأل .. شهاب ! انت اسمك شهاب ؟
أجبت عبده وأنا أتفحص ذخيرة السلاح قائلاً .. لا دى أمارة .. واسمع الكلام وانجز مافيش وقت للأسئلة .
وضعت احسان يدها على كتفي متساءلة .. للدرجة دى ! انت بتحبنى لدرجة انك تضحي بمستقبلك علشانى ؟
وعلى الرغم من أنى كنت أدرك .. أن لحظة صياحها جول ولحظة واستيقاظي قد اقتربت .. لكننى أجبت بصدق قائلاً .. لا طبعا .. أضحي بمستقبلي .. في حالة ان ضرب النار ينجح .. لكن لو محصلش هضحى بعمرى كله ..
وارمى نفسى من فوق السطح وأنزل قدامهم .. علشان أضمن إن طريقك إنتي يبقى أمان .
ارتمت أحسان في احضانى لأول مرة بإرادتها الكاملة .. واستنشقت عطرها حتى تشبعت رئتاي ..

وإذا بها تهمس في أذني .. بحبك يا زعامة .
زلزلت كلمة الحب قلبى حتى تمنيت ألا يكون حلماً ..
حتى وإن كلفني الواقع حياتي ثمناً لنجاة إحسان ..
وهمست لها قائلاً ً .. أنا كنت بدأت اشك في نفسى ..
وكنت قربت اصدق أني ما بأعرفش أحب ..
كنت خلاص اقتنعت اني ما يملاش عينى الا التراب ..
لكن انتى ملكتى عقلى و قلبى وعينى .. وحبيتك ..
و بقيتي انتي وبس .
قاطعنا عبده وهو يحمل على ظهره حقيبتين قائلاً ً ..
من غير مؤاخذة يا معلم .. انت مطمن من ناحية عم دهب ده ؟
وضعت يدى على كتف عبده قائلاً ً ..
اللى يعرف ربنا ما تخافش منه .. خاف من اللى مايعرفوش .
فجأة أسقط عبده الحقيبتين قائلاً ً .. التربـاس !
أعادت احسان هى الأخرى كلمة عبده .. صحيح التربـاس !
فتساءلت قائلاً ً .. ايه .. مخرج البدروم له تربـاس من بره ؟
أجابت احسان ولمعة الفرح في عينيها قائلة .. لا من جوه .. بس !
تساءلت مرة أخرى قائلاً ً .. بس ايه ؟
أجاب عبده وهو يسحب المسدس من جنبي قائلاً ً ..
بس التربـاس عالي ولازم اللى يفتحه يكون طويل زى حالاتك ..
ثم تابع وهو يتمم على الذخيرة قائلاً ً .. البدروم ده ..
مافيهوش غير خط انتاج الحبوب المخدرة ..
وكان المعلم جايب صيدلي قصير زى حالاتى ..
هو اللى بيغذى الماكينة .. وكان عامل تربـاس المخرج ..
عالى وعفي علشان ما يقدرش يفتحه ويخرج ..
غير لما هو ينزل يفتح له بنفسه .. ورغم إن الصيدلي ده ..
كان بياخد ستلاف جنيه في الساعة .. وكان بيشتغل الليل كله ..
لكن بعد ما الفلوس جريت في ايده وشبع ..
راجع التركيبة اللى بتتعمل منها الحبوب واكتشف ..
أنها تهلك الكبد بعد خمس سنين .. واللى بياخدها يموت ..
وقال مش عايز أشتغل .. لكن كان خلاص عرف مكان البدروم ..
قام المعلم دس له مخدرات .. في الصيدلية بتاعته .. وبلغ عنه ..
الصراحة المعلم كان ناوي يأدبه كام يوم ويطلعه يكمل شغل ..
لكن المعلم مات قبل ما يخرجه ومن ساعتها وهو في السجن ..
ومن وقتها مفيش حد بينزل البدروم نهائى .. انزلوا انتوا ..
وأنا اللي حأطلع فوق السطح أعمل المنكش وأضرب نار .

ولو انى عارف انى لو رميت نفسي من فوق السطوح ..
مش حا تكلف خاطرها تترحم عليا .. بس معذورة ..
أنا والمعلم أبوها كنا سبب كل اللى هي غرست فيه ..
إنما هى ملهاش ذنب في حاجة ولا شاركتنا في غلط ..
خد بالك منها دى غلبانه و قلبها زى اللبن الحليب .
مد عبده يديه داخل إحدى الحقائب وكبش من الدولارات ..
ودفسهم في جيوبه ثم سحب أجزاء المسدس ..
وتوجه نحو باب الرووف .. ثم التفت قائلاً .. انت لسه واقف ..
ما تنجز بقى قبل ما أرجع في كلامى ..
وابقى اطفي التليفزيون ده قبل ما يجيبوا جول .. وتصحيك .
كنت اتوقع لحظة الاستيقاظ وأنا أرفع الحقائب وانقلها الى الممر الخارجي لكن ضغطة احسان على مقبض فتح الاسانسير أجبرنى على الاستمرار في مجاراتها فدفعت الحقائب داخل الاسانسير ودخلنا ولم ينبس أحدنا بحرف الى أن هبطنا الى البدروم ..
الذي تملأه ماكينات كبيرة وكأنها خط إنتاج كامل ..
تغلفه خيوط العنكبوت .. مررنا بينها بصعوبة ..
الى أن وصلنا للباب الذي بدا وكأنه لم يفتح منذ باع طويل ..
بالفعل كان التربأس الذي تحدث عنه عم عبده .. ربنا ينتقم منه ..
مرتفع جدا وبالكاد ألمسه بأطراف أصابعي ..
لكنه كان أيضاً متحجراً على وضع الاغلاق بفعل الصدأ والغبار ..
لم تستغرق احسان وقتاً في التفكير ..وكأنها كانت مستعده ..
فهمست قائلة .. مش هتعرف تفتحه غير لما تطلع عنده ..
رص الشنطتين دزل فوق بعض واطلع عليهم ..
و أنا هقف جنبك أسندك .
لوهلة من الزمن انتابني شعور غريب بوضع الدولارات ..
تحت اقدامى .. أين قيمتها التي يتصارع من أجلها الناس ..
تقلصت فأصبحت لا تتعدى قيمة كرسى أو سلم ..
لكننى أفقت على يد احسان تنغز خصري قائلة .. بسرعة ..
في ضرب نار شغال بره .. ياترى ده عبده ولا حد تانى ..
كان مفروض اتفقنا مع عبده يضرب بطريقة نعرف نميزها .
بدأت يداى في تحريك التربأس بصعوبة ..
بينما أجبت احسان قائلاً .. اللى بيضرب ده هو صوت المسدس ..
والصوت جاي من فوق فعلاً .. المهم أول ما أفتح تخرجى انتى ..
وتمشى عادى جداّ ملكيش دعوة بيا خالص و لو اتمسكت !
لم تمهلني احسان الوقت لإنهاء جملتى وقفزت بجواري ..

واضعة اصبعها على فمى قائلة ..
رجلى على رجلك و ايدى في ايدك ..
ثم اقتربت مني متمتمه وشفايفي .. على .. شفايفك .
وكانت لحظات من مذاق السعادة ..
استخلصناها بشجاعة من بين براثن الخوف ..
لكننا أفقنا منها سريعاً على أصوات الطلقات ..
وأصدر الترباس صوت ارتطام عند الفتح ..
فنزلت سريعاً ورفعت الباب قليلا من اسفل ..
وارتكزت لأكتشف ما يحدث بالخارج ..
وما أن وجدت الشارع خالياً حتى أشرت لاحسان بالخروج ..
فوضعت يديها على احدى الحقيبتين ورفعتها لأعلى ..
ثم ألقتها في اتجاه ظهرها وأدخلت يديها في أذرع الحقيبة ..
حتى استقرت على ظهرها وكأنها ترتديها .. أعجبتني الفكرة ..
فرفعت الحقيبة الاخرى على ظهرى وارتديتها ..
وامسكت بيد احسان وخرجنا تسابق اقدامنا دقات قلوبنا ..
إلى أن وصلنا الى نهاية الشارع واستوقفتنى احسان قائلة ..
ياخبر ده احنا نسينا باب البدروم مفتوح ..
كده ممكن يطلعوا بالاسانسير ويمسكوا عبده !
نظرت نحو الباب وأنا أنزل الحقيبة عن ظهرى ..
وطلبت من احسان أن تستوقف تاكسى ..
وانطلقت نحو الباب وكأنني في نهائي ألعاب القوى ..
كانت عيناي تكاد تدمع من سرعة الجري ولفح الهواء لها ..
ثم تعلقت بالباب وأغلقته وعيناي ترصدان احسان ..
التي وقفت تشاهد دون أن تتحرك ..
الى أن عدت في الإياب بسرعة أكبر من سرعة الذهاب ..
وكأننى كنت أفرغ جسدي من جرعات الأدرينالين ..
التي تسبب الخوف في ضخها .. وأوقفت تاكسي سريعاً ..
وألقيت بداخله الحقائب وأدخلت احسان بجوارهم ..
وجلست أنا اتلقف أنفاسي بجوار السائق الذي سألني بهدوء ..
على فين يا بيه .. فأجبته بسرعة ..
على شارع الهرم .. آخر شارع الهرم .
نظر السائق بعد جملتى نحو إحسان في المرآة وتمتم ..
يتوب علينا ربنا .
فتابعت قائلاً .. قدام مينا هاوس يعنى .. عند القسم كده .

تلعثم السائق وهو يقول .. حاضر ياباشا .. تحت أمرك .
واعتدلت في جلستى وأخرجت سيجارة وأشعلتها ..
ثم أملت رقبتى نحو احسان وسألتها قائلاً ..
هى الطبنجة بتاعتك فاضل فيها كام طلقة ؟
أجابت احسان بثقة .. خزنة المسدس الجلوك كانت مليانه ..
قبل ما أضرب منها الثلاثة اللى سيادتك شوفتهم ..
يعنى فاضل فيه اثناشر .
بدت علامات الارتباك تظهر على السائق فتابعت قائلاً ..
هو انت يا اسطى متعود كده كل ما يركب معاك حد ..
لازم عينك تضرب في المرايا ولا علشان قلت لك شارع الهرم !
تلعثم السائق مرة أخرى وهو يقول .. اسف ياباشا ..
اللي مايعرفك يجهلك .
تابعت قائلاً .. وايه يتوب علينا ربنا دى ..
يتوب عليك من ايه بقى !
انت بتتعاطى حاجة يعنى عاوز ربنا يتوب عليك منها ؟
ابتلع السائق ريقه وهو يجيب .. ياباشا حقك عليا ..
أنا راجل على باب الله .
نقرت احسان بأظافرها على كتفي فالتفت نحوها ..
فأومأت بعينها أن أكتفي بهذا القدر .
لكننى لم أكن قد اكتفيت .. كانت نيران الغضب تحرقنى ..
فملت برأسي نحو السائق وهمست في أذنه قائلاً ..
يعنى البعيد ماعندوش تمييز خالص ..
مش عارف تفرق بين الستات الشمال والهوانم ..
قدر بقى أنا كنت اتعصبت وطلعت الطبنجة وخرمت لك دماغك ؟
وضع السائق يده حول عنقي واقترب نحو اذنى وهو يهمس قائلاً ..
لا يا بيه أنا أعرف أميز كويس بين الشمال والهوانم ..
بس أنا لايمكن أتوه عن إحسان .
وقع اسم احسان على اذنى وقع طلقة استقرت بجمجمتي ..
بينما ازدادت نقرات احسان بأظافرها لكي أوقف الحديث ..
لكننى لم أكتفي بل إزدادت نيران الغضب أكثر فتابعت ..
وياترى تعرف عم دهب كمان ؟
اقترب السائق أكثر وأمسك بعنقى وهو يصيح ..
هو في حد ميعرفش عم دهب .. ملك ملوك الجيزة كلها .
فهمست له قائلاً .. أهو عم دهب ده بقى حبيبى وعشرة العمر ..
وشوف بقى هيعمل فيك ايه لما نوصل عنده !

همس السائق في اذنى قائلاً ً ياباشا ما أنا كل يوم عنده ..
كل يوم في نفس الميعاد ده بتنزل الست احسان ..
ومعاها واحد شايل شنطتين فيهم طبلتين ..
وتدخل تخلص نمرتها وارجعها بعد الفجر لوحدها ..
والزبون بقى ربنا يتولاه .
ازدادت خبطات احسان على كتفي .. لأوقف الحوار ..
بينما وجه السائق كلماته إليها قائلاً ً .. سيبيه يا مدام ..
لما نوصل يبقى يحلها حلال .. افتح لك الراديو تسمعى الماتش ؟
اقتربت من السائق أكثر حتى كدت استلقى على صدره ..
وهمست له قائلاً ً .. انت بتتكلم جد ! كل يوم مع واحد ..
ومعاها شنطتين .. طب انت تعرف عم عبده .. ربنا ينتقم منه ؟
صاح السائق بصوت مسموع قائلاً ً .. طبعاً اعرفه .. ده عمنا كلنا ..
ده هو اللى مربينى وهو اللى فاتح بيوتنا ربنا يوسع عليه ..
عم دهب ده خيره على كل الناس ..
وكل الناس تعمل له الف حساب .
همست للسائق دون أن تشعر احسان قائلاً ً ..
بقولك عم عبده مش عم دهب !
تجنب السائق سؤالى وتعمد أن يوجه حديثة الى احسان قائلاً ً ..
مش قلت لك يامدام .. مش هيسكتوا غير لما يتعادلوا !
لم يكن أمام احسان لوقف هذا الحوار إلا أن تصرخ كعادتها ..
وهي تضغط بيدها على كتفي .. عادل .. اصحى جابوا فينا جول .
انتفضت لأجد رأسي على صدر السائق وهو يقول ..
شكلك كنت مطبق امبارح يابيه .. من أول ماركبت وانت مديها نوم .. ولولا ان المدام كانت عارفة انكم رايحين عند عم دهب ..
كنت اضطريت أصحيك أسألك .. بس كويس انك ريحت لك شوية
علشان تقوم فايق .. دى بقى يا بيه الشركة بتاعة عم دهب .
نظرت نحو احسان فوجدتها تعاتبنى بعينيها ..
على تلك الغفوة وتعاتبنى على تركها وحدها مع السائق ..
ومعها الدولارات .. وربما كانت تعاتبني على الجول .

الحلقة الثامنة والعشرون : *Shehabiat*
كانت اللافتات الدعائية من حولنا تؤكد أننا في المكان الصحيح
وما أن حاسبت السائق وسألت على عم دهب حتى أسرع رجاله
بحمل الشنطتين من السيارة و مرافقتنا إلى مكتبه ..
بينما تأبطت يد إحسان تحت ذراعى وسرنا خلفهم .

وما أن وقعت عيناي على وجه دهب ..
حتى عادت ذكريات الماضى كلها تصارع عقلى ..
اختلف مظهره كثيراً لكنه مازال يحتفظ بقوة بنيانه ونشاطه ..
نهض دهب من مكتبه واقترب لتحيه احسان بهز رأسه كما يفعل الرجال ذوى الأخلاق عند معاملة النساء .. ثم أقبل نحوى ..
وهو يشير برأسه الى رجاله بالانصراف فوضعوا الحقائب ..
واذا به يضعنى في أحضانه مع عدة هزات لما أستطيع إحصاءها
وبادر قائلاً .. اهلا بالكاتب الكبير .. انت كنت فين يا راجل ..
ده أنا قلبت عليك الدنيا .. تعالى اقعد هنا قدامى عايز الحق املى عينى منك قبل ما ادخل الندوة ..
تشربى ايه يامدام ..
تشرب ايه يا عدول .. والا تأكلوا الاول ..
نبعت اجيب شوية كباب وكفته .. يالا يا محروس ..
لا محروس ايه .. محروس ده مشى .. ياسلطان .
كان سلطان بالفعل قد حضر وأعرب عن استعداده لتلقى الأوامر قائلاً .. أمرك يا رياسه ..
فاسترسل دهب مازحاً ..
لقيتنى قلت يا محروس ترد يعنى ماتبقاش حمبلى أوى كده ..
ثم وجه دهب كلامه نحوى قائلاً .. اصل محروس ربنا فرجها عليه وبقى عنده شركة انتاج .. و أنا زى ما انت عارف مابأقفش قصاد مصلحة حد .. قلت له روح شوف مصلحتك ..
ثم وجه حديثة نحو سلطان قائلاً .. تطير على فرحات ..
وانت راجع عدى على العمده الفكهانى .. بس طيارة علشان عندى ندوة .. انت لسه واقف ..
وخلى الواد سعد يعملنا شوية شاى حلويين .. ده احنا النهارده عندنا زيارة ناس عزاز اوى على قلبى .
انطلق سلطان والتفت دهب تجاه احسان قائلاً ..
ست الكل تحبي تطلعي تقعدى فوق مع المدام والاولاد ماشى ..
تحبى تخليكى مع أنا وتحضرى الندوة برضة ماشى .. اللى يريحك .. واللى يقول عليه عادل باشا طبعاً .. شوفوا اللى يريحكم على ما استقبل الصحافة بس .. دقايق وراجع لك يا عدول ياحبيبي ..
المكتب مكتبك والشركة شركتك .. واذا احتجت اى حاجة رن بس الجرس ده تلاقيهم كلهم عندك ..
بالاذن أنا بقى .
خرج دهب بخطوات رشيقة ثم وضع يده على كتف أحد رجاله
بينما انتقلت عينى نحو احسان فوجدت عيناها يملؤها الفخر..
وقالت .. شكله بيحبك أوى عم دهب ده .. انت تعرفه من زمان ؟
استنشقت حصيلة من الهواء وأخرجتها قائلاً ..
مش من زمان أوى .. لكن عرفته في فترة صعبة في حياتى .. قاطعتنى احسان قائلة .. اصعب من اللى احنا فيه !
فتابعت قائلاً .. أصعب بكثير.

قاطع استرسالي في الحديث دخول أحدهم يحمل كوبين من الشاي وضعها أمامي قائلاً .. الشاى الوصاية للناس الوصاية .
ثم تبعه دهب وأمسكه من عنقه قائلاً .. بايدك كده !
من قلة الصواني ! طب أنا وبأستحمل قرف أهلك ..
انما دول ضيوف يا أخي ضيوف ..
ثم القى به دهب خارج المكتب وهو يعتذر قائلاً ..
معلش بقى يا مدام .. بس ملحوقة .. يا محروس .
ابتسمت احسان قائلة .. محروس مشي ..
ربنا فرجها عليه وفتح شركة انتاج .
تابع دهب قائلاً .. ايوه صحيح ماشاء الله يا مدام .. يا سلطان .
ابتسمت احسان مرة اخرى قائلة .. سلطان زمانه طاير دلوقتى .
تعجبت دهب من رد احسان فتدخلت قائلاً .. انت بعته يشترى حاجات وقلت له طيارة علشان كده بتقولك زمانه طاير.
استجمع دهب تركيزه مرة أخرى وابتسم قائلاً ..
ماشاء الله .. ماهو صحيح مش مرات كاتب ..
لازم يكون خيالها واسع زيه ودماغها حاضره ..
بس أحلى حاجه انكم فاهمين بعض وعاملين دويتو .. ربنا يحفظكم .
نظرت احسان في اعماق عينى عندما انهى دهب جملته ..
بينما لم أعقب على حديثه أو اصحح له أننا لم نتزوج بعد ..
ولكنى غيرت اتجاه الحوار متساءلا .. ما بتشوفش المتر جمال ؟
تساءل دهب قائلاً .. ده عندنا في المطعم والا فين ؟
فتداركت أن سؤالي قد يفتح علينا احاديث لا يحب دهب ذكرها فأردفت قائلاً .. لا ده المحامى بتاع الملك الصالح .
أجاب دهب باجابة أظهرت عدم رغبته في الحديث قائلاً .. لا .
مين بقى اللى بأشوفه على طول وقابلته هنا وكان قاعد مكانك كده ؟
استشعرت القلق من سؤال دهب وأردت أن أؤجل الحديث لما بعد ..
لكنه استطرد قائلاً .. مين اللى انت كنت بتكتب الرواية بتاعته !
والا انت مش قايل للمدام انك كنت في سويسرا ؟
نظرت نحو احسان و أنا اجيب دهب قائلاً ..
لا لسه ماتعرفش حاجة عن سفرية سويسرا دي ..
وبينى وبينك أنا نفسي انساها اصلا .
قاطعني دهب قائلاً .. وننسى .. قد ماننسى .. حاولنا ومابنساش ..
ده انت يا أخى اللى نسيتنى انى كنت بأنادى على حد يوصل المدام تشرب الشاى مع مراتى فوق ..
ياخبر ابيض ده انت نسيتنى الندوة .. وتقولى عايز تنسى .. خليك معايا وانت تنسى اسمك .
أمسك دهب بيدى وهو يخرج من المكتب قائلاً .. يالا بينا ..

تعالي يا مدام اتفضلي ولو حسيتي انك زهقانه من الكلام والرغي .. السلم ده بيطلع على فوق عند ولادى خبطى وقولي لها بس انك مرات عادل الشريف .. وهي حاتفهم .. يالا يا عدول .
أفلت دهب يدى ليفتح باب القاعة التي كانت مزدحمة بالصحفيين ومقدمى البرامج الذين انهالوا عليه بالتصوير الى أن وصل أمام الميكرفون ونقر بأصابعه عليه وطلب من الجميع الجلوس ..
ثم بدأ حديثة بتحية جميع الحضور وخص بعضهم بالشكر ..
بينما كانت عيناى تبحثان عن احسان في كل مكان .
واذا بصوت دهب في الميكرفون يقدمنى للحضور وهو يشير تجاهى وأنظار الحضور تلتفت نحوي ولم يكن أمامي الا أن ارد اليهم التحيه بيدي وأنحني برأسي مع بدء التصفيق ..
كان الأمر أشبه بالحلم هذه المرة ولكن متى نمت لا أدرى ..
هل مازلت نائما في سيارة التاكسي .. أم أننى نمت في مكتب دهب
وتركت احسان جالسة بمفردها ! نزل دهب من على المنصة متجها نحوي وأمسك بيدي نحو الميكرفون ثم قدمنى قائلاً ..
ابقوا افتكروا كلامي ده وسجلوه عندكم .. اللى قدامكم ده ..
قنبلة الأدب العربي القادمة .. مدرسة روايات متحركة ..
وخدوا بالكم المدرسة دى مافيهاش تلميذ واحد ..
لأن أسلوبه ما يتقلدش .. متفرد ومتميز .. لأنه بيكتب إحساسه .. وبيتكلم باحساسه .. فليتفضل .
تعالت أصوات التصفيق وتداخلت الأيادي أمامي ..
حتى بدأت أشعر بالدوار .. لكن عيناي وقعت على كفين ..
أحفظهما عن ظهر قلب .. كانت يد احسان تصفق ..
كما لو كانت تشاهدني في مباراة كرة قدم ..
مع انفرادي بحارس المرمى دون تسلل .
أمسكت الميكروفون بيدى فاستشعرت دفء بطاريته ..
وأدركت أن كل حرف سيأخذ مساره إلى آذان الجميع ..
ومنهم احسان .. فتماسكت .. وهدأت من روعي ..
وبدأت قائلاً .. أقدر لكم حسن ترحيبكم ..
ولا عجب فأنتم تمثلون الفئة المثقفة من المجتمع ..
و التي تتسم بالرقي .. وأشكركم على منحي ..
بعضاً من وقتكم الثمين الذي أدرك أنه ليس من الحكمة أن يهدر ..
والحقيقة التي لايختلف عليها اثنين أن بلدنا بصمودها على مر العصور من بره عاملة زى السفينة .. تلفحها الرياح .. وتلاطمها الأمواج وتهطل عليها الأمطار .. لكنها صامدة ..
ولما تدخل في قلب السفينة تلاقى كل الناس .. بدون استثناء ..
بتجدف .. كله بيجدف علشان المركب تمشي ..
حتى العاطل واقف بينزح ميه أو بيسد فتحة بقدمه علشان متدخلش ميه .. مافيش حد فاضي لحد .
واللى يتوفر عنده وقت مش بيضيعه في أنه يسمع شكاوي حد ..
لأنه هو أولى بالوقت ده انه يشتكي لأى حد ..

عاوز يقول لحد إنه جايب اخره .. انه تعبان من التجديف ..
بس ما يقدرش يوقف تجديف علشان ينقذ نفسه وأهله ..
ده حتى ما عندوش وقت يسأل ..
هى السفينة دي رايحة على فين أصلاً ؟
نحن أيها السادة الأفاضل لسنا من الدول النامية ..
نحن أيتها السيدات المحترمات لسنا من دول العالم الثالث ..
احنا وصلنا الى أن الوقت عندنا بقى أغلى من الذهب ..
ماعندناش وقت ناكل ولا نشرب ولا نلبس ..
مافيش وقت نخرج نزور حد ..
ولا وقت نحضر فيه عزاء حد ..
بنجدف ليل نهار علشان المركب تمشى ..
الدول الأوربية بعد سنين هيسألونا عملتوا كده إزاي ..
هيبعتوا لنا بعثات من الطلاب علشان يتعلموا منا ..
ازاى بعد وصولنا الى قمة التقدم الحضاري دخلنا في فجوة زمنية ..
وسبقنا العالم الى العشوائية المنظمة ويتعلموا مننا فن ادارة العشوائية .
اللى لسه قدامهم عشرات السنين علشان يوصلوا لها .
وأشكركم جميعاً على حسن الاستماع .. وأعتذر لكم على الإطالة
وآسف إني عطلتكم عن التجديف .. اتفضلوا جدفوا .
كنت مازلت أبحث عن احسان وسط الزحام ..
وأنا أمر بين الميكروفونات وشاشات الهواتف ..
والأسئلة التي تنهال من كل جانب بينما سمعت صوت دهب ..
يصيح في الميكروفون الرئيسي للرد على أسئلة الصحافة ..
ايوة اسمه عادل الشريف .. الروائي عادل الشريف .. أيوة طبعا ..
له سلسلة روايات تحت الإعداد للنشر عن طريق شركتنا ..
ومن فضلكم كل اللى صوروا اللقاء مافيش حد يطلعه هواء ..
الا لما نخلص التعاقد معاه .. يعنى استأذنكم تأجلوا الإذاعة ..
لبعد إجراءات التعاقد مع الشركة .. ايوه اسمه عادل الشريف .. مصري طبعا اومال يعنى هندي .. لا معرفش عنده كام سنه لسه .. كل ده هنعلن عنه .. ايوة طبعا حا نبلغكم مع توقيع العقد ..
ايوة متجوز و المدام بتاعته موجوده معاه هنا ..
لا معنديش فكرة اذا كان عنده أولاد .. شكرا ..
اتفضلوا العشاء جاهز جوه في المطعم .. اشكركم .
وقعت عيني على إحسان يلتف حولها عدد من الإعلاميين والكاميرات تسلط الأضواء على وجهها ..
فاقتربت سريعاً لانقاذها .. بينما وجدتها تقف بكل ثقة ..
وتجيب على أسئلتهم وابتسامتها لا تغادر شفتيها ..

كان جمالها يخطف الأبصار وضحكتها تلفت الأنظار ..
والزحام يزداد من حولها حتى أصبح حلقات يصعب اختراقها ..
وإذا بيد دهب تمسك كتفي بقوة ويجذبني اليه ..
ويصرخ في وجهي قائلاً .. ايه شنط الفلوس اللى جوه دى !
انت عاوز تودينا في داهيه .. طب مش كنت تعرفني على الأقل ؟
اقتربت من عنق دهب قائلاً .. هو أنا لحقت .. ده انت خطفتني .
مال دهب على أذني قائلاً .. طب أنا خليتهم يطلعوهم فوق ..
في الخزنة بتاعتي على مانخلص من الموريستان ده .
أومأت برأسي بالموافقة ونظرت تجاه احسان فتابع دهب قائلاً ..
انسى انك تطلعها من الجو ده خلاص .. سيبها تاخد فرصتها ..
ثم ضحك ملء شفتيه قائلاً .. حرم الأديب العالمي عادل الشريف . صحت في أذن دهب قائلاً ..
والنعمه حرام عليك التدبيسه دى .
تأبط دهب ذراعي قائلاً .. انت لسه شوفت حاجة ..
تعالى بس نتعشى الأول وبعدين نشوف هنعمل ايه ..
المهم قول لي .. انت خلصت رواية الزنزانة ولا لسه ؟
أجبته بعزم مافي صوتى خلال الضجيج قائلاً ..
قصدك الزنزانة ٢٧ وخلصتها ونزلتها على النت كمان .
صادف صراخي لحظة هدوء عمت المكان كله ..
فوضع دهب يده على فمي قائلاً .. يخرب بيتك .. بس اسكت .. نزلتها على النت ايه .. انت مجنون ؟
أنزلت يد دهب .. وصحت في أذنه مرة أخرى قائلاً ..
ماتقلقش مافيهاش ولا كلمة مخالفة .
وضع دهب يده على فمى ويده الأخرى خلف رقبتي وهو يصرخ ..
اسكت .. اقفل بوقك ده خالص .. انت من هنا ورايح ماتتكلمش ..
ولا تجاوب على أى سؤال غير من خلالي ..
اتفضل قدامى على المكتب .. نزلتها على النت ! يانهار اسود .
خرجت وعيناى مازالت متعلقة بإحسان التي بدت مثل نجمات السينما وحولها الكاميرات وددت أن أدفع نصف عمري ..
لأسمع ما قالته عني .. وما أن دخلت مكتب دهب ..
ودون أن أدفع من عمري لحظة واحدة ..
وجدت وجه احسان يزين شاشة التلفزيون ..
وهي تقول بصوت واثق هادئ ..
طبعا الفضل يرجع لربنا أولاً وشركة جولد ثانياً ..
حقيقي عادل روائي متميز وكاتب موهوب ..
ده غير انه انسان جميل واللى في قلبه على لسانه .

نظرت نحو دهب الذي كان يتابع هو الآخر كلمات احسان ..
ودون أن ينظر نحوى ترك عيناه على الشاشة ..
موجها كلامه لي قائلاً .. بتحبك اوى .. باين عليها جدا ..
لا وإيه متحدثة .. ربنا يخليكم لبعض يا عدول ياحبيبي ..
انت عارف بتفكرنى بمين ؟
تعجبت من سؤاله لأنه ليس في ذكرياتنا نساء نعرفهم سويا ..
لكننى جاريته قائلاً .. مين !
فأجاب .. روقا .. فاكر روقا بتاعه فيلم العار ..
بتاعه حقها والا مش حقها ؟ الا بالحق هي اسمها ايه ؟
توقفت عند سؤال دهب دون إجابة ..
واصطنعت الانشغال بمتابعة الشاشة وأنا أتمتم ..
فعلا هي فيها من روقا كثير .. كثير أوي .
كان سلطان قد أعد العشاء وأخذ يزين السفرة بوضع ..
معلبات المياه الغازية .. الى أن أمره دهب قائلاً ..
روح هات المدام ياسلطان .. فانطلق سلطان ..
وفي ثوان كنا نشاهد سلطان على الشاشة ..
يبعد الإعلاميين عن احسان مثل البودى جارد ..
وهي تهز رأسها قائلة .. أشكركم .. شكرا ليكم .. ميرسي .
دخلت إحسان ومن خلفها أغلق سلطان الباب ومنع الاعلام ..
وتبسمت إحسان قائلة .. دى عمله تعملوها فيا انتوا الاثنين ..
تفاجئوني كده من غير لا احم ولا دستور ..
وتسيبونى أواجه مصيري .. واضح جدا انكم كنتم متفقين .
أجاب دهب بعد أن فتح لنا كراسى السفرة ..
وأشار لنا بالجلوس قائلاً .. ولا متفقين ولا حاجة ..
ده هو كمان اتصدر في الكلمة اللى قالها ..
ومن غير ما يكون مجهز حاجة يقولها .
صاحت احسان قائلة .. مستحيل ..
مستحيل تكون الكلمة اللى قالها دى مش جاهزة ولا متراجعة .. انتوا ماسمعتوش الاعلاميين قالوا عليها شوية مصطلحات ..
منظور .. زاوية .. خارج الصندوق .. انعكاس ..
ده أنا حسيت انى متجوزه زويل .
أطلقت احسان ضحكتها وهى تبحث بين المعلبات عن شىء معين .
ولاحظ دهب حيرتها فقدم إليها عبوة قائلاً .. دى دايت أهى .
تناولتها احسان وفتحتها بينما رمقتنى بنظرتها الساحرة ..

وكأنها تقول أعرف أنك تعلم ما كنت أبحث عنه !
كان برهاني لاحسان إني أعلم ما كانت تبحث عنه ..
أهم عندي من كل شيء .. فسألت دهب بهدوء .. هو مافيش بيره ؟
وضع دهب قطعة اللحم من يده قائلاً .. انت بتشرب ؟
كانت اجابتي كالعادة لاتخلو من السذاجة .. لا مش ليا أنا .
نهض دهب من كرسيه قائلاً .. ماشي ..
أصل أنا كنت مانع دخولها .. علشان مش بأشرب ..
لكن طالما انتوا عايزين .. براحتكم .
فتح دهب الباب ومال على أذن سلطان وأغلقه مرة أخرى ..
وعاد ليمسك قطعة اللحم ثم رفعها الى فمه قائلاً ..
قولوا لى بقى .. ايه حكاية الشنطتين اللي مليانين دولارات دول ؟
نظرت احسان نحوي تنتظر مبادرتي بالإجابة .. فأجبت قائلاً ..
الأول بس أنا عاوز منك خدمة .. في حد من معارفي اتمسك ..
لك سكة نقدر نسأل عليه .. نتطمن .. من بعيد يعنى من غير قلق .. لكن اذا فيها احراج خلاص مش مهم .. مش لازم يعنى .
رفع دهب حاجبه وهو يرفع علبة المياه الغازية قائلاً ..
تعرف راح فين .. المنطقة ايه .. دايرة ايه ؟
فأجبت مستبشراً قائلاً .. الأزبكية .. كان نازل مع واحد معرفته ..
في فندق مش فاكر اسمه أو لوكاندة تقريباً ونزلت عليهم كابسه .
نفض دهب يداه وأخذ يفتش في هاتفه ويتمتم قائلاً ..
الأزبكية .. مفيش غيره هو اللى يعرف القرد مخبي ابنه فين ..
ثم وجه سؤاله لي قائلاً .. هو الواد اسمه ايه ؟
أجبت بهدوء قائلاً .. سليم .. إسمه سليم .
أوقف دهب بحثه وهو يتابع سؤاله .. لا والنبي ؟
فأردفت قائلاً .. أنا عارف اسمه بالكامل طبعا بس تايه من دماغي دلوقتي ..
يعنى هما هيكونوا ماسكين ستلاف سليم في يوم واحد ؟
تابع دهب قائلاً .. طب الكلام ده حصل امتى .. من قد ايه يعنى ؟
أجبت وأنا ابدى عدم الاهتمام .. قول ساعتين مثلا ..
ساعتين ثلاثة بالكثير .
رمقني دهب بنظرة كادت تخرج مافي جوفي ..
ثم وضع هاتفه قائلاً .. يعني من الآخر كده ..
انتوا لسه جايين من هناك .. هربانين يعني ؟
كان العرق قد بدأ يتصبب من جبهتي وبدأت أبحث عن مناديل ..
فناولني دهب علبة المناديل من أمامه قائلاً .. صاحبي ..
لما تختار انك تيجي لدهب يعنى انت عارف كويس مين دهب ..

يبقى ترسيني على الدور من أوله لآخره وتسيبنى اتصرف ..
إنما هتلاعبنى أنا بقى زى ما بتلاعب القراء كده ..
وتقولي لزوم التشويق .. هتلاقينى قلبت على الوش الثانى ..
وجبت عاليها واطيها .
لم أستسيغ تهديد دهب .. خاصة في وجود احسان ..
وتذكرت كلماتها عن ثوب الرجال فأخذت هاتفي في يدي ..
ثم وجهت حديثي لإحسان قائلاً .. يلا حبيبتى ..
يظهر الناس بتتغير بين يوم وليلة .. اللى بيهددنى قدامك ده ..
كان قايل لى في يوم انه مستعد يفديني برقبته ..
يلا بينا .. يدوم العز يا معلم دهب .
نهضت احسان في لمح البصر وكأنها لا تعصى لى أمر ..
فنهض دهب هو الآخر واستدار سريعاً حول السفرة قائلاً ..
عليا الطلاق من مراتي اللي بحبها ما يحصل ..
أقعد يا عدول كمل أكلك .. اقعدي يا مدام .. عيب عليك ..
ده انتوا لو قاتلين قتيل وجيت عند اخوك .. رقبتي سداده ..
أنا بس كنت عاوز افهم التفاصيل مش أكثر ..
مش انت برضه الروائي الجامد اللى بيهتم بالتفاصيل ..
يا سيدي اعتبر انك بتحكي لى على الرواية الجديدة ..
وإبقى سميها رواية اللوكاندة مش الزنزانة .. ثم ضحك قائلاً ..
بس ماتبقاش تنزلها على النت أبوس إيدك .
جلست .. فتبعتنى احسان .. فإستنشقت بعض الهواء ..
وأخرجته بهدوء قائلاً .. لو عملتها رواية ..
حأسميها لو كاندة المسخرة .. من كتر اللى شوفته فيها ..
ماكانتش ليلة دى .. ليلة شوفت فيها أسوأ حاجة في الدنيا ..
ومع ذلك طلعت منها بأحلى حاجة في الدنيا ..
شوفت فيها قلة القيمة والذل وخرجت منها بأحلى حب .. استوقفني دهب قائلاً .. غريبة انه مابيردش ده عمره ما عملها .. فتابعت قائلاً .. عارف لما تشوف فصول السنة كلها في يوم واحد تخرج من برد ومطر على زعابيب وتراب ..
ومن شمس وصهد .. ثم نظرت الى وجه احسان قائلاً ..
وتختمها بربيع وورد ونسيم عليل .
تدخل دهب قائلاً .. ياجماله .. ده الملخص لوحده حكاية ..
شكلها كده جايب على دراما في رومانسي .
فقاطعته احسان قائلة لا وعلى أكشن في كوميدي ..
تقريباً هى هتكون رواية مش هنعرف نصنفها .

أنهت احسان كلامها مع رنة هاتف دهب ..
الذي أسرع بفتح المكالمة وأيضاً مكبر صوت الهاتف ..
وبدأ حديثه قائلاً .. ازيك يا راجل ياعجوز ..
وجاء صوت الطرف الآخر قائلاً .. معلش يا رياسه ..
ماعرفتش ارد عليك علشان متكلبش ومتلقح في التخشيبة ..
انما انت عرفت إزاي إني ممسوك يا رياسة مين اللى قال لك ؟
لم يكن الصوت غريباً على أذن إحسان فمالت نحوي ..
وهمست بشيء لم أسمعه .. فإقتربت منها أكثر ..
حتى صاحت في قوقعة أذني وكأنها تسمع حى الهرم كله ..
بقولك .. اللى بيتكلم معاه ده .. عم عبده .

الحلقة التاسعة والعشرون : *Shehabiat*
كانت ملاحظه احسان في محلها تماما ..
وكان المتحدث هو عم عبده .. ربنا ينتقم منه ..
فاقتربت للجلوس بجانب دهب وكنت قد قررت في نفسي ..
أننى بمجرد إنتهاء المكالمة سوف أخبر دهب بكل شيء .
وجاء صوت عبده هادئاً يقول .. خناقة نسوان عندنا في اللوكاندة مسكوا في بعض واحدة رمت الثانية من على السلم وقعت اتكسرت شافها حد من النزلاء بتوع الفندق اتصل بالحكومة ماتفهمش يظهر علشان اللى اتصل اجنبى طلعوا حملة كبيرة اقتحمت الفندق ..
و أنا بغبائي افتكرتهم بلطجية.. طلعت فرد الخرطوش ..
وضربت نار في الهوا .. بس بسيطة يا رياسة ..
هترسى على غرامة يعني واللى ييجى في الريش بقشيش .
تابع دهب حديثه قائلاً .. ساعة زمن وتلاقي المحامى بتاعي عندك .. بس قول لى .. في حد تانى اتمسك معاك من اللوكاندة ..
أجاب عبده على الفور قائلاً .. في عيلين كتيانين كده واخدينهم شهود على الخناقة والاثنين اللى اتخانقوا واحدة هنا ..
والثانية في الحوض المرصود .. والراجل الخواجة ..
جه قال الكلمتين في دقيقتين مشي ..
أشار لى دهب بيده مؤكداً أن منهم من يهمني أمره ..
وتابع بسؤاله لعبده قائلاً .. ماتعرفش أسامي العيال دي إيه ..
فأجاب عبده قائلاً .. واحد منهم اسمه سليم وده سبب الخناقة ..
والثاني إسمه عمر وله سوابق نصب والنسوان العورم حياة وسكينه .
نظرت على الفور تجاه إحسان متعجباً من أسماء الستات ..
فوجدتها هى الأخرى متعجبه من أسماء زملائي ..

ومع إغلاق دهب للمكالمة انفجرت أنا وإحسان في الضحك ..
بينما تعجب دهب وهو يسأل قائلاً .. هو ده سليم اللى تقصدوه!
خناقة نسوان ! انما انتوا ايه اللى حدفكم على لوكاندة احسان ؟
وقعت جملة دهب الاخيرة على أذنى مدوية ..
وكأن دانة سقطت فوق رأسي مباشرة .. لكنني تماسكت قائلاً ..
شوفت بقى إنك كنت ظالمنا وعمال تقول هربانين وبتاع !
أجاب دهب قائلاً .. لا ما انتوا هربانين طبعا بس مش ده المهم ..
المهم انت عارف مين اللى كنت باكلمه ده ؟
منعت لسانى بصعوبة عن الاجابة بينما أردف دهب قائلاً ..
فاكر الواد كريم بتاع امبابة ! الواد اللى كانت رجليه متجبسه ! وسنانه مكسره !
بتاع الترانزيت اللى في سويسرا !
انت فقدت الذاكرة ولا ايه يا برنس يا ملك الدفنس ؟
ظل دهب يذكرنى حتى أجبته قائلاً .. ايوه الواد بتاع البرشام ..
اللى كان بيثبت العربيات على الدائري ويفتش الناس ..
وبعد ما أخد اللى معاهم نط من على الكوبري ..
بس نزل مدغدغ ونزلوا مسكوه وضربوه علقة موت ..
ماله ده ايه اللى فكرك بيه دلوقتى ؟
أجابني دهب قائلاً .. أهو كريم ده بقى ..
يبقى ابن عم عبده .. اللى كنت باكلمه دلوقت .
ساد الصمت برهة .. تابع دهب بعدها كلامه قائلاً ..
برضة مقولتليش ايه اللى وداك عند احسان و لوكاندة احسان ؟
فاجئتني احسان بسؤالها المباشر الموجه الى دهب قائلة ..
هو مين احسان ده اللى انت قلت اسمه اكتر من مره ..
هو احسان عبد القدوس عنده لوكاندة باسمه ؟
فأجابها دهب قائلاً .. لا إحسان دى .. مش احسان ده ..
على فكرة بالمناسبة اسم احسان يمشي راجل ويمشي ست ..
بس احسان دى بقى ست بمليون راجل .. بنت اصول وجدعه ..
جدها ساب لها هي وأبوها كوارث ملهاش اول من اخر ..
تعرفي شارع كلوت بيه !
أومأت احسان برأسها قائلة .. ايوه اسمع عنه .
تابع دهب قائلاً .. كلوت بيه نفسه ده كان حلاق ..
زى حلاقين الصحة بتوع الأرياف عندنا ..اللى بيعملوا دكاتره ..
هو برضه كان حلاق في أرياف انجلترا .. وجابوه يمسك الصحة أيام الخديوية واتشهر لأنه خلى الدايات تشتغل ممرضات ..
أو العكس مش فاكر بالضبط إنما الغرض يعنى .. علشان الستات .. ماكانش ينفع يولدهم دكاترة

رجالة .. قاموا كرموه وعملوا شارع باسمه وكانوا الأجانب بيروحوا الشارع ده لانه كان فيه بارات ورقاصات وفضلت الناس المحترمة ترحل من الشارع ..
علشان سمعته كانت شبهه لكل اللى ساكنين فيه ..
وكل اللى يمشى يحل محله النسوان الشمال والأجانب ..
لحد ما الشارع بقى كله شمال في شمال من اوله لآخره ..
و العايقة تنزل تقف في الشارع وتصطاد الزبون للمقطورة
جد احسان بقى كان ساعتها نائب الدايرة اللى فيها الشارع ده ..
ماكانش عاجبه المسخرة دي وقدم شكاوى كثير وطلبات أكثر ..
لكن الشارع اصلا كان وسيلة الترفيه للناس الأكابر ..
وكانوا بيستفيدوا من المسخرة اللى بتحصل فيه ..
ده بالعكس بقى دول عملوا لهم رخصة مزاولة مسخرة ..
قام جد احسان عامل جمعية خيرية في باب الشعرية ..
وبعت دعوة لوزير الشئون الاجتماعية ييجى يفتتحها ..
وخلى الحنطور يعدى من شارع كلوت بيه ..
طبعا الدنيا اتقلبت .. والمقاطير نزلت من البيوت ..
وهجمت عليه في الحنطور وخلعوا له طربوشه ..
واتخانقوا على مين اللى تاخده البيت والبلطجية فتحوا المطاوي وبهدلوا الوزير اخر بهدلة ..
الراجل مكملش مشوار الافتتاح .. رجع على مكتبه وطلع قرار بإلغاء المهنة دى ..
وكان إسمها .. تقديم خدمات مقابل المنفعة واعتمد القرار من الحاكم ..
ونفذه فورا .. اتخرب بيت كام واحدة بقى وقتها !
ييجى الف واحدة .. راحوا لمين ! لجد احسان .. نائب الدائرة ..
اخد ييجى نصهم شغلهم في دور الأيتام ودور المسنين ..
والنص الثاني في المستشفيات واللى منهم ما كانتش بتعمر ..
كانت ترجع له يشغلها في الفندق بتاعة .. تنظف .. تغسل ..
وطبعا من وراه كانوا بيقدموا خدمات مقابل المنفعة للزبائن ..
الراجل فضل ماسك الدايرة يجي خمسين سنة .. ولما مات كان ابنه الوحيد دكتور محترم ..
مالوش في الثور ولا في الطحين .. ساب الفندق للناس اللي مشغلينه سنين طويلة ..
لحد ما مات هو كمان .. ومبقاش حد يسألهم في فلوس .. لحد ما نسيوا ان له صاحب ..
وأبو عبده قلب الفندق والشارع مسخرة ..
ولما احسان كبرت واستلمت ورث جدها وابوها ..
راحت لقت الفندق .. مخدرات .. آثار .. عملة .. مافيش حاجة غلط الا بتتعمل هناك .
بس هى عملت حملة تطهير كبيرة .. نظفت الفندق وباعته ..
وكتبت الدور اللى كان بيباتوا فيه الشغالات بيع وشراء بأساميهم ..
وأخذت هي الروف وضبته وعاشت فيه مع نفسها .. لكن برضة الأمر ما يسلمش ..

كل مدة تلاقي مصيبة .. نازلة على دماغها اما بسبب طيبة أبوها ..
أو بسبب طيبة جدها أو بسبب طيبة قلبها هى نفسها .
ماهو عبده ده برضه كارثة .. ورث من ابوه .. وسرق أملاك أخوه .. شيطان في هيئة انسان ..
لا يعرف عيب ولا حرام .. ونصب على الشغالات و خلاهم يعملوا له تنازل عن حقهم ..
وبقي يملك الفندق كله .. وما أقولكش بقى .
شغل النسوان بعيالهم بقرايبهم لحسابه .. وعمل دولاب مخدرات لحسابه ..
وطقم ناضورجية زي الرز في الشارع بيعرف دبة النملة ..
وكل مصيبة تلاقيه طالع منها زي الشعرة من العجين ..
ياخبر ده أنا نسيت أبعت لهم المحامي .. يا محروس .
نظر إلينا دهب عندما نطقنا أنا وإحسان في نفس الوقت ..
محروس مشي .. ربنا فرجها عليه وعمل شركة إنتاج .
وارتفع صوته معنا بالضحك .. عندما صحنا كلنا .. ياسلطان .
كنت أشبع عيناى من ضحكة إحسان اللى ترد الروح ..
وما أن توقفت الضحكات حتى دخل سلطان ..
تاركا المراسلين الصحفيين خلفه .. ثم عاد وغادر بسرعة ..
بعد أن كلفه دهب بالاتصال بالمحامي واتخاذ اللازم ..
فانتهزت الفرصة وسألت دهب قائلاً ..
انت شفت احسان دى قبل كده ؟
أشار دهب بإصبعه عدة مرات مع صوت طقطقة تؤكد النفي ..
ثم أردف قائلاً .. لا يا صاحبي .. احسان دي ما بتتشافش..
دى بيتسمع عنها بس .. خد بالك دى عندها فلوس ..
مالهاش أول من آخر .. ده غير الأراضي والعقارات ..
طب اسمع دى بقى .. عارف جواز السفر بتاعها ..
خمن كده مكتوب فيه المهنة ايه !
فأجابت احسان بهدوء .. من الأعيان .
انتفض دهب من مكانه قائلاً .. صح .. ايش عرفك !
ثم نظر في وجهي قائلاً ..لا .. متقولش .. يابن المحظوظة !
أخرجت احسان جواز السفر من حقيبة اليد ثم وضعته أمام دهب ..
الذي أمسكه بتلقائية وفتحه وتأكد من الاسم والمهنة وصاح قائلاً ..
يا الف اهلا وسهلا نورتي الدنيا كلها ياست الستات ..
تصدقي بإيه ومماليكي عليا حلفان .. أنا كان قلبي حاسس من الأول .. بس قلت ايه اللي لم الشامي على المغربي ..
لا احنا كده بقى لازم نطلع فوق تتعرفي على المدام والأولاد .
كنت قد أمسكت جواز السفر وتفحصت كلمة من الأعيان متعجباً ..
وأعربت عن دهشتي قائلاً .. انتى عامله الجواز ده ازاى ..

اقصد يعنى .. ازاى مكتوب فيه من الأعيان ..
هى مش الالقاب دى اتلغت من زمان ؟
ابتسمت احسان بثقة قائلة .. لا ماهى دى مش ألقاب .
تدخل دهب في النقاش قائلاً .. بس انتوا لسه ما اتجوزتوش صح ؟
فأجبت دهب قائلاً .. لو تعرف مأذون قريب نروح له ..
يبقى كتر خيرك .. وبالمرة بقى ناخد مع أنا اثنين شهود .
استوقفني دهب قائلاً .. نروح له !
ده المأذون بورقة بدفتره بمكتبه بعمارته ييجوا لحد هنا في ثانية ..
بس سامحنى بقى مش انت اللى تقول .. العروسة هى اللى تقول .
اخترقت احسان قلبي بنظرتها قائلة .. اللى يقوله عادل يمشي .
وقف دهب مبتهجاً وصاح .. يبقى على البركه .. يامحروس !
لم تستطع احسان أن تمنع نفسها عن الضحك ..
بينما ارتمت برأسها على صدري .. فتدارك دهب خطأه قائلاً ...
يادي محروس .. ثم توجه الى الباب وفتحه وخرج ..
وسمعنا صوته يجلجل وهو ينادي سلطان ..
بينما رفعت وجه احسان بيدي ونظرت إليها ..
فكان بريق عينيها المتبسمتان ساحرا ..
ثم تمتمت قائلة .. انت بجد عايزنا نتجوز !
فوراً .. هكذا أجبت احسان دون أن أتردد لحظة ..
فتابعت احسان قائلة .. عارف أنا نفسي في ايه !
نفسي نبني فيلا في النوبارية ونروح نعيش هناك وسط الخضرة .
قاطعت احسان قائلاً .. ايوه حتى نبعد عن الزحمة والدوشة .
وأردفت احسان وننشر الروايات بتاعتك
ويتعملوا افلام و مسلسلات .. اقولك احنا نعمل دار نشر ..
أو نعمل مؤسسة ثقافية .. ثم تابعت ضاحكة ..
والا اقولك احنا نعمل شركة إنتاج .. زى محروس ..
وننتج احنا الروايات بتاعتك كلها .
قاطعت احسان مرة اخرى قائلاً .. ونعمل منتجع صحي ..
لكبار السن وفيها حمامات سباحة بالمياه الكبريتية ..
بصي بقى يا حبيبتي .. أنا ماليش دعوة بفلوسك خالص ..
تعملى بيها اللى انتى عاوزاه .. لكن مش أنا اللى ..
قاطعتنى احسان بوضع اصبعها على فمى قائلة ..
انت من أولها بقى عايز تعمل فرق بين فلوسي وفلوسك ..
علشان لما تبيع الرواية وتتشهر تقولى مالكيش دعوة بفلوسي !

فأجبت سؤال احسان مبتسماً .. لا ابدا ده انا كلى ليكى ..
بس مش عاوز الناس تفتكر .. قاطعتنى احسان مرة أخرى قائلة ..
وهو انت لو استغليت فلوس مراتك ..
هتبقى محتاج تطبع والا تنشر ولا تكتب اصلا ..
ده انت لو ولعت فيهم مش هتعرف تخلصهم .
لعلمك أنا نفسي ماعرفش أنا عندي فلوس قد ايه .. اقولك ..
احنا نعمل لجنة جرد .. تطلع على كل المخازن بتاعتى ..
تجرد الفلوس وسبايك الذهب .. ياخبر ده لسه في فلوس في الفندق وفي البدروم و مخزن المطعم .. يوه بقى ..
دى النوبارية كمان فيها سبايك ذهب في المخزن .. بص يا عادل ..
الجواز مسئولية وانت مفروض تشيل مسئوليتى كلها ..
مش تقول لى ماليش دعوة بفلوسك .
تمتمت قائلاً .. مخازن .. سبايك .. ممكن اسألك سؤال !
انتى ليه مافكرتيش تحطي فلوسك وحاجتك دي في البنك ؟
فأجابت احسان بسرعة .. لا ماهم دول غير اللي في البنوك ..
بص يا عادل .. انا عارفة انى هبقى حمل ثقيل عليك ..
اذا شايل هم وعاوز ترجع في كلامك احنا لسه فيها .
حدقت في عين احسان وأجبتها قائلاً ..
أنا كنت شايل هم الشنطين اللى جبناهم مع أنا ..
وكنت محتار حانغيرهم ازاى وفين .. تخيلي بقي ..
المشكلة انى مش بأفهم في الفلوس ولا بأعرف اتعامل بيها ..
يعنى مثلا .. قولى لى كده الشنطتين دول فيهم كام تقريبا .
أجابت احسان .. قبل ما عبده يكبش منهم والا بعد ما كبش ؟
فتابعت قائلاً .. ايوه صحيح فكرتيني ..
في حاجتين لفتوا نظري في مكالمة عبده .. يمكن ثلاثه كمان .
تساءلت احسان .. استغربت انه طلع يعرف دهب اصلا ؟
فتابعت قائلاً .. لا استغربت لما قال انه اتمسك بفرد خرطوش ..
مع انه كان معاه المسدس الجلوك بتاعك ..
وبعدين هو في اجنبي في الدنيا يبلغ عن خناقة اثنين ستات ..
اكيد في حاجة غلط .
تدخلت احسان قائلة .. بص هو مافيش شك ان عبده دماغه سم ..
بس برضة دماغه ماتجيبوش انه يفكر يلعب معايا أنا ..
لأنه عارف كويس جداً أنا أقدر أعمل فيه ايه .
عارف طبعا يا معلمة والعارف لا يعرف ..

كان فتح عبده للباب ودخوله بتلك الجملة .. له وقع المفاجأة ..
ثم تابع قائلاً .. شوف يامعلم عادل ..
ولا نقول ياعادل بيه بقى ! ولا ايه ؟
الصراحة انت حيرتني معاك عدم اللامؤاخذة !
اول هام لما انت اديتني الطبنجة بتاعة المعلمة ..
قلت ده حاجة من الاثنين .. اما انه فاهم ..
وعايز يحبسنى ييجي عشرتاشر سنة حيازة سلاح بدون ترخيص ..
مع استعماله في إحداث الذعر وأعمال الشغب ..
على شوية استعراض للقوة فوق السطوح كمان ..
أو الاحتمال الثاني عدم اللامؤاخذة .. انك غشيم .. وما تقصدش ..
فخرجت تاويت الطبنجة فوق الاسانسير ..
وسحبت المقروطة الخرطوش اللي غرامتها خمستلاف جنيه ..
وأي محامي يخرجني من القسم بضمان محل اقامتي..
وتلاقونى قدامكم فجأة زى ما انتوا شايفيني كده ..
اما بقى حكاية الخواجة دي .. فأنا زي زيك ..
استغربت برضه معقول خواجة يتصل ويجيب الحكومة علشان خناقة نسوان واحدة زقت الثانية على السلم ..
على كل حال المعلمة احسان عارفة كويس .. ومتاكده ..
انى لا يمكن اعمل حاجة بدون إذنها وموافقتها .
قاطعت احسان عبده قائلة ..
ماخلاص يا عبده .. ما تعمل لك قافلة بقى .. فين باقي الناس ؟
أومأ عبده برأسه وهو ينظر نحوي قائلاً .. اوامرك ياست الحسان .. كلهم بره مع المعلم دهب والمحامي .. ماعدا البت حنان ..
في المستشفى رجليها اتكسرت من الوقعة بتاعة السلم .
كنت اقترب لأضم عبده مرحبا بعودته سالما ..
بينما مال هو على اذني هامساً ..
امانه عليك ما تنسانيش في موضوع المنتجع الصحي ..
وحمامات السباحة بقى .. ماهو أنا من كبار السن برضه .
انتفضت إحسان من جلستها وأمسكت عبده من قميصه قائلة ..
انت بتقول له ايه ؟
تقوقع عبده في مكانه واضعا يديه فوق رأسه مصطنعا الخوف ..
وهو يضحك قائلاً .. عليا النعمة ما قلت له حاجة .
ضحكت احسان ونظرت في عيني متسائلة .. كان بيقولك ايه ؟
فتبسمت قائلاً .. بيعرفني انه كان بيتصنت علينا من بدري ..

بيقولى ماتنسانيش في موضوع المنتجع الصحي .
أنهت إحسان ضحكتها ثم تابعت قائلة ..
طيب بص بقى .. طالما هنتجوز .. يبقى لازم كل حاجة تبقى ايه .. على ميه بيضا .. اقعد ياعبده .
جلس عبده مقرفصاً على الأرض وألصق ظهره بالباب ..
وكأنها حركة متفق عليها بينهما لمنع دخول أحد من الخارج ..
ثم أشعل عبده سيجارته دون اكتراث وكأنه لا يريد أن يسمع ..
أو بمعنى أدق .. كأنه يعلم ما سوف يقال .

الحلقة الثلاثون : *Shehabiat*
كانت احسان تنظر في أعماق قلبى مروراً بمقلتي عينى ..
عندما بادرت قائلة .. قبل ما أقول أى حاجة ..
عاوزاك تبقى عارف إني مايفرقش معايا إنت مين ..
ولا إبن مين ولا حتى بتشتغل ايه ..
أنا كل اللى يفرق معايا فعلا .. انك تكون بتحبني بجد .
قاطعت إحسان وأنا أنظر في عينيها قائلاً .. وأنا بأحبك بجنون .
فتابعت إحسان متسائلة .. ليه ! بتحبني ليه ؟
فأجبت على الفور .. الحب مالوش أسباب يا احسان ..
الحب اللى له أسباب .. يزول بزوال أسبابه .
قاطعني عبده وهو ينهض ويخرج المسدس من جنبه قائلاً ..
أفهم من كده إن عندك استعداد تضحي بعمرك علشانها ؟
تعجبت من موقف عبده لكننى أجبت بتلقائية قائلاً .. طبعاً ..
وهى عارفه كويس إني علشانها أضحي بكل حاجة .
تابع عبده وهو يشير بالمسدس تجاه جبينى قائلاً ..
طيب واذا كان وجودك نفسه .. فيه خطر على حياتها ؟
فأجبت على الفور قائلاً .. مستحيل .. ده أنا أفديها بروحي .
أشارت إحسان بعينيها لعبده أن ينزل السلاح .. لكنه رفض ..
ثم تابع بعصبية قائلاً .. أنا بقى فديتها بعمري كله ..
وعندي استعداد أفديها باللى فاضل منه كمان ..
يعنى معنديش مشكلة أخلص عليك وأروح فيك في داهيه ..
إنما هى مافيش حد يقرب لها .. أنا معملتش كل اللى فات ده ..
علشان ييجى في الآخر .. حتة ضابط كتيان زيك يهده ..
ده أنا أنسف أى حد قبل ما يفكر يقرب منها ..
احسان دي بتاعتي .. فاهم يعني ايه بتاعتي ..
يعنى قبل ما حد يمسها .. لازم يدوس على جثتى الأول .

كنت في دهشة من كلمات عبده فأزحت المسدس بيدى قائلاً ..
أنا مش فاهم انت تقصد ايه بكلامك ومستغرب منه جداً ..
ثم ايه كلمة ضابط اللى حطتها في النص دي ..
انت يعنى عاوز احسان تشك اني ضابط وكنت بأمثل عليها ..
وبسلامتك بقى اللى جاى تكشفني قدامها دلوقتى ..
طب وبفرض ياسيدي .. هى مشكلتها ايه .. وتخاف من ايه ..
هى أصلاً أجرمت في ايه !
إذا كان كل حاجة غلط بتتعمل .. انت اللى بتعملها من وراها ..
المخدرات انت اللى بتتعامل فيها وتشتريها وتبيعها ..
الآثار انت اللى بتهربها واللوكاندة انت اللى مدورها ..
وكل ده بدون علمها .. يعني حتى لو كنت ضابط ..
المفروض إني أقبض عليك انت .. مش هى ..
ده ياريت كنت ابقى ضابط علشان أكون دليل براءتها ..
وكمان شاهد عليك انك انت زعيم العصابة الحقيقي .. لكن للأسف .
قاطعني عبده مرة أخرى قائلاً .. ماتحاولش تلعب عليها اللعبة دى ..
هى عارفة كويس إنها كان لازم تبقى هى المعلمة ..
وكان لازم تفضل كل الناس فاهمه انها الكبيرة ..
علشان الوحوش اللى حوالينا ما ياكلوهاش ..
وأنا حلفت من يوم ما مات أبوها إني أفضل جنبها .. أحميها ..
وإنها تفضل تحت حمايتي طول ماهى جنبي .
قاطعت عبده قائلاً .. وتغرزها في القرف بتاعك ..
وتلوث اسمها في تجارتك القذرة .. ليه .. هى ذنبها ايه ؟
صرخ عبده بصوت جهوري .. بأحبها ..
من وهي لسه عيله في المدرسة وأنا بأحبها ..
من أيام ما كنت بأوصل لهم الطلبات في البيت الكبير .
كانت هتقبلنى ازاى وهى بنت ناس أكابر ..
وأنا حتة صعلوك بيشتغل عندهم !
كان لازم تبقى شريكتي في كل حاجة ..
وتعرف انها من غيري تضيع .. لأنها فعلا من غيري تضيع ..
واحد زيك كان ممكن يضيعها لولا انك اتكشفت ياحضرة الضابط ..
واللى كشف سرك هو كريم ابني .. كريم اللي كتبت عنه انه كان بيثبت العربيات على الدائري ..
كريم هو اللى خلانى اشوف صفحة الرواية بتاعتك .. واللى اكتشفت منها ان كل إسم بتكتبه في روايتك كانت بتنزل قوة من الأمن تهاجمه بعد نشره بدقايق ..
زى اللوكاندة .. اللى اتهاجمت بعد ما نزلتها بدقايق ..

في أول مره الأمن كبس على اللوكاندة ماكنتش انت لسه كشفت سر الأسانسير وماعرفوش يوصلوا لحاجة ..
وساعتها أنا بلغت احسان انى شاكك فيك مصدقتنيش ..
وجبت تجار الآثار يقابلوك وكان إختبار ثمنه غالي أوي ..
لأنهم اتقبض عليهم بعدها بدقايق ..
وبرضة احسان فضلت مش مصدقة ..
وقالت لي ازاى بيوصل الاخبارية وهو قدامى طول الوقت ..
لكن لما سألت كريم عليك قال لى انه قابلك في سجن الاستئناف وانك بتكتب رواية عن المساجين ..
إتأكدت وقتها إنك كنت مزروع في السجن من مدة وفضلت تشمشم ورانا لحد ما وصلت للوكاندة
وفهمت انك بتوصل المعلومة لما بتنشرها في روايتك ..
اللى بتنزلها على النت .. حلقات .. يعني عدم اللامؤاخذة ..
بتوصل لهم الاخبارية .. أول بأول .. طازه بطازه ..
مش برضة مسميها لوكاندة المسخرة يا عادل بيه ؟
نظرت الى إحسان وتساءلت قائلاً ..
انتى مصدقه الكلام الفارغ ده .. ده باين عليه مختل ..
ده مجنون رسمي !
كان قرار عبده بتعمير المسدس أسرع من رد إحسان ..
وجاء صوت عبده قائلاً .. علشان كده .. إنت لازم تموت .
ثم خرج صوت طلقة مكتوم بعد أن استقرت في جسد إحسان ..
أثناء محاولتها منع عبده من قتلي .. وسقطت احسان ..
وسقطت أنا بجوارها وأخذت أهز وجهها بيدي لافاقتها ..
إلى أن ارتميت برأسي على صدرها ..
عندها توقف عقلي عن التفكير ..
وانتظرت أن أفيق من هذا الكابوس .. على صوت احسان .
كنت أنتظر أن أفيق من هذا الكابوس .. على صوت احسان .
إلا أنني أفقت على صوت دهب يأمر سلطان قائلاً ..
هات الرجالة بسرعة وامسكوا المجنون ده ..
والطبنجة دى ماحدش يمسكها بإيده .. تتحط في كيس ..
واطلب الاسعاف وخلي شركة الأمن تبلغ الحكومة .
فأسرعت بفحص احسان وتأكدت أن موضع الطلقة غير قاتل وصرخت قائلاً .. الإسعاف بسرعة .. بتنزف .. بسرعة .
ثم أطبقت بيداي على رقبة عبده حتى جحظت عيناه ..
الى أن تدخل دهب قائلاً .. اهدى يا عادل هى هتبقى كويسة ..
اهدى و متضيعش نفسك في واحد زى ده .
أحسست بحالة أشبه بالدوار لا اصدق مايحدث ..

فجلست بجانب احسان ممسكا بيديها ..
وتداخلت الذكريات في عقلي مع خطوات الأقدام من حولي ..
الى أن أفقت على ضوء شديد يلهب عيناي ..
وصوت يأتي من خلفه قائلاً ً .. الف سلامة عليك ياباشا .
انطفأ ذلك الضوء المبهر لتتضح الرؤية قليلاً ..
تعددت الأصوات من حولي .. وتفحصت سريعاً بعيناي ..
باحثاً عن إحسان وأنا أردد قائلاً ً .. احسان .. فين احسان ..
احسان ملهاش ذنب في كل اللى بيحصل ده .. احسان بريئة .
وضع أحدهم يده على صدري قائلاً ً .. احسان حالتها مستقرة ..
انت تعرضت لصدمة أثرت على ذاكرتك مؤقتاً ..
فأجبت قائلاً ً .. لا أنا كويس وفاكر كل حاجة .. عايز أشوف إحسان.
فتابع الصوت مرة أخرى قائلاً ً .. ماهو انت تعرضت لصدمة ثانية .. أثرت على ذاكرتك المؤقتة .. المهم دلوقتي تهدأ وتستريح .
توافقت كلماته مع نغزة في ذراعي إثر حقنة ..
أفرغت محتوياتها في أوردتي .. ليعود الدوار الى رأسي ..
بينما يضع أحدهم عدة صور متتالية أمام عيناي ..ويسألني عنهم ..
فأجيب بصعوبة قائلاً ً ..عم عبده .. ربنا ينتقم منه ..
ده كريم ابن عم عبده .. ربنا ينتقم منه .. سونا ..
الا هى فين سونا صحيح ! .. سليم .. وفين سليم ..
في القسم .. لا ده كان خرج وجالنا عند دهب ..
دهب اللى طلب الإسعاف لما عبده ضرب نار وجت في احسان .. فين احسان .. عاوز أشوف احسان .
كانت كل الصور تأخذنى إلى احسان .. كل الذكريات تعيدني ..
إلى احسان .. الى أن رأيت صورتي وأنا أرتدي الزي الرسمي ..
بطاقة تحقيق شخصية .. نقيب عادل الشريف .. الخدمة السرية ..
تساءلت قائلاً ً .. ايه ده .. يعني عبده ماكانش بيكدب ..
عبده كان عنده حق .. طب وإحسان عرفت !
احسان زمانها فاهمه انى انا كمان خدعتها .. بس أنا بحبها ..
عايز أشوف احسان .. ثم توقف عقلي عن التفكير برهة .
عندها جاء صوت أعرفه يقول .. هتشوف احسان ..
وممكن تتجوزها كمان لو عاوز .. لأنها طلعت بريئة ..
وعبده وعصابته حا يأخذوا جزاءهم بعد ما اعترف ..
وقال كل أسمائهم وإعترف أنه العقل المدبر ..
وانت مش بس كملت مهمتي وكشفت العصابة و زعيمها الحقيقي ..

ده انت كمان كشفت عن العميل الفاسد المزروع وسطنا واللى ألغى مهمتي والأهم من كل ده إنك كشفت عن حاجة كانت غايبة عن كل الناس .. إنك لما أديت المهمة كنت صحفي فعلا .. مش ضابط ..
وده أكبر دليل إن كل واحد في موقعه يقدر يكشف الفساد ..
مش لازم يكون ضابط ولا حتى يكون في الخدمة السرية .
كان ذلك الصوت معروفا لأذني وعقلي .. كان صوت شهاب والذي أدركت أنه كان يتابع مهمتي بعد أن عاد الى الخدمة السرية .
فإعتدلت في جلستي .. وأديت التحية .. وتساءلت قائلاً .. وياتري الرواية بتاعتي .. أقصد الرواية بتاعتك .. قصدي الرواية بتاعتنا .. ممكن تتنشر!
فأجاب شهاب قائلاً .. دي مش بس للنشر .. لا ..
دي كمان ممكن تتحول لعمل فني يوصل لكل الناس .
ثم غادر بعد أن صافحني وغادر خلفه الجميع ..
فأسرعت بالنهوض باحثاً عن ملابسي .. وتذكرت ضاحكاً ..
ذلك الروب الحريمي الذي كنت أرتديه في منزل احسان ..
وأخذت أضحك الى أن وجدت ملابسي وارتديتها ..
ثم دخل دهب مبتسماً و يحمل باقة من الورد وبادر قائلاً ..
لا ده احنا بقينا عال خالص .. طبعا ياباشا مين قدك ..
القيادة كلها جايه تتطمن عليك .. وصور وصحافة واعلام ..
هو أنا مش قلت لك ماتعملش أى أحاديث صحفية إلا من خلالي .. ولا يعنى عشان ملحقناش نمضي العقد !
احتضنت دهب قائلاً .. عاوز اشوف احسان ودِيني عند احسان .
تابع دهب قائلاً .. تؤمر يا معالي الباشا .. اتفضل سيادتك .
اصطحبنى دهب بسيارته إلى إحسان في المستشفى ..
فدخلت بعد أن سلمت على سلطان الذي وقف خارج الغرفة .. كعادته ينتظر أوامر دهب ..
وما أنا رأيت إحسان حتى عاد قلبي الى مكانه واحتضنتها قائلاً ..
قلبي اتخلع عليكي .. وحشتينى وحشه السنين.
نظرت إحسان في عيني نظرتها المعتادة قائلة ..
لسه بتحبني يا حضرة الضابط ؟
فأجبت على الفور قائلاً .. بحبك يا معلمة .
ثم نظرت الى دهب قائلاً .. اومال فين المأذون ..
مش قلت حا تبعت تجيبه بورقه بدفاتره بعمارته !
فأجاب دهب على الفور .. لا ده كان زمان ياباشا ..
انما دلوقتى المأذون بورقة بدفاتره بمنطقتة كلها واقفين بره ..
ثم صاح يا محروس .

وما أن سمعنا سلطان يرد من الخارج قائلاً .. اوامرك يا رياسة ..
حتى احتضنت احسان و انفجرنا في موجة ضحك هستيرية ..
لم تنتهي الا عندما أمسكت احسان بذقني ..
واضعة وجهي أمام وجهها قائلة .. بس أنا ليا طلب .
فأجبتها قائلاً .. انتي تؤمري مش تطلبي .
فاسترسلت قائلة .. عاوزة الزفة بتاعتنا تعدى في شارع كلوت بيه .
فأجبت قائلاً .. ياسلام بس كده .. من عنيا .
فتابعت قائلة .. وتكون بالحنطور .
فتساءلت قائلاً .. بالحنطور .. انتي نسيتي اللى عملوه في الوزير اللى كان رايح يفتتح الجمعية الخيرية .. والا انتي عاوزة النسوان اياها يطلعوا عليا يبهدلوني وانتي تهلكي من الضحك ؟
تابعت احسان بجدية قائلة ..
صدقنى الشارع ده هو كمان اتظلم زى أنا ما اتظلمت ..
الشارع ده أهله عملوا المستحيل علشان يغيروا سمعته ..
دلوقتي بقى حاجة ثانية .. بقى فيه ورش منتجات صناعية ومحلات أدوات ومعدات ..
علشان خاطري .. لازم الناس اللى هتشوف الزفة تشوف ان الشارع اتغير ..
ويعرفوا أن من أراد يستطيع .
أجبت إحسان بالموافقة ثم نظرت الى دهب قائلاً ..
إلا أنا فين رجالتي .. والا أنا كنت ضابط مالوش رجالة ولا ايه ؟
فأجاب دهب قائلاً .. ياباشا انت البلد كلها رجالتك .. اطلب تلاقى مليون فدائى .
وضعت يدي في يد احسان لمساعدتها على الجلوس قائلاً ..
طيب نجرب كده نطلب واحد من المليون ..
هات المأذون الأول .. وبعد كده نبقى نعمل الفرح والزفة .
ضحكت إحسان قائلة .. طب وبالنسبة لبطاقتك اللى في اسكندرية !
فأجبتها قائلاً .. ماخلاص بقي .. مش انا طلعت كداب كبير ..
ده أنا حتى كذبت على نفسي وخبيت عليها إن أنا ضابط .
وما أن أتم المأذون إجراءات عقد القران ..
وأنهت إحسان تجهيزات العروس ..
حتى كنت أقف في استقبالها مرتديا ملابس التشريفة ..
وأمسكت بيدها وصعدنا للجلوس في الحنطور المزين بالورود
ليعبر موكب الزفة في شارع كلوت بيه
وتتعالى الأصوات بالمباركة من أصحاب المحلات والباعة
وزغاريد الأهالي وتحيتهم بالورود في أجواء احتفالية رائعة .
. النهاية .